كربلاء

تساؤولات...وقضية

الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي

دار الهادي

شبكة الفكر
alfeker.net

كربلاء
تساؤلات... وقضية

كربلاء
تساؤلات... وقضية

الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ - ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ليست كربلاء ارضا فحسب ولا عاشوراء زمانا فقط. إنها قلب الحكاية التي بدأت من سيدنا آدمعليه السلام الى يوم القيامة، وعصارة كل الأزمان وخلاصة كل قضايا الانسان. ورغم انها واقعة لم تأخذ من حيز الزمان الا بضع ساعات لكنها اختصرت كل الزمان. كربلاء هي القضية وقضية القضايا، قضية الحق والباطل، قضية العدل والظلم، قضية المستضعفين والمستكبرين.

ملحمة قادها خير من على وجه الأرض ضد شر من على وجه الأرض. وقد شابهت في ركن من اركانها قصة الخندق حين برز امير المؤمنين عليعليه السلام لعمرو بن ود العامري حينها قال الرسولصلى الله عليه وآله وسلم: «برز الايمان كله للشرك كله». وهي العبارة ذاتها التي يمكن ان نصف بها واقعة كربلاء، فما كان يزيد مؤمنا ولا كان مسلما، بل كان على شركه الجاهلي كما كان ابوه وجده.

لقد ارتسم في ذلك الزمان الحد الفاصل بين الاسلام والكفر، كما ارتسم الحد الفاصل بين الايمان والنفاق، وتجلت قيم وظواهر ما كان يمكن لها ان تتجلى لولا كربلاء. ففضحت مدعي الولاية ومدعي حب اهل

البيت عليهم السلام ممن دعوا الإمام الحسن عليه السلام سابقا ثم الإمام الحسين عليه السلام لاحقا لكنهم ما إن جاءهم الإذن أو الأمر بالقتال انفضوا عنهم وخذلوهم وسلموهم لأعدائهم ثم اصطف بعضهم في صفوف تلك الأعداء يحاربون من دعوهم للقدوم اليهم. مثلما فضحت مدعي الاسلام والخلافة الاسلامية عن رسول الله. صلى الله عليه وآله وهي في عمقها فضحت أكثر من ذلك لو كان هناك عقول تعقل وقلوب لله تقبل.

تساؤلات: لقد تركت واقعة كربلاء تساؤلات وتساؤلات، بعضها يرتبط بالعنصر التاريخي، وبعضها يرتبط بالعنصر الفكري والعقائدي، وبعضها بالعنصر السياسي، وبعضها بالعنصر العسكري الثوري. وكل قسم من هذه الاقسام يضم مجموعة تساؤلات، عمل الكثير على الاجابة عنها وتوضيحها. وما انقطع زمان دون ان يتصدى احد ما من علمائنا ومفكرينا للحديث عن بعض تلك الجوانب. وكان لعنصر الزمان دخل في فهم كثير من الحقائق، فبالتأكيد ان من يعيش هذا العصر لهو أقدر على فهم بعض هذه الحقائق ممن كان في تلك العصور. وقد عبر عن هذه الحقيقة الامام الخميني (قده) في بعض من كلماته عندما قال: «ان كل ما عندنا من كربلاء».

والمتسائلون كما الباحثون هم عموما بين نوعين: نوع يريد فهم حقيقتها، ونوع يريد التشويه عليها من أمثال الذين آذاهم أن يفتضح المشروع الأموي كله وأن يصيب الأمويين كل هذا الخزي والعار على مر التاريخ فانبروا للدفاع عنهم ولم يجدوا لذلك سبيلا الا الطعن بحركة الإمام الحسين عليه السلام. وقد تبين عبر التاريخ ان كل من حاول التشويه عليها قد اصابه التشويه.

مشكلة البحث التاريخي: وربما كان من اصعب الجوانب في معالجة قضية كربلاء هو الجانب التاريخي السردي، ولم يظهر حتى الآن انتاج مهم فيه تمحيص دقيق وبحث عميق لهذا الجانب. ولم يكن هذا عن تقصير بقدر ما كان يعكس الصعوبة التي تقارب الاستحالة.

ولكن مما يهون الخطب أن هناك الكثير من الحقائق التاريخية التي تسالم عليها الرواة والمؤرخون حول كربلاء وما جرى فيها، يمكن الاعتماد عليها في فهم واقعة كربلاء.

تجاوز المشكلة: والذي يظهر لنا ان العبرة اساسا ليست في تفاصيل ما حدث تاريخيا، وان كانت ذات اهمية في موقعها. بل العبرة في عبر كربلاء نفسها، والقيم التي ارادت كربلاء تأسيسها، والرسالة التي ارادت ايصالها للأمة، والهدف الذي سعت نحوه. وهذه أمور لا يتوقف فهمها على التحقيق التاريخي في التفاصيل الكربلائية. ولن يشغل بالنا كثيرا في هذا النحو من البحوث التأكد من صحة تلك التفاصيل وعدم صحتها، ما لم يكن لذلك دخل مباشر في فهم كربلاء وفهم رسالتها ودورها. فلن يضرنا في الحال هذه ان تكون ليلى والدة الأكبر حية في عاشوراء ام لم تكن، كما لن يضرنا ان تكون ام البنين حية ام لا فالقضية لن تتغير دلالاتها ولن تتأثر معانيها.

الهدف من الكتاب: نقول هذا لنبين اننا في هذا الكتاب لسنا في صدد إشغال النفس بهذا التحقيق التاريخي رغم اهميته في بعض الجوانب وبلحاظ بعض العناصر الكربلائية. بل غرضنا الدخول مباشرة في صلب موضوع كربلاء، ومحاولة قراءة الرسالة التي خطها الإمام الحسين عليه السلام بدمه ودماء اصحابه واهل بيته وألم نسائه اللاتي سُبين من بلد الى بلد، وأن نفهم كربلاء في سياقها العام الإمامي، أي موقع كربلاء في حركة الامامة والأئمة عليهم السلام. فقد كتب الكثير حول كربلاء، وظلم بسبب هذه الكتابات الائمة عليهم السلام بل ظلم خط الامامة عموما، خصوصا حين الحديث عن أهداف ثورة كربلاء، بحيث يستنتج القارئ لتلك الاهداف انه كان على جميع الائمة ان يثوروا. وهذا سيفتح بابا للتشكيك كما فتح جملة من الباحثين بابا واسعا للتشكيك في الامام الحسن عليه السلام، علما انه لولا الامام الحسن عليه السلام لم تكن كربلاء لتثمر ثمارها، مثلما اثبت أيضا الامام الحسين عليه السلام ان الامام الحسن كان محقا في

ما فعل. فليست المسألة في خط الامامة مسألة اشخاص بل هي مسألة الامامة نفسها، فاي امام كان في زمن امام آخر فسيقوم بنفس ما قام به ذلك الامام. اريد ان اشير بهذه الجملة الى تساؤل يطرح حول ما اذا كان هناك تعارض في حركة الائمة عليهم السلام ام انها حركة واحدة في اتجاه واحد منسجم متكامل.

ومن المعلوم أن النظرة الدقيقة لمسألة الإمامة توجب علينا القول بأن المعصومين عليهم السلام على كثرتهم يجسدون حركة متحدة بحيث لو افترضنا ان هناك شخصا واحدا مكان المعصومين الأربعة عشر لم يكن ليتبدل تصرفه عن تصرفاتهم عليهم السلام .

وهناك تساؤل آخر يطرح عادة في قضية كربلاء يتعلق بالبحث العقلي والفقهي حول مشروعية اقدام الامام الحسين عليه السلام على معركة يعلم مسبقا انه مقتول فيها لا محالة، مثلما ان هناك تساؤل حول ما اذا كان الامام عليه السلام يعلم اساسا بأنه مقتول ام لم يكن يعلم.

وهذا التساؤل لا محل له عند المؤمنين بخط أهل البيت عليهم السلام لأن فعلهم عليهم السلام يدل على المشروعية ولا يحتاجون الى شيء آخر لنثبت به مشروعية عملهم لكن الأذهان المريضة او الضعيفة قد تقع في لبس او شك تجاه هذا الموضوع.

لا نريد هنا في هذه المقدمة ان نحصي كل التساؤلات وانما اردنا ان نعرض لنماذج من اسئلة صدرت عن البعض لنقول حينئذ ان الهدف من هذا الكتاب هو تقديم اجابات عن اسئلة محددة تتعلق بكربلاء وقد اخترنا اهم الموضوعات المتعلقة بها.

وقد اسميته بـ «كربلاء.. تساؤلات وقضية» وقسمته إلى مقدمة وعدة فصول وخاتمة. راجياً من المولى سبحانه وتعالى التوفيق في ما أردت بلوغه فعليه أتوكل وبه أستعين.

الفصل الأول:

مقام الإمام الحسين عليه السلام وفضله

لا بد أن نعرف، ونحن نبحث في كربلاء، ما هي الصفة التي كان عليها الإمام الحسين عليه السلام حين واجه أعداءه في كربلاء لنعرف عظيم الجرم الذي ارتكبه يزيد وجيشه. فهو ليس مجرد ثائر قد اشتبه الأمر فيه على الآخرين الذين لم ينصروه أو الذين شاركوا في حربه، بل كان الكل يعرف فضله وموقعه في الإسلام. ولم يكن الأمر متوقفا على العلم بإمامته والاقتناع بهذا الموقع، بل الأمر أبسط من ذلك بكثير. فإن الآيات والروايات الدالة على عظمة الإمام الحسين عليه السلام قد بلغت كل الذين حاربوه بمعزل عن موضوع الامامة. وكان يكفي ما وصلهم ليدركوا عظيم قبح عملهم، بحيث لو أن المرء يملك بعض ما يملك اولئك من معلومات، لكان الحري به ان يقتل نفسه قبل ان يفكر بالاقدام على ذلك الفعل.

فلا ينبغي لأحد ان يتوهم ان الذين حاربوه انما حاربوه لأنهم لم يؤمنوا بامامته، لأنه مهما شك المرء في امامة الامام الحسين عليه السلام فهو لن يشك في موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وفضله في المسلمين ومقامه الشامخ وعظمة شخصيته. ولذا فإن من يقرأ كتب العلماء المسلمين من السنة والشيعة يجد الاقرار بهذه المرتبة للامام الحسين عليه السلام، مع غض النظر عن مسألة الامامة، ولذا لا نجد ضرورة لاثبات هذه القضية ولكن التبرك بذكر الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام والطمع بالأجر يدفعنا لعرض نماذج من تلك الآيات

والروايات كفاتحة لهذا الكتاب، علما اننا قد نسجل احيانا اشارات الى مسألة امامته.

أولا: نظرة في بعض الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وهذه الآية دالة على عصمة المقصودين بها، لأن التطهير من الرجس لا يتحقق مع إمكانية الذنب والخطأ والظلم ولو سهوا.

وقد تواترت الروايات اجمالا على أن المقصود بأهل البيت في الآية الكريمة: رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والزهراء عليها السلام والحسنان عليهما السلام، وبذلك اعترف الكثير من علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم الاسلامية وفرقهم. ونكتفي بذكر نموذج للدلالة على ان المراد بأهل البيت من ذكرنا:

فقد ذكر المفسرون[2] ان هذه الآية نزلت فيهم واشتهر بينهم نقل رواية عن أم سلمة تقول فيها: نزلت هذه الآية في بيتي، وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» يكرر ذلك، وأم سلمة تسمع وترى. فقالت: وأنا معكم يا رسول الله، ورفعت الكساء لتدخل. فجذبه منها، وقال لها: «إنك على خير».

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٣.

(٢) نقل ذلك عن تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ٧٨٣ والنيسابوري في تفسير سورة الأحزاب وصحيح مسلم ج٢ ص ٣٣١ والخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٦٤ وخصائص النسائي وتفسير ابن جرير ج ٢٢ ص ٥ ومسند احمد بن حنبل ج ٤ ص ١٠٧ وسنن البيهقي ج ٢ ص ١٥٠. وذكر القرشي في ج ١ ص ٥٨ ان جلال الدين السيوطي قد أورد في الدر المنثور عشرين رواية من طرق مختلفة في اختصاص الآية بأهل البيت عليهم السلام وأورد ابن جرير في تفسيره خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص.

فلو كانت نساء النبي مشمولات بأهل البيت عليهم السلام لم يكن مفهوما منعها من الدخول في ذلك الكساء. وما قول الرسول صلى الله عليه وآله لها بأنها على خير الا ليدفع عنها توهم أن ذلك يدل على غضب من الله عليها فهو صلى الله عليه وآله انما أراد ان يبين ان لها فضلا لكنّ ههنا شيئا مخصوصا بأهل البيت الخاصين لا يشملها رغم علو شأنها ورفعة مقامها رضوان الله عليها.

ولا يهمنا ان نحقق في ما المراد بأهل البيت كلما اطلقت هذه الكلمة، بل يكفينا ان المراد بهم في هذه الآية هم من ذكرنا. وقد غفل البعض من شواذ الرواة وضعافهم عن أسباب النزول وزعموا ان الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وآله والمتواتر من الروايات يدحض هذه المزاعم.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

وقد اشتهر بين المسلمين سنة وشيعة ان المراد بالقربى هم: علي وفاطمة وابناهما، ورووا ذلك عن ابن عباس وعن جابر بن عبد الله الأنصاري وآخرين[2].

وهنا علينا ان نفهم معنى كون المودة في القربى أجرا. فهل ذلك مكافأة له صلى الله عليه وآله على عمله، كمن يطلب أجرة عليها؟ حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يكون هكذا، بل صرحت كثير من الآيات الكريمة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يطلب أجرا من هذا القبيل شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء عليهم السلام، وقد اشير الى ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٢) وقد عد القرشي في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام مصادر كثيرة راجع ج ١ ص ٦٦ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٩.

ورغم ان آية سورة الشعراء تنفي طلب الأجر من الناس بنحو مطلق، لكن هناك آيات تؤكد ان الرسول طلبه، مثل ما اشير اليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ﴾. فقد دلت هذه الآية على ان الرسول قد يسأل أجرا، لكن ليس على نحو من يطلب مقابلا لعمله من الناس، بل لو طلب أجرا ﴿فَهُوَ لَكُمْ ۖ﴾، ولذا تممه بقوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ﴾[1]. وبهذا تكتمل هذه الآية مع الآية السابقة، ولن تكون هناك أي منافاة.

وبناء على هذه الآية فأي اجر يطلبه الرسول ﷺ ﴿فَهُوَ لَكُمْ ۖ﴾، وقد دلت الآية التي نقلناها اولاً على ان الرسول ﷺ طلبه ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ﴾، كما صرحت آية أخرى ان الرسول لا يطلب اجرا الا اتباع سبيل الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[2].

والذي يتحصل لنا من مجموع هذه الآيات ان طلبه ﷺ المودة في القربى إنما هو «لكم» ومن باب ﴿مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، وهذا يعني ان ذلك مرجعه الى وجود مصلحة كبرى للمسلمين في هذه المودة، ولذا طلبها ﷺ، ولذا ايضا نص عليها الله تعالى في القرآن الكريم. ومن هنا نفهم لماذا أعقب الله تعالى ذلك الطلب أي طلب المودة بقوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[3]. وبالتالي فالقرآن يشير الى قيمة عملية لهذه المودة وليس مجرد قيمة عاطفية. واي قيمة عملية لمجرد ان نكن الحب لأهل البيت عليهم السلام ان لم يكن على نسق ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[4]، وهل هذا الا كناية عن الامامة.

---

(١) سورة سبأ الآية ٤٧ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٥٧.

(٣) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٤) سورة آل عمران الآية ٣١.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

وقد دلت هذه الآية على عظمة هذه الشخصيات التي اختيرت لهذا الموقف من خلال عدم طلب دعوة «اصحابنا وعشيرتنا»، فمن الملفت أنه ﷺ لم يقل وأصحابنا وأصحابكم أو وعشيرتنا وعشيرتكم. وليس هذا يعني منقصة في الأصحاب، فإن فيهم الأجلاء الذين لامسوا حد العصمة كسلمان الفارسي، لكن في ذلك اشارة الى أن المستوى المطلوب أكثر من ذلك ومدلول الآية مخصوص بمن اختيروا، عسى ان يفهم اللبيب من الاشارة، وان من يتم اختيارهم في الابتهال من شأنه ان يحسم النزاع وهذا يدل على قرب منزلتهم من الله تعالى.

والمعروف ان المراد بنسائنا ابنته الزهراء عليها السلام، إذ لم يشارك معه أحد من نسائه. والمراد بأنفسنا علي عليه السلام، وهذا يدل على عظمة الإمام علي عليه السلام الى درجة لامست مرتبة النبي ﷺ ومن هنا قد يستدل البعض على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الأنبياء بأفضلية رسول الله ﷺ عليهم. ولولا الاتفاق بين أهل العلم، والأدلة الدالة على أفضلية الرسول ﷺ من علي عليه السلام، لأمكن ان يستفاد من الآية المساواة في الفضل بينهما. والمراد بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام فقط.

إن هذا التفسير للمراد بالأنفس والنساء والأبناء مما توافق عليه كلام أهل التفسير.

وقد ذكر الرازي في تفسيره رواية في المباهلة فقال: روي انه عليه السلام لما

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦١.

أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم انهم اصروا على جهلهم، فقال عليه السلام: ان الله يأمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم. فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فلما رجعوا قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيا قط، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لكان الاستئصال، فإن أبيتم الا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا ان لا نباهلك وأن نقرك على دينك، فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: فإني أناجزكم القتال. فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك.. فصالحهم.. وقال: والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير.. وروي أنه عليه السلام لما خرج من المرط الأسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله ثم جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله ثم فاطمة ثم علي رضي الله عنهما ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث. إنتهى كلام الرازي[1].

---

(١) راجع ج ٧ ص ٨٥ في تفسير الآية المباركة.

ثانيا: نظرة في الروايات. ونذكر نموذجا لذلك:

منها: قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة «ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[1].

وقد دل هذا الحديث، وهو متواتر اجمالا، على عصمة الزهراء عليها السلام فإن غضب الزهراء عليها السلام إذا كان يوجب غضب الله تعالى، وجب ان يكون غضبها دائما من غير ذنب منها، ومن غير خطأ أو سهو. وإلا فلا يعقل ان يغضب الله تعالى لغضبها إن أخطأت في غضبها على أحد، أو غضبت بغير حق. كما أن جعل رضاها مستلزم لرضا الله تعالى دليل آخر على ان رضاها لا يكون الا عن حق من غير خطأ او ظلم أو ذنب أو سهو. وحيث ان الرواية دالة على ان ذلك كلما كان هناك غضب منها عليها السلام ورضا منها عليها السلام، دل ذلك على انها دائما معصومة في حالتي الغضب والرضا. ومن كان معصوماً في حالتي الرضا والغضب كان معصوما في كل حالاته، لأنهما من اصعب الحالات التي لا يتمكن الانسان من السيطرة على نفسه فيها. كما ان كون المرء كذلك، في حالتي الغضب والرضا دائما، لا يتصور الا فيمن كان كذلك في كل حالاته فإنما هي شخصية واحدة لا تجزئة فيها.

وهذا الحديث وإن ورد بصيغ شتى لكنه متواتر بحسب المضمون ولن يختلف الاستدلال بين أن يكون النص: «يغضب الله لغضبك» وبين ان يكون «من أغضبها فقد أغضبني»، فضلا عن ان يكون بصيغة «من أغضبها فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله..».

ومن ذا الذي لا يعلم انها عليها السلام تغضب لقتل الحسين عليه السلام ولأي أذى يلحق بالحسين عليه السلام. وقد كان هذا الحديث بمسمع كل من حارب الإمام

---

(١) نقله القرشي عن بعض المصادر كمسند احمد بن حنبل وصحيح الترمذي. راجع القرشي في حياة الامام الحسين عليه السلام ج ١ ص ٢٣.

الحسين عليه السلام . ولئن فهم تصرف يزيد وأعوانه الذين ما راعوا يوما لله تعالى ولا لرسوله ولا لابنته وأهل بيته حرمة، فكيف نفسر تصرف عناصر جيشه وأكثرهم ممن يزعمون انهم يراعون تلك الحرم.

ومنها: ما اشتهر بين المسلمين أن الرسول صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»[1].

وفي هذا الحديث دلالة عظيمة على عصمتهم سلام الله عليهم، وأنهم لا يحاربون الا من يستحق من غير ظلم ولا خطأ ولا سهو، وأنهم لا يسالمون الا من يستحق من غير ظلم ولا سهو ولا خطأ. وليس المراد بمن سالمتم ما يشمل حالة المسالمة الاضطرارية التي كان يعيشها الائمة عليهم السلام مع خلفاء عصورهم بل المراد عدم الحرب حيث يمكن الحرب بقرينة المقابلة بين الحرب والمسالمة بحيث يكون ترك الحرب دليلا على الرضا بالشخص وحكمه.

ومنها: ما رواه احمد بن حنبل بسنده ان النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[2].

ونحن نقطع بأن مجرد الحب لن يكون سبيلا للجنة ان لم يكن هناك عمل على وفق هذا الحب.

ومنها: ما رواه ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من

---

(١) نقل القرشي في ج ١ ص ٧٨ ذلك عن مصادر متعددة منها صحيح الترمذي وابن ماجة في سننه والحاكم في مستدركه وابن الأثير في أسد الغابة واحمد في مسنده بسند ينتهي الى ابي هريرة والخطيب البغدادي في تاريخه.

(٢) نقله القرشي في ج ١ ص ٧٨ عن مسند احمد ومسند الترمذي.

العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس..»[1].

ومنها: حديث الثقلين وهو متواتر جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وقد روي هذا الحديث بأسانيد شتى. واختلفت صيغة الحديث المنقول فبعضها فيه لفظ «عترتي» وبعضها فيه لفظ «عشيرتي» وبعضها فيه لفظ «سنتي». ونحن نعتقد ان الصيغة الصحيحة هي عترتي أهل بيتي. لكن لو أردنا أن نحمل الرواة على الأحسن، وأن نقول ليس هناك تحريف أو تبديل او تدليس على الأمة، فينبغي حينئذ ان يقال ان هذه الصيغ المتعددة قد دلت على صدور الحديث عن الرسول ﷺ في موارد متعددة. وهي على اختلافها تفسر بعضها البعض، وبالتالي يمكن الجمع بين تلك الروايات.

فأما لفظ عشيرتي فهو مطلق فيقيد بالصيغة الأخرى الدالة على ان المراد أهل بيت الرسول. ﷺ وليس مراد الرسول التنبيه على ان مطلق العشيرة التي ينتسب اليها الرسول ﷺ مقصودة بالكلام، والا كان هذا كلاما عشائريا نجل عنه الرسول ﷺ بل مراده ان من يتحدث عنهم هم من عشيرته وهذا الاطلاق خصصه لفظ عترتي. وأما لفظ سنتي فهو مفسر بقوله ﷺ عترتي أي يكون المقصود بسنتي السنة التي يحملها أهل البيت عليهم السلام عترة الرسول ﷺ ويفسرونها هم اضافة الى أفعاله ﷺ واقواله، فلو اختلفنا في هذه الحال في صدور فعل او قول عنه ﷺ نرجع الى العترة الطاهرة لتفسر لنا وتبين حقيقة الأمر.

---

(١) نقله القرشي في ج ١ ص ٧٨ عن مستدرك الحاكم وكنز العمال والصواعق المحرقة والمناوي في فيض القدير.

ومن يصر على ان الخبر صدر عن الرسولﷺ في مجلس واحد فنقول هناك من القرائن ما يكفي على ان التحريف قد طال تلك الرواية وان الصيغة الأصلية هي قولهﷺ عترتي اهل بيتي أو عترتي لوحدها، وليس هنا محل الكلام في هذا الموضوع[1].

ومنها: ما عن عليعليه السلام أنه قال: أخبرني رسول اللهﷺ «إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين قلت يا رسول الله فمحبونا قال: من ورائكم»[2].

ومنها: ما رواه البخاري بسنده عن ابن ابي نعيم، قال: كنت شاهدا لابن عمرو، وسأله رجل عن دم البعوض. فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: فانظروا الى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبيﷺ، وسمعت النبيﷺ يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا»[3].

ومنها: ما روي عن انس بن مالك أنه قال: سئل رسول اللهﷺ أي أهل بيتك احب اليك؟ قالﷺ: «الحسن والحسين». وكان يقول لفاطمة: «ادعي ابني» فيشمهما ويضمهما اليه[4].

ومنها: ما روي عن سلمان الفارسي أنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني ومن أحبني أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما ابغضني ومن ابغضني ابغضه الله ومن

---

(١) ومن شاء التفصيل في هذا الموضوع فليراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني.

(٢) نقله القرشي في كتابه الامام الحسينعليه السلام ج ١ ص ٨٤ عن مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥١.

(٣) نقله القرشي ج ١ ص ٨٧ عن صحيح البخاري كتاب الأدب. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ١٨٣.

(٤) نقله القرشي ج ١ ص ٨٧ عن صحيح الترمذي وفيض القدير.

ابغضه الله أدخله النار»[1].

وانظر الى قوله ﷺ أحبه الله ولم يقل أحب الله، لأن المطلوب الأساسي هو تحصيل محبة الله تعالى. فمن يحب الحسنين عليهما السلام يحبه الله تعالى ومن يبغضهما يبغضه الله.

ومنها: قول الرسول ﷺ: «الحسن والحسين امامان إن قاما وإن قعدا»[2].

ومنها: ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «من أراد ان ينظر الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن علي عليه السلام»[3].

ولم تقل الرواية هل هو سيدهم في الدنيا أم في الآخرة. والظاهر منها انه سيدهم مطلقا في الدنيا والآخرة، والسيادة زعامة وإمامة. ولو فرضنا اختصاص لفظ الرواية بالسيادة في عالم الآخرة فهذا يدل بالملازمة على السيادة في عالم الدنيا.

ومنها: قول الرسول ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين. أحب الله من أحب حسينا. حسين سبط من الأسباط»[4].

---

(١) نقله القرشي ج ١ ص ٩٠ عن مستدرك الحاكم وكنز العمال وسنن ابن ماجة عن ابي هريرة قريب منه وتهذيب التهذيب.

(٢) نقله القرشي ج ١ ص ٩١ عن بحار الأنوار ج ١٠ ص ٨٧ ثم قال: وفي نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤ ان رسول الله ﷺ قال للحسن والحسين: أنتما الامامان ولأمكما الشفاعة. وورد هذا الحديث في الاتحاف بحب الاشراف ص ١٢٩.

(٣) نقله القرشي ج ١ ص ٩٣ عن تاريخ ابن عساكر ج ١٣ ص ٥٠ وعن سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٩٠.

(٤) نقله القرشي ج ١ ص ٩٤ عن سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥١ ومسند احمد بن حنبل ج ٤ ص ١٧٢ واسد الغابة ج ٢ ص ١٩ وتهذيب الكمال ص ٧١ وتيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٦ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٧ وأنساب الأشراف ج ١ ق ١.

ومعنى كون الإمام الحسين من رسول الله ﷺ واضح فإنه سبطه وابنه. ومعنى كون الرسول من الحسين أمر يحتاج الى تدقيق، فإنه لن يستقيم المعنى الا اذا فرضنا ان الرسول يتحدث عن دور للحسين عليه السلام فيه حفظ النبوة وبقاؤها وبقاء رسالتها وأهدافها، وهذا ما فعله الحسين عليه السلام في كربلاء. وربما يكون المقصود بقوله: «الحسين مني» ليس المعنى العرفي المتبادر بل انه خلق لهذا الدور الذي يكملني.

خلاصة القول: ان هذه الروايات كلها او اكثرها قد تواتر مضمونها بين المسلمين، ولم يكن احد منهم يشك في مقام الامام الحسين عليه السلام. وهذه الروايات تدل على ان من يريد شن معركة على الامام الحسين عليه السلام لا يمكن ان يشنها الا كافر او منافق، والا فمن في قلبه ذرة من الاسلام والايمان لا يعقل ان يشارك في تلك المعركة مع ما تواتر نقله بين المسلمين.

ولقد بثت تلك الروايات بين الناس حتى لا يبقى عذر لأحد في ما سيفعله فيما بعد مع الامام الحسين عليه السلام. وليست المشكلة فقط مع الذين حاربوا الامام عليه السلام، بل ان أمر الذين خذلوه ايضا لمريب، ان كان يمكنهم نصرته فلم يفعلوا، مع ما سمعوه من روايات وفيهم أهل العلم والحديث.

الفصل الثاني:

علم الإمام عليه السلام بأنه سيقتل

تمهيد:

لم يكن ينبغي ان يكون هذا السؤال في حد ذاته من الأسئلة التي تطرح في مسألة كربلاء، خاصة وأن علم الامام عليه السلام بما سيؤول اليه امره كان ولا يزال متسالما عليه بين المسلمين عموما، تتناقله الأجيال جيلا بعد جيل، كما تسالم عليه علماؤهم. ومع ذلك نجد ان بعضهم يستوحش من فكرة علم الامام عليه السلام بأنه مقتول لا محالة لشبهة في نفسه سنتحدث عنها بعد قليل.

والحقيقة ان هذا السؤال لا يختص بالامام الحسين عليه السلام بل إن ائمتنا عليهم السلام عموما كانوا يعلمون بأنهم مقتولون وبالطريقة التي يقتلون بها، ومع ذلك كانوا يتصرفون التصرف الطبيعي الذي يقودهم الى تلك الشهادة. فقد كان علي عليه السلام يعلم بأنه مقتول في المسجد في الليلة التي توجه بها الى المسجد أي انه سيضرب بالسيف في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان وأنه سيستشهد في ليلة الحادي والعشرين. كما كان الامام الحسن عليه السلام يعلم بأنه مقتول بالسم.

ولئن كاد أن ينعدم الخلاف في مسألة علم الإمام الحسين عليه السلام بأنه مقتول. فإن الخلاف في غيره من الأئمة عليهم السلام كان موجودا بمعنى علمه بزمن

قتله، والا فإنه لا خلاف بين العلماء في أن عليا مثلا عليه السلام كان يعلم بأنه مقتول وبمن سيقتله.

ومنشأ الخلاف بين العلماء ليس في وجود محذور عقلي أو شرعي من الالتزام بعلمهم عليهم السلام، بل منشأ التشكيك هو الجانب التاريخي. فلا مشكلة على المستوى الفكري والديني في تلك القضية، الا ان الالتزام بذلك يحتاج الى دليل تاريخي يثبته. ومرادنا من الجانب التاريخي ما يعم وجود نص صحيح وارد عن أهل البيت عليهم السلام.

ولذا فإننا سنتحدث عن القضية المتعلقة بالإمام الحسين عليه السلام من جانبين:

الأول: اثبات علم الامام عليه السلام بشهادته من الجانب التاريخي.

والثاني: دفع ما قد يتوهم كونه محذورا في الالتزام بذلك القول.

ثم سنشفع ذلك بذكر بحثين:

الأول: يتعلق باقدام الأئمة عليهم السلام عموما على فعل يعلمون ان فيه موتهم.

والثاني: ويتعلق بالعمليات الاستشهادية.

فهنا اذن اربعة بحوث:

البحث الأول:

أدلة علم الامام عليه السلام بشهادته

ليست مسألة علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته وبزمانها بالأمر الذي يخفى على الباحثين. وقد حفلت هذه المسألة بالأدلة الكثيرة التي يمكن الاستناد اليها لبيان ذلك. ويمكن القول: ان اثبات ذلك ممكن من وجوه متعددة، ذكرنا منها خمسة وجوه:

الوجه الأول: وهو دليل علمي إيماني عام يلتزم به كل من آمن بامامة الامام الحسين عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام. وهو أنهم يملكون علما خاصا بوقائع الحياة إما بتعليم من الرسول صلى الله عليه وآله وإما بالهام من رب العالمين. ومن جملة الوقائع التي يعلمون بها ما يتعلق بدورهم عليهم السلام وما تؤول اليه أحوالهم.

لكن هذا الوجه ليس متسالما عليه بين العلماء. ولا ريب في أن المباحث المتعلقة بعلم الإمام أي امام من المباحث الشائكة من المباحث الكلامية. وكان الكثير من علمائنا يتجنبون الخوض في هذا الأمر.

ولا تكمن المشكلة في هذا البحث في مبدأ الفكرة، بل الكل يسلم بأنه لا مشكلة ذاتية في ذلك. وقد حقق علماؤنا ان الإيمان بهذا الوجه لا يصادم الآيات الكثيرة التي تحدثت عن العلم بالغيب واختصاصه بالله تعالى، لأن

هناك آيات أخرى ذكرت ان العلم بالغيب يمكن ان يكشفه الله تعالى لمن شاء من عباده. وليس هنا محل الكلام في هذا الموضوع، ولعلمائنا الكثير من الكلام فيه. فراجع كتبهم في هذا المجال، خاصة مثل تفسير الميزان فيما يتعلق بالآيات المتعلقة بعلم الغيب.

بل المشكلة تكمن في الدليل عليه، لأن مجرد عدم وجود مشكلة في ذلك الإلتزام لا يعني ان نصير من القائلين بتلك الفكرة، بل لا بد من العثور على دليل لذلك الأمر الذي كان مثار خلاف كبير على مر التاريخ بين العلماء ولا يزال.

ولذا فإننا لن نعتمد كثيرا في هذا البحث على هذا الوجه، لأن تحقيقه ليس بالأمر الهين، كما أنه يحتاج الى مساحة أوسع مما يتطلبه هذا الكتاب، اضافة الى ان مسألتنا بالخصوص مستغنية عن هذا الوجه، لأن اثبات القضية بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام أسهل من ذلك بكثير كما سنرى.

الوجه الثاني: قد استفاضت الأخبار من الفريقين السني والشيعي بأن الوحي قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتل الحسين عليه السلام وبمكان قتله وكيفيته، وقد انتشرت عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وأم سلمة وعائشة وغيرهم. وهذه الأخبار قد علم بها الحسين عليه السلام كما علم بها سائر المسلمين. وإليكم نماذج من تلك الأخبار:

منها ما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بأسانيد معتبرة إلى الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أسماء بنت عميس قالت:

لما ولدت فاطمة الحسين كنت أخدمها في نفاسها. فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: هلمي ابني أسماء. فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأخذه وجعله في حجره، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى. قالت: ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنه سيكون لك حديث، اللهم العن قاتله. لا تعلمي فاطمة

بذلك. قالت: فلما كان اليوم السابع من مولده جاء النبيﷺ فعق عنه.. ثم وضعه في حجره وقال: يا أبا عبد الله عزيز علي، ثم بكى. فقلت: بأبي أنت وأمي مم بكاؤك في هذا اليوم؟ وفي اليوم الأول؟ قالﷺ: أبكي على ابني هذا، تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة»[1].

ومنها ما في كامل الزيارات لابي القاسم بن قولويه بإسناده عن ابي خديجة سالم بن مكرم الجمال عن ابي عبد اللهعليه السلام أنه قال:

لما ولدت فاطمة الحسينعليه السلام جاء جبرئيل إلى رسول اللهﷺ، فقال له: «إن أمتك تقتل الحسينعليه السلام من بعدك ثم قال: ألا اريك من تربته؟ فضرب بجناحه فأخرج من تربة كربلاء وأراها اياه ثم قال: هذه التربة التي يقتل عليها»[2].

ومنها ما عن اعلام النبوة للماوردي رواية عن عائشة أنها قالت:

دخل الحسين بن علي على رسول اللهﷺ، وهو يوحى إليه. فقال جبرئيل: ان امتك ستفتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه يقتل ابنك، اسمها الطف. فلما عرج جبرئيل، خرج رسول اللهﷺ الى اصحابه والتربة بيده، وهو يبكي. فقالوا: ما يبكيك يا رسول اللهﷺ؟ فقال: أخبرني جبرئيل ان ابني الحسين يقتل بعدي بارض الطف، وجاء بهذه التربة فاخبرني ان فيها مضجعه»[3].

ومنها ما رواه الفريقان أن ام سلمة حكت:

---

(١) ذكر القرشي في كتابه عن الامام الحسينعليه السلام رواية مثله عن مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٦ وابن عساكر ج ١٣ ص ٦٢. راجع القرشي ج ١ ص ٩٨.

(٢) كامل الزيارات الباب السابع عشر الحديث السادس.

(٣) وذكر القرشي ما يقرب من هذه الرواية عن مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٧ وعن تهذيب الكمال ص ١٧. راجع القرشي ج١ ص ٩٩.

ان رسول الله ﷺ أعطاها من تربة كربلاء واحتفظت به. مثل ابن حجر في صواعقه في حديث عن انس بن مالك[1]. حتى ان ام سلمة علمت بمقتل الحسين عليه السلام من خلال صيرورة هذه التربة دما أحمر على ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه في رواية مسندة عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس كما رواه غيره واشتهر هذا الأمر في روايات المسلمين عموما[2].

ومنها ما في أمالي الصدوق بسنده عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«كان النبي ﷺ في بيت ام سلمة فقال لها: لا يدخل علي احد. فجاء الحسين وهو طفل، فما ملكت معه شيئا حتى دخل على النبي. ﷺ فدخلت ام سلمة على اثره، فاذا الحسين على صدر النبي، واذا النبي يبكي واذا في يده شيء يقبله. فقال النبي ﷺ: يا أم سلمة ان هذا جبرئيل يخبرني ان هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك فاذا صارت دما فقد قتل حبيبي. فقالت ام سلمة: يا رسول الله ﷺ سل الله ان يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلت فأوحى الله عز وجل إليّ أن له درجة لا ينالها احد من المخلوقين، وان له شيعة يشفعون فيشفعون وان المهدي من ولده. فطوبى لمن كان من اولياء الحسين وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة»[3].

ومنها ما ذكره الخوارزمي في مقتله:

إن امير المؤمنين عليه السلام لما سار إلى صفين نزل بكربلاء. وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا. قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم

---

(١) نقله السيد بحر العلوم في ص ٤٤ من كتابه عن ابن حجر في صواعقه المحرقة حديث رقم ٣٠ ضمن الفصل الثاني في سرد أحاديث واردة في اهل البيت. عليهم السلام

(٢) راجع كتاب السيد بحر العلوم ص ٤٦.

(٣) أمالي الصدوق المجلس التاسع والعشرون الحديث الثالث. وفي هذا الحديث اشارة الى انه لا مجال للمعجزة في واقعة كربلاء كما سنبين فيما بعد. وقد نقلنا الحديث عن مقتل الحسين عليه السلام للسيد محمد تقي بحر العلوم ص ٤٣.

بكى بكاء شديدا. ثم قال: ما لي ولآل ابي سفيان. ثم التفت الى الحسين وقال: صبرا يا بني فقد لقي ابوك منهم مثل الذي تلقى بعده[1].

ومنها ما في أمالي الصدوق بسنده عن المفضل بن عمر عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال:

«ان الحسين بن علي دخل يوما على أخيه الحسن بن علي عليه السلام عائدا[2]، فلما نظر إليه الحسين بكى. فقال له الحسن عليه السلام: ما يبكيك يا ابا عبد الله؟ فقال عليه السلام: أبكي لما يصنع بك. فقال الحسن: ان الذي يؤتى إليّ سم يدس إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا ابا عبد الله، يزدلف اليك ثلاثون الف رجل يدّعون انهم من امة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الاسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني امية اللعنة»[3].

ومنها ماروي عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وآله أنها قالت:

كان النبي نائما عندي وحسين يحبو في البيت، فغفلت عنه حتى أتى النبي فصعد على بطنه، ثم قام النبي يصلي واحتضنه، فكان اذا ركع وسجد وضعه واذا قام حمله. فلما جلس جعل يدعو ويرفع يديه ويقول.. فلما قضى الصلاة، قلت له: يا رسول الله لقد رأيتك تصنع اليوم شيئا ما رأيتك تصنعه. فقال: ان جبرئيل أتاني فأخبرني ان ابني يقتل. قلت: فأرني اذا، فأتاني بتربة حمراء[4].

ومنها ما روي عن ابن عباس أنه قال:

---

(١) راجع مقتل الامام الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم ص ٤٧.

(٢) أي يزوره في مرضه.

(٣) أمالي الصدوق المجلس الرابع والعشرون الحديث الثالث.

(٤) نقله القرشي عن مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٩. راجع القرشي ج ١ ص ٩٩.

كان الحسين في حجر النبيﷺ فقال جبرئيل أتحبه؟ فقال: كيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي. فقال: ان امتك ستقتله، ألا اريك موضع قبره؟ فقبض قبضة فاذا تربة حمراء[1].

ومنها ما رواه الشيخ الصدوق في أماليه بسنده عن الاصبغ بن نباتة قال:

بينا امير المؤمنينعليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل ان تفقدوني. فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الا انبأتكم به. فقام اليه سعد بن ابي وقاص فقال: يا امير المؤمنين عليك السلام، اخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة. فقالعليه السلام له: «اما والله، لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول اللهﷺ انك تسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة الا وفي اصلها شيطان جالس، وان في بيتك لسخلا يقتل الحسين ابني»[2] وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه.

ومنها ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي عبد الله الجدلي قال:

دخلت على امير المؤمنينعليه السلام والحسينعليه السلام الى جنبه، فضرب بيده على كتف الحسينعليه السلام ثم قال: ان هذا يقتل ولا ينصره احد. قلت: يا امير المؤمنين، والله ان تلك لحياة سوء. قال: ان ذلك لكائن[3].

والروايات في هذا المجال كثيرة فوق الاحصاء حتى انه يمكن ادعاء القطع بصدور البعض منها، فلا يحسن بعد ذلك المناقشة في السند بعد ثبوت التواتر ولو الاجمالي. وقد عقد في كامل الزيارات أبواب هي:

---

(١) نقله القرشي عن مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩١. راجع القرشي ج ١ ص ١٠٠.

(٢) أمالي الصدوق المجلس الثامن والعشرون ح ١. ورواه في كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون ح ١٢.

(٣) كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون ح ١.

باب فيما نزل به جبرئيل عليه السلام في الحسين بن علي عليه السلام انه سيقتل، وذكر فيه سبعة أحاديث.

وباب في قول جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : إن الحسين تقتله امتك من بعدك، وأراه التربة التي يقتل عليها وذكر فيه عشرة أحاديث.

وباب فيما نزل من القرآن بقتل الحسين عليه السلام وانتقام الله عز وجل ولو بعد حين، وذكر فيه سبعة أحاديث.

وباب في علم الأنبياء بقتل الحسين بن علي عليه السلام ، وذكر فيه اربعة أحاديث.

وباب في علم الملائكة بقتل الحسين عليه السلام ، وذكر فيه حديث واحد.

وباب في لعن الله تبارك وتعالى ولعن الأنبياء قاتل الحسين بن علي عليه السلام ، وذكر فيه ثلاثة احاديث.

وباب في قول رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الحسين تقتله امته من بعده. وذكر فيه سبعة أحاديث.

وباب في قول امير المؤمنين عليه السلام في قتل الحسين عليه السلام وقول الحسين له في ذلك وذكر فيه ستة عشر حديثا[1].

الوجه الثالث: قد ورد في احاديث كربلاء وغيرها روايات كثيرة عن لسان الامام الحسين عليه السلام بأنه شهيد لا محالة. وهذه الروايات وان كان هناك شك في اسانيد جملة منها، لكن لا ريب في صحة اسانيد أخرى. علما انها مستفيضة مشهورة، وهذا يشكل قرينة على مدى صدقية تلك الروايات اجمالا. واليكم نماذج من تلك الروايات:

---

(١) راجع الأبواب من ١٦ حتى الثالث والعشرين.

منها ما في أمالي الصدوق بسنده المعتبر عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام :

ان الحسين عليه السلام قال : «انا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن الا استعبر»[1].

ومنها ما في كامل الزيارات بسنده عن جابر عن ابي عبد الله عليه السلام قال :

قال علي عليه السلام للحسين عليه السلام : يا ابا عبد الله... علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم. يا بني اسمع وابصر من قبل ان يأتيك، فوالذي نفسي بيده، ليسفكن بنو امية دمك ثم لا يزيلونك عن دينك ولا ينسونك ذكر ربك. فقال الحسين عليه السلام : والذي نفسي بيده، حسبي اقررت بما انزل الله واصدق قول نبي الله ولا اكذب قول ابي[2].

ومنها : ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي سعيد عقيصا قال :

سمعت الحسين بن علي عليه السلام ، وخلا به عبد الله بن الزبير وناجاه طويلا ثم اقبل الحسين عليه السلام بوجهه اليهم، وقال : ان هذا يقول لي كن حماما من حمام الحرم. ولئن اقتل بيني وبين الحرم باع احب الي من ان اقتل بيني وبينه شبر، ولئن اقتل بالطف احب الي من ان اقتل بالحرم[3].

ومنها ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال :

ان الحسين عليه السلام لما خرج من مكة قبل التروية بيوم شيّعه عبد الله بن الزبير فقال : يا ابا عبد الله، لقد حضر الحج وتدعه وتأتي العراق. فقال يابن الزبير : لئن ادفن بشاطئ الفرات احب الي من ان ادفن بفناء الكعبة[4].

---

(١) أمالي الصدوق المجلس الثامن والعشرون الحديث السابع.

(٢) كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون ح ٢.

(٣) كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون الحديث ٤.

(٤) كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون الحديث ٥.

ومنها ما في كامل الزيارات بسنده عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام أنه قال:

والذي نفس حسين بيده لا ينتهي بني امية ملكهم حتى يقتلوني، وهم قاتلي. فلو قد قتلوني لم يصلوا جميعا ابدا، ولم يأخذوا عطاء في سبيل الله جميعا ابدا. ان اول قتيل هذه الأمة انا وأهل بيتي. والذي نفس حسين بيده لا تقوم الساعة وعلى الأرض هاشمي يطرق[1].

ومنها ما في كامل الزيارات بسنده عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال:

كتب الحسين بن علي من مكة الى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم. اما بعد: فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح. والسلام[2].

ومنها ما في كامل الزيارات بسنده عن شهاب بن عبد ربه عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال:

لما صعد الحسين بن علي عليه السلام عقبة البطن، قال لأصحابه: ما اراني الا مقتولا. قالوا: وما ذاك يا ابا عبد الله؟ قال: رؤيا رأيتها في المنام. قالوا: وما هي؟ قال: رأيت كلابا تنهشني اشدها علي كلب ابقع[3].

ومنها ما ذكره المؤرخون:

ان الإمام الحسين عليه السلام قبل ان يخرج من المدينة، توجه الى قبر جده صلى الله عليه وآله فأهوى على القبر، فكان يناجي جده صلى الله عليه وآله فغفى، فإذا هو برسول

---

(١) كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون الحديث ١٣.

(٢) كامل الزيارات الباب الثالث والعشرون الحديث ١٥.

(٣) المصدر السابق الحديث ١٤.

الله ﷺ قد اقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه فضم الحسين عليه السلام الى صدره وقبل ما بين عينيه، وقال: يا حبيبي يا حسين، كأني اراك عن قريب مرملا بدمائك مذبوحا بأرض كرب وبلاء، من عصابة من امتي، وانت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة، وما لهم عند الله من خلاق. حبيبي يا حسين، ان اباك وامك واخاك قدموا علي وهم مشتاقون اليك، وان لك في الجنان لدرجات لن تنالها الا بالشهادة. فجعل الامام عليه السلام يقول: يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا، فخذني اليك وادخلني معك في قبرك. فقال له رسول الله ﷺ: يا بني لا بد لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم[1].

الوجه الرابع: ان نصائح القوم المشفقين عليه كانت تنطلق من أنه عليه السلام هو مقتول لا محالة فهل كانوا يدركون ما لا يدركه الإمام عليه السلام. راجع القرشي ج ٣ ص ٢٣. واليكم نماذج من هذه النصائح:

منها ما قاله له المسور بن مخرمة أحد صحابة الرسول ﷺ، حينما سمع بعزم الامام على مغادرة الحجاز الى العراق، فكتب اليه:

اياك ان تغتر بكتب اهل العراق.. فإنهم ان كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الابل حتى يوافوك، فتخرج اليه في قوة وعدة[2].

وهذا الكلام من المسور يكشف عن علمه ومعرفته بطباع اهل الكوفة، فهل كان يعلم المسور ذلك ولا يعلمه الامام الحسين عليه السلام.

---

(١) نقله السيد بحر العلوم في مقتله عن الخوارزمي وغيره من الكتب. راجع كتاب السيد بحر العلوم ص ١٣٢ وما بعدها.

(٢) نقله القرشي عن تاريخ ابن عساكر. راجع كتاب القرشي عن الامام الحسين عليه السلام الجزء الثالث ص ٢٤.

ومنها ما قاله عبد الله بن جعفر حيث بعث للامام عليه السلام :

اما بعد فإني اسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا. فإني مشفق عليك من هذا الوجه ان يكون فيه هلاكك، واستئصال اهل بيتك. ان هلكت اليوم اطفأ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين. فلا تعجل بالسير، فإني في اثر كتابي والسلام.

وعندما قدم عبد الله بن جعفر الى الامام عليه السلام واخذ يتوسل اليه ان يغير رأيه، أجابه الامام عليه السلام : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وأمرني بأمر لا بد ان انتهي اليه[1].

ومنها ما قاله له عبد الله بن العباس:

أخبرني أتسير الى قوم قتلوا اميرهم وضبطوا بلادهم؟ فإن كانوا قد فعلوا سر اليهم. وان كانوا انما دعوك وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمالهم تجبي بلادهم وتأخذ خراجهم، فانما دعوك الى الحرب، ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخذلوك ويبيعوك، فيكونوا اشد الناس عليك.

ثم كرر عليه ذلك وقال: ان اهل العراق قوم غدر فلا تقربهم. أقم في هذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم اقدم عليهم. فإن ابيت ان تخرج فسر الى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي ارض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك، فإني ارجو ان يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية[2].

---

(١) نقله القرشي عن تاريخ الطبري والبداية والنهاية وسير أعلام النبلاء. راجع كتاب القرشي ج ٣ ص ٢٤.

(٢) نقله القرشي عن ابن الأثير راجع جزء ٣ من كتاب القرشي ص ٢٦.

ومنها ما نصحه به محمد ابن الحنفية اخوه فقال له:

يا اخي ان اهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت ان يكون حالك حال من مضى. فإن اردت ان تقيم في الحرم فإنك اعز من بالحرم وامنعهم. فقال له عليه السلام: خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية، فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت. فقال له محمد: فإن خفت ذلك فسر الى اليمن او الى بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد. فقال له عليه السلام: انظر فيما قلت.

ولما كان وقت السحر بلغه شخوصه الى العراق فأسرع اليه محمد وقال له: ألم تعدني فيما سألتك؟ فقال عليه السلام: بلى، ولكن أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، وقال لي: يا حسين اخرج فإن الله شاء ان يراك قتيلا. حينها قال له: فما معنى حمل هؤلاء النساء والأطفال وانت خارج على مثل هذا الحال؟ فأجابه الامام عليه السلام: قد شاء الله ان يراهن سبايا[1].

ومنها ما نصحه به ابو بكر المخزومي وحذره غدر أهل العراق وانقلابهم عليه. كما وردت نصائح من عبد الله بن جعدة وجابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن مطيع[2].

الوجه الخامس: التحليل السياسي والعسكري لواقع المعركة، من حين انطلق الإمام عليه السلام من المدينة أو على الأقل من حين علم بمقتل الإمام مسلم، وقد علم بذلك قبل ان يلتقي بالحر، يقتضي الاستنتاج المنطقي بتلك النتيجة من دون حاجة الى علم بالغيب او وحي والهام، الا اذا تدخلت المعجزة والامام يعلم بأن الظرف ليس ظرف معجزة كما سنبين ذلك حين الحديث عن مسألة النصر إن شاء الله تعالى.

---

(١) راجع كتاب الامام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٣ ص ٣١ وقد نقله عن عدد من المصادر.
(٢) راجع القرشي ج ٣ ص ٢٨.

البحث الثاني:

في الشبهة حول علم الامام بقتله

تبين مما تقدم ان الأخبار الدالة على علم الإمام الحسين عليه السلام وخاصة أهل بيته وخاصة أصحابه بشهادته التي سينالها في كربلاء هي أخبار متواترة اجمالا، فلا ينبغي ان يكون هذا الموضوع مورد شك وتساؤل.

نعم الذي ينبغي ان يكون محلا للسؤال هو:

هل يجوز في دين الله تعالى أن يقدم المرء على فعل، يعلم ان فيه هلاك نفسه؟.

أليس هذا القاء للنفس في التهلكة، وهو منهي عنه في الآية القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؟.

أليس العقل حاكما بوجوب حفظ النفس من الهلاك؟.

أليس الانتحار محرما في شرعكم، بل في جميع الأديان السماوية والشرائع الوضعية؟.

وهذا سؤال مهم ينبغي ان نجيب عليه بشكل واضح لا لبس فيه لنرفع الشبهة.

إذن نحن في هذا السؤال أمام عنوانين:

الأول: في الكلام حول الآية ومدى دلالتها في الموضوع الذي نعالجه.

والثاني: في ما يراه العقل وحكمه بقبح إهلاك النفس والقائها في الموت.

أولاً: مع الآية الكريمة.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ومن الضروري، ونحن نتحدث في هذه الآية، ان نقرأها كلها حتى نتفحص معناها ونفقهه فلا نتسمك بكلمة فيها ونفسرها وفق ما هو المأنوس في أذهاننا.. ونحن في مقام فهم الآية الكريمة لا يمكننا ان نأخذ ببعضها ونترك البعض الآخر، والآية كلها تعبر عن أمر واحد.

والذي يفهمه الإنسان بدون اتعاب نفس، هو أن الأمر بالإنفاق في سبيل الله تعالى قد أتبع بالنهي عن القاء النفس في التهلكة، ثم عقب عليه بالأمر بالإحسان، وهو إما الزيادة في النفقة، وإما الإتيان بالأعمال الصالحة. وقد جاء قوله ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾ عقيب قوله ﴿وَأَنفِقُوا﴾ دون قوله ﴿وَأَحْسِنُوا﴾. وهذا له وجه لطيف، فإن الأمر بالإنفاق في سبيل الله هنا للوجوب، بينما الأمر بالإحسان للاستحباب. والأمر الذي للوجوب يناسبه الحاقه بما فيه نهي عن القاء النفس في التهلكة، بينما الأمر الاستحبابي لا يناسبه ذلك.

أما ان المراد بـ (أحسنوا) الأمر الاستحبابي، فلأن الإحسان يعني فيما يعنيه تقديم اكثر مما يجب، وإلا لو كان الإنسان يأتي بما هو واجب عليه لا يعد محسنا، وهذا المعنى ذو مراتب عالية وضعيفة. وهكذا معنى لا يتعلق به الأمر الوجوبي، بخلاف الأمر بالإنفاق في سبيل الله الذي يظهر من سياق

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٥.

آيات الجهاد والقتال والدفاع عن الدين، حيث ان هذا العمل العظيم يحتاج الى من ينفق حتى يمكن تهيئته بشكل سليم يحفظ المجتمع الإسلامي، فهو واجب بلا ريب.

وبناء عليه فالمفهوم من الآية الكريمة ان المراد أنفقوا وإلا فإنكم ستلقون بأنفسكم في التهلكة، فيكون النهي عن الالقاء في التهلكة بمثابة الوعيد على ترك الإنفاق ليكون وجها آخر للأمر بالانفاق بغرض تأكيده ليكون المعنى ان ترك الانفاق في سبيل الله ـ أي الجهاد ـ يورث التهلكة.

معنى التهلكة في الآية. والمراد من التهلكة بناء على ما قدمنا:

اما التهلكة الدنيوية بأن يتسلط علينا الكفار الفجار كما ورد في كثير من الروايات والأحاديث الشريفة أن من ترك الجهاد ألبسه الله لباس الذل وسلط عليه الأعداء ويكفي في هذا المجال مراجعة خطبة الجهاد في نهج البلاغة. فيكون الوعيد بلحاظ الآثار الدنيوية ويكون معناه التحذير من المفاسد التي تترتب على ترك ذلك الانفاق في الحياة الاجتماعية.

ومن هذا القبيل يكون قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[1].

وإما ان يراد بها التهلكة الأخروية من خلال عدم الاستجابة للتكليف الإلهي من قبيل قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيكون المعنى التحذير من أن ينال تارك الانفاق العذاب في الآخرة.

وإما ان يراد به مطلق التهلكة أعم من التهلكة الدنيوية والأخروية. وليس هذا من استعمال اللفظ في أكثر من معنى حتى يعترض عليه، بل هذا

---

(١) سورة النور الآية ٦٣.

استعمال في المعنى الأعم منهما وهو استعمال حقيقي لا تجوز فيه. وهذا المعنى من التهلكة يكون هو المفسر بالآية المذكورة والتي اشتملت على الأمرين معا.

ويمكن ان يكون المراد بالتهلكة في الآية نقصان الأموال وفي الآية حينئذ تنبيه على فكرة اسلامية عظيمة هي ان الذي يوجب خسارة الإنسان للمال ليس انفاقه بل الانفاق في سبيل الله تعالى فيه يحفظ المال وينميه ولذا ورد في بعض الأخبار: «حصنوا أموالكم بالزكاة» وورد في موضع آخر: «ما ضاع ما أنفقته لله». لكن هذا التفسير بعيد عن مدلول الكلام ولا قرينة تساعد على الأخذ به.

وعلى كل حال، فهذا الذي قلناه من ان الآية في مقام الوعيد على ترك الانفاق بالتهلكة هو ما ينسجم مع الفهم للآية، كما أنه ما تبناه المشهور من علمائنا. ولذا سعى بعضهم للاستدلال به على الاحتياط، فلو كان المراد به الموت لم يكن هناك وجه للبحث عن الاحتياط من خلال هذه الآية.

فالآية وإن نهت عن القاء النفس في التهلكة، لكن ليس المراد بالتهلكة هنا الموت اذ ليس في الآية ولا في غيرها من الآيات التي سبقت ولحقت ما يدل غلى ان المقصود بالتهلكة فيها الموت حتى يقال: ان القيام بعمل فيه موت من التهلكة التي نهانا الله عنها في هذه الآية المباركة. كما انه ليس المعنى اللغوي للفظ التهلكة هو الموت، وإن كان يستعمل أحيانا بعض مشتقات هذا اللفظ في الموت، لكنه من باب التطبيق على المصداق، لا أن هذا هو مفهومه.

منشأ القول بأن المراد بالتهلكة الموت.

يظهر من جمع من العلماء الاستدلال بها على حرمة القاء النفس بما فيه الموت، مثل الشيخ الطوسي في الخلاف والمبسوط، بل حكى الشيخ في

المبسوط عن بعضهم انه استدل بهذه الآية على عدم جواز الخوض في معركة يعلم ان نتيجتها ليست لصالح المسلمين، وتؤدي الى الهلاك والموت وإن كان ظاهره عدم رضاه بهذا الاستدلال.

ولكن الحقيقة تقتضي عدم القبول بذلك الاستدلال فإن كلمة التهلكة لم يؤخذ في معناها الموت ولن يكون الموت الا أحد المصاديق لكن متى يكون الموت مصداقا فهذا كلام آخر لا بد من اثباته من غير لفظ التهلكة وبالتالي علينا ان نحقق في الموارد التي يصح فيها دعوى ان الموت مصداق. أما ان ننطلق مباشرة من دعوى ان التهلكة هي الموت ثم نستدل بالآية فهذا مصادرة.

ومن هنا يظهر الخلل فيما قد يقال، في مقام التمسك باطلاق الآية، ان الآية نهت عن التهلكة كقاعدة شرعية عامة، وكون الإنفاق في سبيل الله تعالى لا يمنع من أن نتمسك بالآية في موارد أخر، مع ما اشتهر من أن المورد لا يخصص الوارد. وعليه فالآية تبقى على اطلاقها وعمومها، وحيث ان الموت من مصاديق التهلكة وبالتالي يكون مشمولا بالآية من خلال اطلاقها الشامل لكل أفراد التهلكة، وبهذا يمكن التمسك بالآية للنهي عنه من باب التمسك بالاطلاق بعد ان كان العنوان شاملا للموت.

والخلل يتضح من خلال أن الموت ليس مصداقا مطلقا للتهلكة، فإن كان مراد المستدل ان يقول: ان الموت هو في كل الأحوال مصداق للتهلكة، فهذا قول بغير دليل لا من لغة ولا من عرف ولا من أي طريق آخر. وإن كان مراده الاستدلال بالآية على حرمة القاء النفس في الموت حيث يكون الموت تهلكة، فهذا تراجع عن الاستدلال بالآية، وحيث ان المستدل لم يبين المورد الذي يكون فيه الموت مصداقا لذلك، فسيكون الكلام ناقصا، ويصير النقاش حينئذ في التمييز بين الموت الذي هو مصداق عن الموت الذي ليس كذلك.

وليس لدينا مشكلة في التمسك بالاطلاق لاستفادة النهي عن كل ما هو تهلكة لكن هذا لن يكون كافياً اذ المفروض ان الغرض هو الاستدلال بالآية على حرمة القاء النفس في الموت من دون أي قيد وان عنوان التهلكة متحقق تحققا فعليا في الموت لا أن الموت على قسمين. فعلى تقدير القبول بالتقسيم بطل الاستدلال.

وقد يحلو للبعض أن يؤكد ان الموت تهلكة مطلقا، بل قد يصعد البعض فيقول ان المفهوم العرفي للتهلكة هو الموت، وليست المسألة مسألة أن الموت مصداق.

وجوابه واضح ايضا، إذ على هذا التقدير يبطل استعمال التهلكة في أي معنى آخر غير الموت الا على نحو المجاز. ومن البداهة اللغوية ان العرف واللغة يسمحان بالاستعمال في غير الموت من دون أي عناية أو تجوز. وهذا يكشف عن أن الموت ليس هو المعنى المفهومي للفظ التهلكة او مشتقاتها، بل اذا استعمل لفظ التهلكة في الموت فهو بعناية فرضُ وجود تهلكة أو هلكة مقارنة للموت وهذا الاتحاد الوجودي بين معنى التهلكة والموت هو الذي يصحح استعمال لفظ التهلكة وبعض مشتقاتها في الموت، فليس الموت مصداقا حقيقيا ذاتيا مباشرا لمفهوم التهلكة. كما ان هذا الاتحاد ليس دائما متحققا في الموت.

وربما يقال ايضا: إن القرآن الكريم قد استعمل كلمة هلك في مواطن متعددة في الموت.

وجوابه: ان الآيات المشار اليها كلها قد استعملت فيها بعض مشتقات التهلكة او الهلاك بعناية اقتران الموت بالهلكة التي تعني مرتبة من مراتب المشقة والضيق، كما سيتجلى ذلك بملاحظة الآيات المذكورة:

منها قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1]. والمراد به فناء الشيء من أساسه فناء كليا أي انعدامه. واستعمال الهلاك هنا في الفناء باعتبار ان المقابلة بين الله تعالى وجميع المخلوقات، ويراد بهذه الآية الاشارة الى ان كل شيء خاسر خسارة كلية لا نفع معها، ولذا لم يرد بالهلاك هنا الموت بل الانعدام الكلي، وهذا معنى أصعب بكثير من الموت، والخسارة فيه اوضح.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾[2]، والمراد به الموت. ولكن الظاهر ان استعماله في الموت باعتبار ما هو مقبل عليه، أو عدم قدرته على الانتفاع من الدنيا، إضافة الى أن فهم الموت جاء القرينة المقامية الدالة على المقصود.

ومنها قوله تعالى يخبر عن الكفار الدهريين: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[3]، أي لا يميتنا الا الدهر. وكأن الدهريين أرادوا ان يقولوا: إن القادر على القضاء علينا هو الدهر، وإن هذا الإهلاك يستبطن شعورا بالضيق والأسى من حيث ما يلزم الموت من فقدان وخسارة، وان هذا متروك للدهر.

وهكذا الحال في كثير من موارد الاستعمال. ونحن اذا قلنا ان الاستعمال بعناية، نريد الاشارة بذلك الى ان فهم ارادة الموت من الكلمة في موارد استعمالها فيه يحتاج الى قرينة ما تحيط بالكلام، لفظية كانت او حالية. ولا نوافق على القول ان كلمة الهلكة لوحدها تنصرف الى الموت، بمعزل عن استعمالها والقرائن المحفوفة بها.

ويؤيد ذلك:

وجود آيات أخرى استعملت فيها كلمة الهلكة وبعض مشتقاتها وكان

---

(١) سورة القصص الآية ٨٨.

(٢) سورة النساء الآية ١٧٦.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٤.

المراد منها العذاب، وان ادى الى الموت، لكن حيثية استعمال كلمة الهلاك هي حيثية العذاب، وليست حيثية الموت. منها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿أَفَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا﴾[6].

وآيات اريد بها عذاب الآخرة الذي يتحقق بعد الموت. مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[7]، والمراد به هنا عذاب الله في الآخرة.

ومن الملفت ايضا استعمال كلمة الهلاك في غير الانسان ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ . .﴾[8]. والمراد به القضاء عليه من حيث هو خسارة شديدة.

كما يؤيد ذلك أيضا:

ما ورد في بعض الروايات من استعمال بعض مشتقات الهلكة في مواضع شتى، دون أن يكون المقصود منها الموت يقينا، مثل الحديث المعروف، والذي يتداوله طلاب العلم في أصول الفقه في باب الاحتياط، حيث يستدل بها جمع من العلماء على وجوب الاحتياط. وهو ما روي عن

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٦.
(٢) سورة مريم الآية ٧٤.
(٣) سورة الأعراف الآية ٤.
(٤) سورة الحج الآية ٤٥.
(٥) سورة الأعراف الآية ١٧٣.
(٦) سورة الأعراف الآية ١٥٥.
(٧) سورة الأحقاف الآية ٣٥.
(٨) سورة البقرة الآية ٢٠٥.

ابي جعفر الباقر عليه السلام : «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة»[1].

وما يرد في الاستعمالات العرفية ايضا، حيث نرى انهم يستعملون بعض مشتقات كلمة الهلكة في معان أخرى غير الموت، مثل لفظ الاستهلاك الذي يقصد منه الصرف المؤدي الى النقيصة او الانفاق. ومثل لفظ التهالك الذي يقصد به احيانا السقوط والتمايل، كما في قولنا تهالكت على الأرض. ومثل لفظ هلكت الذي يستعمل احيانا في السوء الشديد الذي يصيب الإنسان، كما ورد في بعض الأحاديث عن شخص قال عن نفسه: «هلكت وأهلكت وهو لا يملك مالا».

والخلاصة ان كلمة الهلكة عنوان عام تارة يكون الموت أحد مصاديقه وتارة لا يكون.

واذا عدنا الى الآية التي نستدل بها نجد ان الأقرب للفهم العرفي بحسب سياق الآية أنها تتحدث عن سوء وضيق شديدين يصعب تحملهما، يصيبان الإنسان جراء ترك الإنفاق. وهذان السوء والضيق الشديدان هما محل الوعيد أو النهي الوارد في الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

ومما ذكرنا نستخلص فكرتين:

الأولى: إن قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ليس قولا مستقلا عن قوله ﴿وَأَنفِقُوا﴾، حتى يكون له اطلاق وعموم، بل هو مرتبط بالانفاق بمعنى ان ترك الانفاق يؤدي الى ذلك. وهذا يصح في كل مورد كان هناك تكليف الهي، فإن مخالفته توقع في التهلكة. وليس المراد بالآية النهي عن القاء النفس في التهلكة بشكل مستقل فإنها تكون حينئذ أجنبية عن سياق الآية وغريبة عنه.

---

(١) وسائل الشيعة المجلد الثامن عشر، كتاب القضاء، الباب الثاني عشر، الحديث الثاني.

الثانية: إن الجزم بأن المراد من التهلكة في الآية الموت ليس بهذه السهولة أبدا، حتى وإن بنينا على ان تلك الجملة مستقلة.

ثم لو سلمنا ان المراد بالتهلكة ما يؤدي الى الموت، فبالتأكيد ليس المراد مطلق الموت بل خصوص الموت الذي يصح ان يقال عنه انه تهلكة. والمانع من هذا الاطلاق، اضافة الى ما ذكرنا سابقا، وجود قرائن عقلية وشرعية على ان بعض ما يؤدي الى الموت ليس حراما قطعا. ويكفيك نموذجا لذلك ما يراه العقل والشرع من وجوب انقاذ المعصوم، ولو توقف ذلك على أن يقوم المكلف بعمل يؤدي الى أن يقتل، وهذا من الأحكام الشرعية البديهية.

ومن ذلك ما يراه العقل والشرع من جواز بل وجوب القتال للدفاع عن المجتمع، وإن علم أنه يؤدي الى قتل بعض الناس، بل وإن علم الشخص نفسه انه مقتول لا محالة. وهذا الحكم بديهي في الشرع الإسلامي، وفي الفكر الإنساني عموما. وهناك الكثير من القرائن ربما نبينها في بحث العمليات الاستشهادية.

والخلاصة أنه لا يمكن ان يراد من التهلكة في الآية مطلق الموت. وحينئذ:

إما ان نلتزم بأن المراد بالتهلكة في الآية الوقوع في العذاب الإلهي، وهو ما أردناه أولا.

وإما ان يراد به الضيق الشديد من غير عوض ولا رجحان شرعي او عقلائي، كما هو الحال في باب التزاحم.

وإما أن يراد به الموت على أن يلتزم بالتخصيص في الآية، وفي هذه الحال علينا ان نبحث عن المخصص لنعرف ما الذي يحرم وما الذي لا يحرم. لكن سواء عرفنا المخصص ام لم نعرفه، فإن القدر المتيقن الخارج عن

هذا النهي هو الموت الذي ليس هناك تكليف شرعي يسمح به، كالموت في حالة الجهاد وكالموت في سبيل أمر أهم من حياة نفس الشخص عملا بقواعد باب التزاحم المعروف في علم الأصول.

وعلى كل حال لن تكون الآية دليلا على حرمة مطلق عمل يقوم به الإنسان ويؤدي به الى الموت، بل هذا متوقف على قيمة ذلك العمل. فإن كانت قيمته أهم من الحياة، لم يكن الموت تهلكة، بل كان جسرا الى الجنة وأين هذا من التهلكة، بل هو كل الهناء والسعادة. وإن كانت قيمته أقل من الحياة، أو لا قيمة له، كان هذا قتلا للنفس بغير وجه حق، وكان موقعا للنفس في التهلكة والعذاب الالهي، وهو بالتأكيد حرام شرعا بمعزل عن هذه الآية المباركة.

ثم إن في هذا البحث روايات قد تذكر لبيان حرمة اقدام المرء على فعل يعلم ان فيه موته، وسنتعرض لها عند البحث عن مشروعية العمليات الاستشهادية.

أما الدليل العقلي:

ليس في الدليل العقلي ما يمنع من القول ان ما أقدم عليه الإمام الحسين عليه السلام ليس قبيحا في نظر العقل بل هو مستحسن بل هذا هو حكم العقلاء كلهم لو اطلعوا على المبررات والأهداف والظروف. فإنه لا يملك حكما مطلقا بقبح القاء النفس في الموت كيفما كان، بل لو كان له ان يحكم في هذا الأمر، فهو إنما يحكم بقبح ذلك من باب الظلم على ما هو المعروف من أن أحكام العقل تابعة لعنواني العدل والظلم، فما كان من العدل فهو حسن عند العقل، وما كان من الظلم فهو قبيح في نظر العقل. فمن يريد ان يدعي القبح العقلي هنا عليه ان يبين وجه الظلم في الفعل المذكور. ومن الواضح انه ليس كل عمل يؤدي الى الموت هو من الظلم عقلا وقد بينا بعض

النماذج على ذلك، والقدر الثابت منه أنه ظلم ما اذا كان القاء النفس في الموت لغير سبب عقلائي أو شرعي أو عقلي وجيه، بحيث يكون ذلك الغرض أهم في نظر العقل من حفظ النفس. ومن المعلوم ان فعل الحسين عليه السلام الذي أدى به الى الاستشهاد خارج عن مصداق الظلم، بل هو داخل في مصداق العدل، حيث أن الأهداف الالهية التي خلقت لأجلها الخليقة صارت متوقفة على ما يقرره الإمام الحسين عليه السلام، وعلى هذا الفعل الاستشهادي.

هل يحكم العقل بقبح القاء النفس في الموت:

بل يمكن المناقشة في اصل ما اذا كان العقل قادرا على حسم هذه النقطة أساسا. أي هل يمكن للعقل ان يتوصل الى الحكم بقبح القاء النفس في الموت؟ وهل له طريقة ليعرف متى يكون هذا الالقاء داخلا في مصاديق الظلم؟ وهذا سؤال جوهري لا دخل له بالغايات والأغراض. فمن قال: ان العقل قادر على ان يحكم بالقبح الذاتي للانتحار حتى وإن كان عن يأسٍ أو كان خالياً من أي غرض عقلائي؟. هذا سؤال يحتاج الى جواب.

ولم يظهر الى الآن دليل واضح على قدرة العقل على ذلك. نعم يمكن للشرع ان يبت به، كما ان العقلاء بتوا به، ولكن منطلقات العقلاء في الحكم بالقبح مختلف، فبعضهم ينطلق من أنه ظلم للنفس من حيث انهاء حياة لا حياة أخرى غيرها. وبعضهم ينطلق من أنه يؤذي أهله وأقاربه. وبعضهم ينطلق من اعتبارات أخرى. بل بعضهم لا يرى قبحا في الانتحار بحيث يستوجب الذم، وإن كان يراه موردا للشفقة. إذن يمكن القول ان المسألة في المجتمعات العقلائية ليست محسومة بعد، فكيف يقال ان العقل

---

(١) مرآة العقول للعلامة المجلسي ج ٣ ص ١٢٥ حسب طباعة دار الكتب الاسلامية.

قد حسم الأمر فيها وحكم.

إن الجهة الوحيدة ههنا القادرة على البت في المسألة هو الشرع وحكم العقل في هذه المسألة تابع لحكم الشرع. أي لو قال الشرع عن الفعل انه حرام لحكم العقل حينئذ بالقبح ولو لم يحرمه فلا حكم للعقل حينئذ ولو أوجبه لدخل الفعل في العدل. وبعبارة أخرى ان حكم العقل هنا يقع في سلسلة معلولات الأحكام الشرعية لا في سلسلة عللها.

طبيعة حكم العقل بالقبح لو قيل به:

ثم لو سلمنا ان للعقل ان يحكم بقبح الالقاء في الموت، فهذا لن يكون على سبيل العلة التامة بل على نحو الاقتضاء بمعنى أنه قبيح ما لم يرد عنوان محسن للفعل. وهذا العنوان المحسن قد يكون الأمر الشرعي، وقد يكون الأهداف العقلائية المستحسنة في نظر العقل. وفعل الإمام الحسين عليه السلام قد عرضه كلا العنوانين المحسنين، إن من حيث الخطاب الإلهي والتكليف الرباني الواصل الى الإمام عليه السلام، وإن من حيث الأهداف كما سيتبين معنا ذلك فيما بعد بإذن الله تعالى.

البحث الثالث:

حول اقدام الأئمة عليهم السلام على فعل يعلمون انه يؤدي الى الموت

ولئن كان بحث الاقدام على الموت بالنسبة للامام الحسين عليه السلام ميسرا، فإن البحث يبدو اشق لو نظرنا الى حركة الأئمة عليهم السلام عموما، حيث نراهم يقدمون على شرب أو أكل ما يعلمون ان فيه السم، أو يذهبون الى مكان يعلمون انه يؤدي الى استشهادهم عليهم السلام، كما في ذهاب الإمام علي عليه السلام الى مسجد الكوفة مع علمه بأنه سيقتل فيه وكتناول الإمام الحسن عليه السلام للطعام مع علمه انه مسموم.

ومن المفيد ان نشير إلى أننا لا نريد ان نثبت هنا مسألة العلم هذه، وإن كنا نرجح ذلك، بل نريد ان نقول: إننا لو التزمنا بالعلم المذكور فلا مشكلة في هذا الالتزام، ولن يكون من القاء النفس في الموت القبيح او المحرم.

موانع القول بعلم الأئمة عليهم السلام في ذلك.

ليس ما يمنع من ذلك الا أحد وجوه:

الأول: الآية القرآنية المتقدمة والتي نهت عن القاء النفس في التهلكة. وقد بحثنا فيها سابقا وقلنا انها:

أولا: لا دخل لها بمسألة القاء النفس في الموت. ومجرد ان تستعمل كلمة «هلك» في الموت، لا يعني ان المراد بالتهلكة «الموت».

وثانيا: انها لو شملت الالقاء في الموت، فإنه ليس كل موت من التهلكة المنهي عنها.

الثاني: الأخبار الكثيرة الواردة في أن المسلم لا يعين على قتل نفسه او لا يقتل نفسه. وسنبحث في تلك الروايات خلال البحث عن العمليات الاستشهادية ان شاء الله تعالى.

الثالث: حكم العقل وقد بينا سابقا:

أولا: ان حكم العقل بقبح الالقاء في الموت غير مقدور له.

ثانيا: انه لو كان له ان يحكم، فهو على سبيل الاقتضاء الذي يقبل الرفع مع وجود العنوان المحسن. ويكفي في هذا المجال ان يكون العنوان المحسن هو ورود الخطاب الشرعي المؤذن بذلك، بعد ان لم يكن الالقاء في الموت قبيحاً ذاتا لا يقبل الإذن الشرعي به.

هذا وقد تحدث علماؤنا حول هذا الموضوع بشكل مفصل واليكم نماذج من أقوالهم:

قول الشيخ المفيد[1]:

لسنا نمنع ان يعلم الامام اعيان ما يحدث، ويكون باعلام الله له ذلك. فأما القول بأنه يعلم كل ما يكون، فلسنا نطلقه، ولا نصوب قائله، لدعواه فيه من غير حجة ولا بيان. والقول بأن امير المؤمنين عليه السلام يعلم قاتله، والوقت الذي يقتل فيه، فقد جاء الخبر متظاهرا انه كان يعلم في الجملة أنه مقتول، وجاء ايضا بأنه يعلم قاتله على التفصيل، فأما علمه بوقت قتله فلم يأت عليه

---

(١) ينبغي الانتباه الى ان كلام الشيخ المفيد جاء جوابا عن سؤال جاء في بعضه انه عليه السلام كان يعرف موضع الماء وأنه اذا حفر لنبع الماء لكنه لم يفعل فأعان على نفسه حتى مات عطشا.

أثر على التحصيل. ولو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون، اذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله بالصبر على الشهادة، والاستسلام للقتل فيبلغه بذلك علو الدرجات ما لا يبلغه الا به، فيطيعه في ذلك طاعة لو كلفه سواها لم يردها، ولا يكون امير المؤمنين ملقيا بيده الى التهلكة، ولا معينا على نفسه معونة تستقبح في العقول.

وأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خادعوه فلسنا نقطع على ذلك، اذ لا حجة عليه من عقل ولا سمع، ولو كان عالما بذلك، لكان الجواب عنه ما قدمناه في الجواب عن علم امير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله ومعرفة قاتله كما ذكرناه. وأما ان الامام الحسين عليه السلام كان عالما بموضع الماء، فلا يمتنع في العقول ان يكون متعبدا بترك السعي في طلب الماء، حيث يكون ممنوعا منه حسبما ذكرناه في امير المؤمنين عليه السلام، غير ان ظاهر الحال بخلاف ذلك على ما قدمنا.

مناقشة بعض كلام الشيخ المفيد:

يظهر الشيخ المفيد في كلامه هذا وبكل وضوح انه لم يثبت لديه علم الإمام علي عليه السلام بزمان قتله، كما أنه لم يثبت لديه علم الامام الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خادعوه. مع ذهابه الى انه لا محذور في الالتزام بذلك القول على مستوى الفكر الاسلامي، وانما المشكلة فقط تكمن في ان ذلك لم يرد فيه نص معتبر.

وأنت من خلال ما قدمنا سابقا تعرف ان توقف الشيخ المفيد في هذا الموضوع في غير محله، وأنه لا ينبغي الشك في أن الامام الحسين عليه السلام كان على علم بما سيجري عليه تفصيلا، خاصة مع ما وردت الأخبار التي قاربت التواتر، كما ان علمه عليه السلام بخذلان اهل الكوفة له لا ينبغي ان يكون محل شك، كيف وقد كان يعرفه كل مطلع على الأوضاع في ذلك الحال، حتى ان

معاوية في رسالته الى يزيد التي تركها له وصية يشير له، على ما ذكره المؤرخون، ان الحسين عليه السلام قد يخرج بسبب طلب اهل العراق وانهم خاذلوه، فهل كان الجميع يعلم الا الامام الحسين عليه السلام جلت ساحته عن ذلك ولا شك ان هذه كبوة من كبوات الشيخ المفيد رغم انه من المقدسين الأفذاذ الذين قلما أنجبت الأمة من أمثالهم.

كما يظهر من الشيخ المفيد ان العقل يحكم بقبح القاء النفس في التهلكة ولو على سبيل الاقتضاء، لكنك عرفت ان هذا القول لم يقم عليه دليل.

وعلى كل حال فالذي نريده من الشيخ المفيد هنا ذهابه إلى أنه لا محذور في المسألة من حيث المبدأ.

قول العلامة الحلي[1]:

سئل العلامة الحلي طيب الله ثراه عن مثل ذلك في امير المؤمنين عليه السلام. فأجاب: يحتمل ان يكون قد اخبر بوقوع القتل في تلك الليلة، وفي أي مكان يقتل، وان تكليفه مغاير لتكليفنا، فجاز ان يكون بذل مهجته في ذات الله واجبا، كما يجب الثبات على المجاهد وان كان ثباته يفضي الى القتل.

قول الشيخ يوسف البحراني:

وفي الدرة النجفية للشيخ البحراني: ان رضاهم بما ينزل بهم من القتل بالسيف او السم او الهوان على ايدي اعدائهم الظالمين، مع كونهم عالمين قادرين على دفعه، انما هو لما علموه من كونه مرضيا له سبحانه، فلا يكون من قبيل الالقاء باليد في التهلكة الذي حرمته الآية، اذ هو ما اقترن بالنهي من

---

(١) مرآة العقول ج ٣ ص ١٢٦.

الشارع نهي تحريم، وهذا مما علم رضاه به فهو على النقيض.. وبالجملة انهم عليهم السلام يدورون مدار ما علموه من الاقضية والأقدار وما اختاره لهم القادر القهار المختار.

والذي يظهر من الشيخ البحراني ان دلالة الآية على حرمة القاء النفس في الموت انما هو حيث يصدق على الموت انه تهلكة، وإنما يصدق عليه ذلك لو ورد النهي عنه نهي تحريم، وإلا فليس تهلكة، وبالتالي لا يشمله مدلول الآية، وهو كلام حقيق أن يتبع، كما اشرنا له سابقا.

قال المقرم في هذا المجال ما خلاصته:

لقد دلت الاحاديث الواردة عنهم عليهم السلام على انهم اذا عرفوا من اعدائهم العزم على الفتك بهم، او اشتد عليهم ألم القيود، عملوا كل وسيلة من دعاء غير مردود، او شكوى الى جدهم النبي صلى الله عليه وآله ليدفع عنهم. فيقول ابو جعفر الباقر عليه السلام: «نحن اهل بيت اذا اكربنا امر، وتخوفنا من شر السلطان، قلنا يا كائنا قبل كل شيء ويا ملكوت كل شيء صل على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا»[1].

ولما احتدم المنصور على ابي عبد الله عليه السلام، وعزم على الفتك به، دعا عليه السلام ربه تعالى ان يفرج عنه، فانجلت بسببه غمائم الفتك به، حتى اذا وقع نظره على الصادق عليه السلام قام اليه فرحا.. وكان يحدث عن سبب نقض عزمه، ان رسول الله صلى الله عليه وآله تمثل له باسطا كفيه حاسرا عن ذراعيه..

ولما طال الحبس بموسى بن جعفر عليه السلام، وضاق صدره مما كان يلاقيه، توسل الى الله تعالى في الخلاص منه، وقال في دعائه: «يا مخلص

---

(١) نقله المقرم عن مهج الدعوات للسيد رضي الدين بن طاووس ص ٣٦٥. راجع كتاب المقرم في مقتل الامام الحسين عليه السلام ص ٥٧.

الشجر من رمل وماء.. خلصني من يد هارون»[1]، فنجا من الحبس. ولما قدم اليه الرشيد الرطب المسموم، انتقى غير المسموم فأكله، والقى المسموم الى كلبة الرشيد فماتت[2]، ولم يقصد بقتلها الا اعلام الطاغية بأن ما يدور في خلده من اغتياله، والفتك به في هذا الحين لم يقرب وقته. ولذا لما دنا الاجل، ودعاه الله تعالى اليه، اكل الرطب المسموم الذي قدمه اليه الرشيد، مع العلم به، ورفع يديه بالدعاء قائلا: «يا رب انك تعلم اني لو اكلت قبل اليوم لكنت قد اعنت على نفسي» فأكل منه وجرى القضاء[3].

وعلى هذا الاساس لما حان الأجل المحتوم، لم يعمل الامام الحسن عليه السلام كل شيء، تسليما للقضاء، وذلك عندما قدمت اليه جعدة بنت الاشعث اللبن المسموم، وكان الوقت حارا، والحسن عليه السلام صائما، فرفع رأسه الى السماء قائلا: «انا لله وانا اليه راجعون، الحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين وابي سيد الوصيين وامي سيدة نساء العالمين وعمي جعفر الطيار في الجنة وحمزة سيد الشهداء». ثم شرب اللبن، وقال لها: «لقد غرك وسخر منك فالله يخزيك ويخزيه»، وهي تضطرب كالسعفة[4].

وقد اعلم الرضا عليه السلام اصحابه بأن منيته تكون على يد المأمون، ولا بد من الصبر حتى يبلغ الكتاب اجله.

وقال ابو جعفر الجواد عليه السلام لاسماعيل بن مهران، لما رآه قلقا من اشخاص المأمون له، «انه لم يكن صاحبي، وسأعود من هذه السفرة». ولما اشخصه المرة الثانية، قال عليه السلام لاسماعيل بن مهران في هذه الدفعة يجري

---

(١) نقله المقرم في كتابه عن أمالي الصدوق المجلس الستون.
(٢) نقله المقرم في كتابه عن عيون اخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ص ٥٧.
(٣) نقله المقرم في كتابه عن مرآة العقول للعلامة المجلسي ج ١ ص ٥٨.
(٤) نقله المقرم في كتابه عن الارشاد للشيخ المفيد.

القضاء المحتوم، وامره بالرجوع الى ابنه الهادي عليه السلام، فانه امام الامة بعده[1].

إنتهى كلام المقرم.

تحليل الفكرة:

قد شككنا قبل قليل في مدى صحة الزعم القائل بأن العقل يحكم بقبح القاء النفس في الموت، وقلنا ان هذا تابع للتشريع الديني فهو الذي له في هذا الموضوع ان يقول هذا حلال وهذا حرام. والعقل لا يملك هنا ان يقول عن الموت انه قبيح. وبناء على هذا، نقول: ما هو المحرم شرعا ليس مجرد القاء النفس في الموت. أي لا يكفي ترتب الموت على الفعل حتى نحكم عليه بالحرمة بل حيث يحرم القاء النفس في الموت فإنما يحرم إن كان يعلم ان الفعل يترتب عليه الموت.

ونحن وإن كنا نعتقد بأن الإمام عليه السلام كان يعلم بأنه سيموت، لكن عندما نقول ان العلم منجز للحكم بالحرمة، وشرط من شروطها أو من شروط المعاقبة على الفعل، لا بد ان نسأل عن طبيعة هذا العلم الذي يسبب التحريم أو ينجزه؟ وهنا علينا ان نلتفت الى ان العلم تارة يكون حاصلا بأسباب عادية متعارفة، وتارة يكون حاصلا بالهام ووحي أي بطريق خاص هو الطريق الإلهي. والعلم الذي يكون منجزا للتكليف بحق الأئمة عليهم السلام وغيرهم هو العلم الحاصل بطرق عادية عقلائية، وليس بطرق فوق قدرة البشر. ولذا لا يكون هذا العلم منجزا عليهم، ويكون حكمهم من حيث التكليف الشرعي حكم من أقدم على فعل وهو لا يعلم، لأن العلم المطلوب غير حاصل وما هو حاصل لا دخل له بتنجز التكليف.

---

(١) نقله المقرم عن الارشاد.

ثم لو سلمنا ان مطلق علم يوجب التحريم، فهذا لا يعني ان العلم علة تامة للحكم بالتحريم، بل هو مجرد شرط. وهناك شروط أخرى، وهي ان لا يكون هناك تكليف للأئمة عليهم السلام من قبل الله تعالى بالاقدام على ذلك الفعل، وحينها لا يكون هناك تحريم اذ التحريم فرع النهي ومع فرض الإذن لا يمكن فرض الحرمة، وهذا ما قد يقال عنه إنه تكليف مختص بهم عليهم السلام مخفي عنا، لا يعلمه الا هم إما بإلهام او بتعليم من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، غايته أن التكليف او الإذن يكون لمصلحة ما رفعت عن الفعل المؤدي للموت الملاك الذي يوجب مبغوضية الله تعالى ثم التحريم. ولكن مع وجود هذا التكليف أو الإذن، لا يضر في القضية عدم علمنا بما هي المصلحة التي كانت وراء التكليف.

ولو بنينا على أن القاء النفس في الموت قبيح عقلا، يدرك العقل قبحه بمعزل عن الشريعة الاسلامية، فبالتأكيد أن هذا الحكم أيضا مقيد في نظر العقل، وليس مطلقا. وقد ذكرنا فيما سبق ان القبح فيه على تقدير القول به ليس ذاتيا على نحو العلة التامة بل غايته ان الفعل فيه ملاك القبح الذي قد يرتفع بعروض الصفة المحسنة. وقد أشرنا الى ان نفس الإذن الشرعي او التكليف به يكشف عن عروض تلك الصفة وإن لم نعرفها بعينها.

وربما تكون المصلحة في ذلك فضح بعض الحركات، كحركة الخوارج أو حركة معاوية مع الامام الحسن عليه السلام . وربما يكون الغرض من ذلك مكافأة الامام المعصوم، بأن تجعل آخر حياته شهادة في سبيل الله، لأنهم عليهم السلام انما قتلوا لا لأجل مشكلة شخصية، بل لأجل ما يمثلون من خط ودين. فموتهم عليهم السلام واستشهادهم عليهم السلام جزء من الصراع بين الحق والباطل، وليس هناك مكافأة الهية لهم أكثر من أن يموتوا شهداء في هذا الخط. وقد تكون المصلحة في ذلك أمرا آخر لم نصل الى كنهه بعد.

البحث الرابع:

في العمليات الاستشهادية

كان هناك تشويش كبير لدى الأذهان حول مشروعية العمليات الاستشهادية، وربما نجد بعضهم يسوق الحرمة سوق المسلمات، ويدرج تلك العمليات تحت عنوان العمليات الانتحارية، والمؤمنون العارفون يصنفونها تحت عنوان العمليات الاستشهادية. فمن المناسب ان نقتنص فائدة من كربلاء، ونقدم بحثا مختصرا حول العمليات الاستشهادية من منظور شرعي.

صعوبة البحث:

ومن الواضح أن هذا البحث لا يخلو من صعوبات، والصعوبات تنشأ من جهات متعددة:

فهو بحث لم يتعرض له العلماء عموما في ضمن بحوثهم الفقهية، الأمر الذي يتطلب جهدا متميزا للوصول إلى نتيجة موضوعية في هذا الباب، بعيدا عن الهوى.

وهو بحث يخالف ما ارتكز في الأذهان او اشبعت به من أن قتل النفس كيفما كان محرم، وهذا يجعل المسألة بحكم البديهيات، وبالتالي سيشعر الباحث وكأنه يزعزع أسسا ويهد ركائز قد ثبتت دهورا طويلة، ولم يحاول

أحد أن يعرض هذه المسألة للتشريح والبحث. نعم هناك اجابات قدمها بعض الفقهاء حول مشروعية العمليات الاستشهادية، لكن هذه الأجوبة لم تكن لتبعث على الاطمئنان بالنسبة للكثير من الناس. بل إن بعض العلماء قد يشعرون بالضيق وهم يقرأون مثل هذه الاجابات انطلاقا من مسلمات عرفية أكثر مما هي مسلمات شرعية. وهذا يدل على مدى تغلغل تلك الأفكار في النفوس ومدى صعوبة مواجهتها ببحث علمي موضوعي.

إضافة إلى أن العمليات الاستشهادية تعتبر من المسائل المستحدثة، فإنه أمر لم يعهد مثله في الشريعة ولا في سيرة الرسول ﷺ أو سيرة أهل البيت عليهم السلام في العمليات الجهادية. وهذا يوجب الحذر الشديد تجاه هذه العمليات.

ولكن:

لكن هذا كله لن يكون مؤثرا سلبيا في شرعية العمليات الاستشهادية، إن توفر الدليل الصالح لها. فإنه من المعلوم ان ثبوت الشرعية لا يتوقف على وجود نظير في التاريخ، للموضوع المطروح للبحث. كما أن مجرد وجود نظير له في التاريخ لن يكون كافيا لإثبات شرعية العمل ما لم يكن المسوغ للنظير هو نفسه مسوغاً لما نظر له، أي ما لم تكن العلة القطعية الموجبة لثبوت الحكم أو العنوان الذي اخذ في موضوع الحكم الشرعي مشتركا بينهما. وإلا فمع عدم القطع بالعلية أو عدم احراز العنوان الذي ثبت له الحكم الأول، لا مجال لتعميم حكم الى الموضوع الثاني.

فالعبرة إذن في إثبات شرعية العمليات الاستشهادية، تكمن في العثور على عموم أو إطلاق يدل عليها، من دون وجود ما يمنع من هذا العموم والإطلاق، أي مع عدم وجود المقيد والمخصص.

وعليه فالبحث يقع من جهتين:

الأولى: في وجود دليل يدل بعمومه على شرعية تلك العمليات الاستشهادية.

والحقيقة اننا لن نجد صعوبة في العثور على مثل هذا العموم أو الاطلاق الدالين على الشرعية المذكورة، سواء من القرآن أو في السنة.

أما القرآن الكريم: ففيه جملة من الآيات الدالة على ذلك، وعلى سبيل النموذج نذكر:

١ ـ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾[1].

وحيث ان العمليات الاستشهادية مما يصدق عليها أنها مقاتلة للذين يقاتلوننا، وأن هذه المقاتلة هي في سبيل الله، لأن مفروض البحث كون المقاتل إنما يقاتل في سبيل الله تعالى بهذه العملية. ووقوع القتال في سبيل الله لا يعني أكثر من أن يكون الهدف هو رضا الله تعالى، أو يكون القتال في سبيل تحقيق الأهداف الإلهية، وكلا الأمرين محرزين في العمليات الاستشهادية حسب الفرض.

نعم لو ظهر دليل يمنع من العمليات الاستشهادية لخرج عن كونه من القتال في سبيل الله تعالى، إذ لن يكون في سبيله تعالى إذا كان الله غير راض عن الفعل. لكن هذا الدليل لو ظهر سيكون مقيدا، ولن يكون، بأي حال من الأحوال، مانعا من ظهور الآية في الإطلاق. والذي نريده الآن ان ندل على الإطلاقات، ثم في مرحلة لاحقة نناقش ما قد يدعى كونه مقيدا لها.

وهم عدم شمول الإطلاقات.

ثم إنه ليس لأحد أن يدعي: ان القتال بالعمليات الاستشهادية فرد

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠.

حادث لم يكن موجودا في عصر نزول الآية المذكورة ونحوها من الآيات، والاطلاق لا يشمل الا الأفراد المعهودة في زمن النص.

والسبب في ذلك أن الإطلاق يشمل كل الأفراد، سواء كانت موجودة بالفعل في زمن النص ام تلك التي ستوجد فيما بعد، كما يقال مثل ذلك في التمسك بآية ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1]، لاثبات شرعية ولزوم العقود التي لم تكن معروفة في زمن نزول الآية بل استحدثت فيما بعد، كعقد التأمين مثلا، مع ملاحظة كل الشروط التي دلت عليها النصوص الشرعية في لزوم او شرعية العقود. فمن حيث المبدأ ليس هناك ما يمنع من التمسك بالاطلاق لاثبات الشمول للأفراد المستحدثة.

نعم هناك حالة تمنع من هذا التمسك، وهي ما لو كان التقييد المخرج لتلك الأفراد المستحدثة على تقدير عدم ارادتها غير ممكن اثباتا. وهذه الحالة ليست مما نحن فيه، لأنه كان يمكن التقييد بذكر شرط يمكن فهمه في تلك العصور، أو بأن تأتي الروايات المفسرة للقرآن الكريم، وتبين تلك القيود. فالتقييد ممكن ولو بالمقيد المنفصل، وبالتالي يكون الاطلاق حجة عند عدم وجود المقيد.

كما أنه يمكن المنع من التمسك بالاطلاق في حالة أخرى، لا تختص بهذه الآية بل بأغلب الآيات، وهي أنه يشترط في التمسك بالاطلاق ان يكون المتكلم في مقام البيان، والحال انه قد يدعى أن هذه الآيات وأمثالها ليست في مقام البيان من هذه الجهة. وهذه الدعوى تحتاج الى دليل، ولا يكفي مجرد الاحتمال، كما هو ثابت في علم الأصول، فما لم يثبت ذلك يتم التعامل مع الآية على أنها في مقام البيان[2].

---

(١) سورة المائدة الآية ١.

(٢) ونكتفي بهذا المقدار بعد أن سرح بنا القلم وأخذنا نحو المنهج الفقهي في البحث أكثر مما أردنا.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١].

والآية في سياق مدح الذين يقتلون في سبيل الله تعالى وذكر البشارة لهم بالجنة. ومن المعلوم أن المستشهد بتلك العمليات، حيث كان يهدف إلى نيل رضا الله تعالى، وإعلاء كلمة الله تعالى وعزة الإسلام، والدفاع عن بلاد المسلمين وأرضهم ونفوسهم وأموالهم، يصدق عليه أنه قتل في سبيل الله. ولم يؤخذ في الآية أن يكون القتل بنحو مخصوص، أو قد حصل بيد العدو. فلو أريد تقييد الآية بكون القتل بيد العدو لاحتاج إلى مقيد، فعلى مدعي التقييد إبراز هذا المقيد.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[٢].

ولا ريب في أن العمليات الاستشهادية مما ينطبق عليها عنوان الجهاد في سبيل الله.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ولا ريب أن المستشهد بالعمليات الاستشهادية من خيرة المحسنين إذ أنه بذل نفسه في سبيل الله.

٥ ـ قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٢) سورة الأنفال الآية ٧٤.

(٣) سورة التوبة الآية ٩١.

(٤) سورة التوبة الآية ١١١

وبذل النفس من خلال عملية استشهادية بذل لها لله تحقيقا لهذا الاشتراء.

والآيات التي هي من هذا القبيل والشاملة بعمومها وإطلاقها للعمليات الاستشهادية كثيرة نقتصر على هذا المقدار منها.

أما السنة: ففيها الكثير من النصوص أيضا الدالة بعمومها أو إطلاقها على شرعية تلك العمليات وعلى سبيل المثال نذكر:

١ ـ ما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرة دم في سبيل الله»[١].

ولا ريب أن الدماء التي تسقط من الشهيد في تلك العمليات هي قطرات في سبيل الله.

٢ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر»[٢].

ولا ريب أن القتل في عملية استشهادية من القتل في سبيل الله.

والنصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الدالة بعمومها وإطلاقها على شرعية تلك العمليات كثيرة، نقتصر أيضا على هذا المقدار منها.

---

(١) الوسائل الجزء ١١ ص ٦. طباعة دار الكتب الإسلامية.

(٢) المصدر السابق ص ١٠.

دعوى التقييد:

من الواضح ان مدعي عدم الشمول عليه أن يدعي أحد أمرين:

إما أن العنوان المأخوذ في الآيات لا يشمل تلك العمليات، فيقال إنها ليست من الجهاد في سبيل الله، وليست من القتال في سبيل الله، وليست من مصاديق الاشتراء، وليست من الإحسان.

وإما أن يدعي أنها شاملة، لكن هناك مقيد أخرج تلك العمليات من تحت تلك العمومات والإطلاقات باعتبار أنها قتل للنفس.

أما الدعوى الأولى فهي غير صحيحة بل إن سلب تلك الأوصاف عن تلك العمليات لا يستند الى وجه لا عقلائي ولا عرفي ولا عقلي.

أما الدعوى الثانية فتحتاج الى تفصيل:

ذلك ان التقييد إما ان يكون الدليل عليه هو الاجماع، ومن الواضح أنه لا يصح الاستدلال به هنا لنفي مشروعية العمليات الاستشهادية، لأن هذه المسألة مستحدثة لم يتطرق لها العلماء السابقون القريبون من عصر النص حتى نعرف رأيهم. ومن المعلوم ان الاجماع الذي يكون حجة هو الاجماع الكاشف عن رأي المعصوم وهو مختص باجماع القريبين من عصر النص.

بل يمكن ان يقال إن الراجح أنهم لو سئلوا لقالوا بشرعيتها، لكنهم لم يدوّنوا شيئا بهذا الخصوص لعدم ظهور هذه المسألة في تلك العصور، لعدم توفر التقنيات التي تسمح بالقيام بجهاد من هذا النوع، وبعمليات استشهادية تودي بالعدو إلى خسائر فادحة بالأرواح أو خسائر سياسية مهمة، تضطره للتراجع عن ظلم المسلمين والمستضعفين.

وإما ان يكون المستند في ذلك آيات أو روايات. ومن المفيد هنا ان ننظر الى بعضها التي قد تكون مستندا في هذه الدعوى. ونذكر لذلك نماذج من هذه الآيات والروايات:

أولا: الآيات دلت على أن قتل النفس من الكبائر، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[١].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[٢].

٣ ـ وقوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٣] قد تقدم ذكرها.

لكن الاستدلال بهذه الآيات على حرمة العمليات الاستشهادية ضعيف غاية الضعف.

أما الآية الأولى فهي بصدد بيان حرمة قتل نفس حرم الله قتلها ونحن كلامنا هو في أن قتل النفس في سبيل الله بكل ما تعنيه هذه الكلمة هل هو مما حرمه الله أم لا، فالتمسك بهذه الآية من التمسك بالعام في الشبهة المصداقية، بل الاطلاقات السابقة تدل على انه ليس مما حرمه الله تعالى.

أما الآية الثانية فهي تتحدث عن قتل بعضنا البعض ولا دخل لهذا بالبحث الذي نحن فيه. ولو فرض أنها شاملة لقتل النفس، فقد دلت الآية على أن ذلك محرم باعتباره من مصاديق العدوان والظلم، ولم تثبت حرمته بالمطلق. ونحن كلامنا في أن القتل بعملية استشهادية في سبيل الله هل هو عدوان وظلم حتى يحرم أم لا حتى لا يحرم. وقد ذكرنا أن مقتضى العمومات والاطلاقات انها ليست كذلك.

أما الآية الثالثة فقد أطلنا الكلام فيها فيما سبق فلا داعي لأن نعيد.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٣.

(٢) سورة النساء الآيتان ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥.

ثانيا: نصوص من السنة دلت على حرمة قتل النفس. وعلى سبيل المثال نذكر ما يلي:

١ ـ رواية أبي ولاد الحناط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من قتل نفسه متعمدا فهو في نار جهنم خالدا فيها»[١].

٢ ـ وكرواية ناجية عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة إلا أنه لا يقتل نفسه»[٢].

لكن من الواضح أن هذه الروايات منصرفة عن القتل الذي نتحدث عنه، بل هي تتحدث عن قتل النفس في غير سبيل الله تعالى. ولذا فإنها لا تشمل مثلا ما إذا فرضنا أن إنقاذ النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام قد توقف على أن يقتل الإنسان نفسه بيده. فليس في هذه النصوص إطلاق لما نحن فيه حتى يستدل بها على حرمة موردنا، خصوصا بعد صدق عنوان الجهاد والقتال في سبيل الله على هذا المورد. فالنصوص المذكورة تتحدث عن حالة الانتحار.

ثم لو سلم أن النصوص شاملة لهذا المورد فهي معارضة بإطلاقات آيات القرآن الكريم، والنسبة بين الآيات وبين النصوص هي العموم من وجه، وليس العموم والخصوص المطلق حتى تكون النصوص مقيدة للآيات. إذ الجهاد منه ما يكون بقتل النفس، ومنه ما يكون بغير ذلك. وقتل النفس منه ما يكون في حالة الجهاد، ومنه ما يكون في غير هذه الحال. ومع كون النسبة هي العموم من وجه يقع التعارض في مورد الاجتماع وهو قتل النفس في حالة الجهاد، إذ مقتضى الآيات جوازه أو وجوبه ومقتضى الروايات الحرمة، لو فرضنا شمولها له، ولا ريب أنه إذا حصل هذا التعارض يقدم القرآن الكريم، لما دل على وجوب طرح ما عارض الكتاب. والنتيجة أن الروايات المذكورة

---

(١) كتاب القصاص من وسائل الشيعة المجلد التاسع عشر الباب الخامس.

(٢) المصدر السابق.

تكون خاصة بموارد قتل النفس في غير حالة الجهاد، أي في غير سبيل الله تعالى، أي قتل النفس بغير حق.

والخلاصة أن النصوص دلت على أنه لا مانع من مثل هذه العمليات بل والعقل أيضا، ولم يظهر دليل يمنع منها. بل يمكن أن يقال إن لدينا شواهد تاريخية على جواز مثل هذه العمليات في الإسلام فكربلاء خير مثال على العمليات الاستشهادية، إذ لا فرق لا في نظر الشرع ولا في نظر العقل في العملية الاستشهادية، بين أن يذهب الإنسان ويقف بين مجموعة يعلم أنه مهما قاتل سيقتل، وبين أن يقف بينهم ويفجر نفسه ويقتل جمعا منهم لهدف رباني. فلو كان هذا محرما لكان محرما في الحالتين معا.

نعم قتل النفس في غير سبيل الله مما نقطع بحرمته، كالقتل عبثا أو انتحارا، نتيجة يأس من رحمة الله أو غضب يتسلط على الإنسان فيفقده كل أمل. وهذه الحرمة مما تسالمت عليها الشرائع والأديان بل اعترفت بها التشريعات الوضعية وسلمت بقبحها.

وليس كلامنا في قتل النفس عبثا أو لغرض دنيوي أو ليأس من رحمة الله تعالى بل كلامنا في قتل النفس في سبيل الله تعالى بما هو مفردة من مفردات الجهاد بسبب التقنيات المستحدثة التي أظهرت هذا المصداق لقتال العدو.

مؤيدات:

ويؤيد المشروعية المذكورة ما حكاه القرآن لنا في قصة النبي يونس عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ * فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[1].

قال العلامة الطباطبائي: .. وركب البحر في فلك مشحون، فعرض لهم

---

(١) سورة الصافات الآيات ١٣٩ ـ ١٤٢.

حوت عظيم لم يجدوا بدا من أن يلقوا إليه واحدا منهم يبتلعه وينجو الفلك بذلك فساهموا وقارعوا فيما بينهم فاصابت يونس عليه السلام فألقوه في البحر فابتلعه الحوت ونجت السفينة[1].

وفي هذه الحكاية ما يدل على جواز التضحية بالنفس من أجل هدف هو أسمى من الحفاظ على النفس. فقد كان عليه السلام في سفينة، وجاءها حوت وقد علم من في السفينة أن لا سبيل لهم للنجاة إلا برمي أحدهم، فاقترعوا بينهم فجاءت على يونس الذي ألقي أو رمى بنفسه في الماء والتقمه الحوت. صحيح أن حياة النبي يونس عليه السلام هي أهم من حياة جميع الآخرين لكنهم لم يكونوا يعرفون نبوته، كما ان العلم بالنبوة يصبح تفصيلا في المسألة لا علاقة له بأصلها، فإن الآية أظهرت فيما أظهرته في الحكاية أن تلك الطريقة التي اتبعت تعبر عن سلوك اجتماعي عقلائي مقبول. ولا دخل لعلم الله تعالى في هذه القضية بأن يونس كان سينجو لأن الكلام في ظاهر الفعل ومدلولاته، خاصة وأن الآية لم تعقب تلك الحكاية بما يدل على فساد تلك الطريقة، كما ان النصوص الواردة من السنة الشريفة المفسرة للآيات المذكورة لم تعقب عليها بما يدل على انها طريقة غير مرضية بل دلت على العكس من ذلك وأشارت الى ان القرعة في تلك الحالة كانت من العدل. مثل ما عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم الى الله عز وجل الا خرج سهم الحق. وقال: أي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر الى الله؟ أليس الله عز وجل يقول: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[2]»[3].

ومن المعلوم أنه لا يحسن القول: إن الذين كانوا على السفينة لم يكونوا من أهل الإيمان، وبالتالي فلا دلالة في تصرفهم على شرعية عملهم.

---

(١) تفسير الميزان ج ١٧ ص ١٦٦.

(٢) سورة الصافات الآية ١٤١.

(٣) فتح الأبواب للسيد ابن طاووس الحلي الباب الحادي والعشرين ص ٢٧١.

وذلك لأننا نستدل بالإمضاء والتقرير لهذا السلوك وليس بالسلوك نفسه مباشرة. ومن المعلوم انها لو كانت طريقة غير مرضية لوجب التنبيه حتى لا يتلقاه قارئ القرآن بالقبول من دون تنبه.

بل إن الذي قام به أهل السفينة هو ما يحكم به العقل، ولا يحتاج ذلك إلى إذن شرعي، لأن العقل يدرك حسن أن يرمي المرء بنفسه في الموت لينقذ جماعة من الناس، بحيث كانت هناك أهمية خاصة لإنقاذهم وإن استند ذلك إلى القرعة أو إلى أمر ولي الأمر إن كان موجودا.

نعم ربما يناقش ما قلناه: بأن أهل السفينة كانوا سيموتون كلهم فموت أحدهم لإنقاذ الجماعة يختلف عما نحن فيه، إذ لو لم يرمي المرء بنفسه كان سيموت مع الجماعة.

لكن يرده أنه ربما لو عاند ولم يرم بنفسه لرمى غيره بنفسه، فرغم وجود هذا الاحتمال لم يعاند بل استسلم للقرعة استسلام المستسلم لعقلائية الأمر.

تنبيه:

كل ما تقدم إنما يعبر عن المشروعية من حيث المبدأ، لكن عند التطبيق لا بد من الحذر والتنبه إلى أنه لا يجوز القيام بأي عملية، بحجة أنها عملية استشهادية، أو أنها جهادية. إذ تشخيص أن العملية هي عملية استشهادية جهادية أمر لا يخلو من دقة وصعوبة، لأن الأمر ليس منوطا بمحض النية الصالحة، بل منوط أيضا بالمصالح والنتائج المترتبة على هذه العمليات، فيجب أن تكون تلك المصالح أهم من حفظ النفس. وحيث أن تقدير الأهمية مما قد يختلف فيه الناس، وجب الرجوع إلى من رأيه نافذ ومبرئ للذمة، وليس إلا من بيده ولاية الأمر المتمثلة بولاية الفقيه، فهو أو من يوكله في ذلك وحدهما المؤهلين لإعطاء التشخيص السليم بعد استشارة أهل الخبرة العسكريين والسياسيين أما تشخيص غيره فإنه لا يكون مبرئا للذمة لو تبين أنه

غير موافق للواقع، اذ نكون قد وقعنا في محذور حرمة قتل النفس المتسالم عليه.

ومما ذكرنا في مسألة قتل النفس الجهادي يمكن الإطلالة على بعض الأعمال التي ربما يقوم بها العقلاء مثل الإضراب عن الطعام والشراب المؤدي للموت في سبيل هدف عظيم فليس هذا العمل بالقبح الذي قد يتصور إن كان بإشراف ولي الأمر.

الفصل الثالث:

لماذا ثار الامام الحسين عليه السلام

ولم يثر غيره من الأئمة عليهم السلام ولماذا رفض الامام عليه السلام ان يبايع وقد بايع غيره وما هي الأهداف التي كان يسعى اليها الامام الحسين عليه السلام

تمهيد:

نعرض فيه مختصر ما جرى تاريخيا من حوادث سبقت كربلاء. ومن شاء التفصيل فليراجع الكتب المفصلة. والمعروف هو ما يلي:

عندما تبين للامام الحسن عليه السلام ان الظروف الموضوعية المطلوبة للاستمرار بالقتال مع معاوية من أجل ابقاء اليد على الحكم غير متوفرة، وافق على عقد الصلح مع معاوية الذي شهد عليه وجوه الصحابة والتابعين ممن حضروا مجلس الصلح، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، يتنازل الإمام عليه السلام بموجبه عن الحكم لمعاوية وفق الشروط التالية:

١ ـ أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه.

٢ ـ ارجاع الحكم الى الامام الحسن عليه السلام بعد وفاة معاوية فإن توفي الامام الحسن عليه السلام فلأخيه الامام الحسين عليه السلام.

٣ ـ ان يترك معاوية سب امير المؤمنين علي عليه السلام.

٤ ـ اعطاء الأمان لشيعة علي عليه السلام في جميع الأصقاع.

٥ ـ ايصال كل حق الى صاحبه.

ورغم أن عقد الصلح يقتضي اعتراف معاوية بأن الإمام الحسن عليه السلام هو الخليفة الشرعي، حتى بالمعايير التي سنها الخلفاء السابقون، وبالتالي فإن تنازله إن كان مقيدا وجب رعاية تلك القيود. إلا أن معاوية لم يلتزم بأي شرط من تلك الشروط، وبادر الى نقض الصلح، فلم يهتم بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه ولم يدع سب امير المؤمنين عليه السلام ولم يتورع عن ملاحقة شيعة علي عليه السلام والتضييق عليهم واغتيال بعضهم، والقبض على آخرين وقتلهم. كما لم يلتزم بارجاع الحكم الى أهل البيت عليهم السلام .

ولو فرضنا ان هذا الشرط غير ملزم، أو فرضنا ان الشرط هو ارجاع الأمر من بعد معاوية الى اختيار الأمة كما قيل فإن هذا أيضا لم يلتزم به معاوية، بل اغتال الامام الحسن عليه السلام ، وجعل ولاية العهد ليزيد على ان يكون هو الحاكم من بعده، وفرضها على المسلمين فرضا.

تبرم الشيعة:

بدأ الشيعة يظهرون تبرمهم مما آلت اليه الأمور، وبدأوا يرسلون الرسائل الى الامام الحسن عليه السلام تارة والامام الحسين عليه السلام تارة أخرى، يطلبون منهما الثورة. وكان الجواب بالصبر والتريث، وبعض الاجابات كانت تدعو لانتظار موت معاوية.

كان يعلم معاوية ان الإمام الحسن عليه السلام الطرف الآخر في عقد الصلح سيكون العقبة الأساسية فيما يخطط له من البيعة ليزيد ولذا عمل على اغتيال الامام الحسن عليه السلام .

وبعد ان استشهد الامام الحسن عليه السلام عام خمسين للهجرة، بدأ الضغط الشيعي يزداد على الامام الحسين عليه السلام ، فتحرك الشيعة وعقدوا الاجتماعات، وارسلوا الرسائل والرسل الى الامام الحسين عليه السلام يدعونه للثورة، وأنهم

مستعدون لكل شيء. ومع ذلك كان جواب الامام عليه السلام التريث والصبر وفي بعض اجوبة الامام عليه السلام : «ليكن كل امرئ منكم حلسا من احلاس بيته، ما دام هذا الرجل حيا. فإن يهلك وانتم احياء، رجونا ان يخير الله لنا ويؤتينا، ولا يكلنا الى انفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا وهم محسنون».

مع ذلك لم تهدأ الشيعة، ولم تكف عن بعث الوفود والرسائل، حتى وصل الأمر الى معاوية، لأن حركة الشيعة كانت في كثير من جوانبها استعراضية، ولم تكن تراعي الشروط الأمنية المطلوب رعايتها في أمثال هذه الحالات، وقد كان معاوية يهيّىء لفكرة جعل يزيد وليا للعهد. حينها ارسل الى الامام الحسين عليه السلام رسالة يحدثه فيها عما بلغه، ويحذره من شق عصا هذه الأمة والفتنة.

فأجابه الامام عليه السلام في كلام طويل يقول له إنه لم يقرر الحرب عليه، وان كان يستحق ذلك، ويذكره بما فعله مع حجر بن عدي، واصحابه المصلّين العابدين وعمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما أخذ الأمان، وعدد له جرائمه التي ارتكبها، واخذه الناس بالظنة والتهمة، وما يسعى له من البيعة ليزيد.

معاوية يبايع ليزيد:

وبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بمدة قيل انها ست سنوات، وقيل أقل من ذلك، بايع لولده يزيد بالشام، وطلب معاوية من ولاته تحصيل البيعة من الناس.

في المدينة جمع مروان بن الحكم، وهو والي المدينة، قبل الأشدق، الناس للبيعة وكان من الحاضرين الامام الحسين عليه السلام وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فأنكروا عليه ذلك.

جاء معاوية الى المدينة ليحاور القوم في ذلك، فاجتمع معهم، وتحدث

عن مبرراته في جعل يزيد خليفة من بعده وزعم ان له صفات مهمة تليق بالحكم من علم بالسنة والقرآن وحلم وغير ذلك.

فرد عليه الامام الحسين عليه السلام ردا مطولا بيّن له فيها ان يزيد معروف للجميع، ولن تتمكن من ايهام الناس بما ليس فيه، وهو مفضوح للناس بما لا يقبل أي تحايل في وصفه وغش الناس به، وطالبه بإرجاع الحق الى اهله.

فظهر على معاوية الغضب وصمم على اخذ البيعة بالقوة والاجبار، وصار يروج ان يزيد خير للأمة من الحسين عليه السلام . وكتب الى عماله بمدح يزيد، وايفاد الوفود اليه، فبايع أهل العراق والشام، رغم ان كتب اهل العراق لم تكن تنقطع الى الامام الحسين عليه السلام يطلبون فيها الثورة.

مشروع الثورة:

هنا بدأ الامام الحسين عليه السلام يهيىء للثورة، فجمع الناس في مكة في موسم الحج، ودعا وجوه الصحابة والتابعين لاجتماع في مكة ممن شهد الموسم من الناس، وخطب فيهم يذكرهم بمقامه، وينبههم من خطورة ما آلت اليه الأمور، وكان ذلك قبل موت معاوية بسنتين.

وبعد ان بايع اهل الكوفة وغيرهم، كتبوا الى الامام الحسين عليه السلام يدعونه للثورة لانقاذ الأمة فأجلهم الامام الحسين عليه السلام .

علم ابو سعيد الخدري بمكاتبة اهل الكوفة للحسين عليه السلام فتوجه اليه، وقال له: «انهم قوم لا وفاء لهم ولا ثبات ولا عزم على امر ولا صبر على السيف»، وحدثه بما سمعه من امير المؤمنين عليه السلام : «والله لقد مللتهم وابغضتهم، وملوني وابغضوني، وما يكون منهم وفاء قط. ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب».

توفي معاوية سنة ستين للهجرة في شهر رجب، وكان قد اوصى الى

يزيد: انه قد هيأ له الحكم واخضع له الرقاب وأعلمه انه لن ينازعه على هذا الأمر الا ثلاثة من قريش، الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وان لا خطر من ابن عمر «واما الحسين بن علي فإن اهل العراق لن يدعوه حتى يخرج فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه..».

استلم الحكم يزيد، فأعلن الحرب على كل من لا يبايعه، وكتب لواليه في المدينة ابن الأشدق بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام «اخذا شديدا لا رخصة فيه فمن يأبى فاضرب عنقه وابعث الي برأسه». فبعث والي المدينة الى الامام الحسين عليه السلام يطلب منه البيعة، فرفض الامام عليه السلام وقرر الخروج من المدينة باتجاه العراق.

نعود الى السؤال الأصلي وهو لماذا رفض الامام الحسين عليه السلام ان يبايع وقد بايع غيره؟ ولماذا ثار الامام الحسين عليه السلام ولم يثر غيره؟.

تمهيد:

وقد صغنا السؤال بهذه الصيغة، لأن هناك صيغة تطرح بطريقة أخرى تتضمن مظلومية للإمام الحسن عليه السلام وهي: لماذا ثار الامام الحسين عليه السلام وصالح الامام الحسن عليه السلام؟. وهذا السؤال يفترض ضمنا ان هناك خصوصيات في الشخصيتين، دعت الأول للثورة والثاني للصلح. وقد حاول بعض رواة الأحاديث تركيز هذا المضمون، وقد تلقاه الكثيرون بالقبول وبعضهم تلقاه كاحتمال، حتى صار هذا التساؤل بهذه الصيغة هو المرتكز في أذهان غالب المثقفين والمسلمين.

إن السؤال حقيقة يجب ان يتوجه بالصيغة التي طرحناها، لأن الثورة لم يقم بها غير الإمام الحسين عليه السلام من الأئمة عليهم السلام، وسيقوم بها ايضا الامام الثاني عشر عليه السلام، بينما الأئمة الآخرون عليهم السلام لم يتخذوا هذا المنحى. فهنا يصبح السؤال مطروحا على مستوى الامامة ككل، وليس خاصا بالامام الحسن عليه السلام. ولذا ستجد ان الجواب الذي سنقدمه لن ينحصر بالامام الحسن عليه السلام بل سيكون مفسرا لحركة الامامة ككل.

تعميم السؤال:

بل يمكن ان يطرح السؤال بشكل أكثر تعقيدا وهو: لماذا لم يثر الامام الحسين عليه السلام ايام معاوية وثار ايام يزيد؟ وهل لو كان الامام الحسن عليه السلام حيا في ايام يزيد لاختار الثورة ام لا؟. فليس فقط ان الامام الحسن عليه السلام لم يثر ايام معاوية، بل ان الامام الحسين عليه السلام نفسه لم يثر ايام معاوية، علما ان الامام الحسن عليه السلام استشهد في حوالى عام خمسين للهجرة، وبقي الامام الحسين عليه السلام في عهد معاوية مدة عشر سنين، كان فيها الإمام الحسين عليه السلام هو الامام وهو القائد السياسي والزعيم الأوحد الحقيقي للمسلمين.

إن الظروف التي دعت الامام الحسن عليه السلام لعدم الثورة ايام معاوية، هي نفسها التي دعت الامام الحسين عليه السلام لذلك ايضا، فاختار طريق المسالمة، وهي ذات الأسباب التي ستدعو سائر الأئمة عليهم السلام لذلك ايضا، مثلما كانت هي التي دعت الامام علياً عليه السلام لاختيار طريق المسالمة، وان كان هناك فارق في ظروف كل امام على حدة، لكن هناك عناصر مشتركة في حياة الأئمة عليهم السلام، كانت هي الدخيلة بشكل اساسي وجوهري في اتخاذ هذا الموقف، بما فيهم الامام الحسين عليه السلام ايام معاوية.

هل التزم الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام بالصلح:

لقد قيل ان الذي دعا الامام الحسين عليه السلام لعدم الثورة على معاوية هو عقد الصلح المبرم بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية. وهذا القول رغم ورود بعض الروايات الدالة عليه يحتاج الى تدقيق، لأن عقد الصلح عقد بين طرفين وليس ايقاعا يتحقق من طرف واحد. والامام الحسن عليه السلام وان عقد صلحا مع معاوية، لكن معاوية نقض ذلك الصلح من اليوم الأول، وخالف كل بنوده الى أن كانت خاتمة تلك المخالفات اعلان ولده يزيد ولي عهد بعده، علما أن عقد الصلح كان يشترط على معاوية ان تكون الخلافة من بعده الى الامام

الحسن عليه السلام ، فإن لم يكن عليه السلام حيا فللامام الحسين عليه السلام . والصلح اذا انتقض من طرف معاوية، لا يبقى معنى لأن يقال انه بقي من جهة الامامين عليهما السلام فقط بحيث تتأثر حركتهما به.

نعم الذي حصل هنا انه رغم نقض الصلح استمر الامامان بحالة المسالمة، ولكن هذا غير الالتزام بعقد الصلح. وحالة المسالمة لا تحتاج الى طرفين، ولا تشكل عقدا بل هو موقف يتخذه شخص في ظرف معين من دون أي تنسيق او اتفاق مع الطرف الآخر المفترض انه الخصم، فهو اشبه بالايقاعات. ويمكن ان يكون مقصود الروايات التي ذكرت ان الصلح هو السبب في المسالمة الإشارة إلى ان الذي دعا الى عقد الصلح هو نفسه يدعو الى المسالمة والبقاء على الصلح.

فالذي نستطيع قوله ان الامامين الحسن والحسين عليهما السلام قد اختارا طريق المسالمة ايام معاوية، ولم يريا مبررا للثورة، بمعنى انه لو وجدا المبرر لقاما بالثورة على معاوية دون اعتناء بما يسمى بعقد الصلح، بعدما نقضه معاوية وجاهر بنقضه أمام وجوه الصحابة والتابعين الذين شهدوا على عقد الصلح.

وسنبين فيما بعد ما نفهمه من المبررات التي قد تدعو الائمة عليهم السلام للثورة. والأئمة عموما اختاروا في حركتهم طريق المسالمة مع الأنظمة ومهادنتها، كما أشرنا، مع التخطيط الضمني لتحقيق مقدمات الثورة. ولكنهم لم يوفقوا لذلك حتى كانت الغيبة الكبرى، التي لنا حديث خاص بشأنها وعلاقتها بحركة أهل البيت عليهم السلام عموما وبكربلاء خصوصا.

ثلاثية الثورة والهدف والظروف:

وقد دلت حركة الأئمة عليهم السلام على ما تقر به كل العقول، من انه لا بد للثورة من هدف. وطبيعة الهدف هي التي تحدد ما اذا كان الهدف محتاجا الى ثورة ام لا. وهي التي تحدد الشروط المعتبرة في الثورة على تقدير الحاجة

اليها، وبالتالي هو الذي يحدد امكانية القيام بتلك الثورة. كما انها هي التي تحدد ما اذا كانت الثورة مطلوبة، ولو ادت الى الاستشهاد ام انها مطلوبة شرط ان لا تؤدي الى ذلك.

وبناء عليه فعندما نريد ان نحلل حركة الأئمة عليهم السلام، ونكتشف التمايز بين اسلوب هذا الامام وذاك، علينا ان نفتش عن الهدف المتاح في عصر كل واحد منهم، أو الهدف المتمثل أمامهم في ذلك العصر. فإنه على ضوء ذلك نستطيع ان نتفهم بشكل معقول لماذا اختار كل منهم الموقف الذي اختاره. وليس من المنهجية في شيء، او من الانصاف في شيء ان نفرض هدفا مسبقا على الأئمة عليهم السلام، ثم نتساءل لماذا لم يعملوا على تحقيقه، بل المفروض ان نسأل: هل هذا الهدف الذي افترضناه كان ملحوظا لهم عليهم السلام أم لا؟ فإن لم يكن ملحوظا نتساءل لماذا لم يكن كذلك؟. وإن كان ملحوظا نسأل هل كانت حركتهم باتجاه هذا الهدف أم لم تكن؟.

بهذه الطريقة يمكننا ان نتفهم قدر الامكان حركة الائمة عليهم السلام بشكل صحيح، فلا نعود ننظر الى حركة كل واحد منهم على انها منفصلة عن حركة الآخرين. وبهذا توضع كربلاء في سياقها الطبيعي لحركة الامامة، كما يوضع صلح الامام الحسن عليه السلام في هذا السياق الطبيعي، وكذا حركة الأئمة عليهم السلام الآخرين. وقلة هم الباحثون الذين اهتموا بالنظرة الى كربلاء وصلح الامام الحسن عليه السلام من هذا المنظار.

ومن المعلوم ان النظرة الى حركة أهل البيت عليهم السلام ليست نظرة تجزيئية، بمعنى أن ننظر الى كل إمام على حدة، بل هي نظرة متكاملة كما لو كنا ننظر الى حركة شخص واحد على مدى عشرات السنين، فإنهم رغم تعددهم عليهم السلام يتصرفون كشخص واحد، والذي يختلف هو الظرف وليس المبنى، والخطة وليس الفكر.

الأئمة عليهم السلام والسعي للحكم:

ومن خلال نظرة شمولية لحركة الأئمة عليهم السلام عموما، نجد أن كل واحد منهم عليهم السلام كان يعمل على توفير كل الظروف الملائمة لاستلام الحكم، من دون ان ينحصر تخطيطه بعصره، بل كان يلحظ طول الزمان والأجيال اللاحقة والامام الآتي بعده. فكل معصوم كان يخطط، وفي تخطيطه انه ان لم يتمكن هو من الوصول الى هذه النتيجة فهناك من سيكمل المشوار. ولم يكن يغني العلم المسبق بعدم استجابة الناس مع التخطيط المذكور عن القيام به، بمعنى ان هذا العلم لن يكون مانعا عن التخطيط والسعي لتهيئة كل المقدمات المطلوبة للوصول الى ذلك الهدف، لأن هذا الدور التخطيطي كان هو الحجة التي القيت على الأمة، وكان هذا الإبعاد لهم عن الساحة من جراء ذلك الخذلان. فلو ترك الأئمة عليهم السلام العمل المذكور لكانت حجة الناس على الائمة اقوى، اذ سيقولون لهم لماذا لم ترشدونا؟ بينما بعد ان عمل الأئمة عليهم السلام بما عليهم، صارت الحجة على الناس، بدل ان تكون لهم، وتبين ان بُعد الحق عن الساحة وعن الحكم، كان بسبب خذلان الناس وتقاعسهم عن نصرة الحق، لا بسبب انكفاء الأئمة عليهم السلام عن القيام بدورهم.

قيمة الحكم عندهم عليهم السلام :

لا نريد بهذا الكلام الذي ذكرناه ان نقول: إن الهدف الوحيد الذي كان يعمل عليه الأئمة عليهم السلام هو استلام الحكم، كما لا نريد ان نقول انهم كانوا يعيشون هذا الهدف كهاجس دنيوي حتى يعاب عليهم ذلك او يعاب علينا نسبة ذلك اليهم. إن هدفهم الأساس هو هداية الأمة والقيام بكل ما هو لازم لارشادها نحو الله تعالى لتكوين المجتمع الصالح العابد لله، من خلال افراد تتوفر فيهم جميع العناصر الممكنة التي تجعلهم من عباد الله الصالحين، اذ لا صلاح للمجتمع بغير ذلك ولا سعادة بغيرها. لكن من الطبيعي ان هذا الهدف

لن يتحقق على أكمل وجه الا من خلال استلام السلطة والحكم، فقد تبين عبر التاريخ ان من بيده الحكم يملك من النفوذ ما يكفي لاشباع المجتمع بما يشاء من القيم والمفاهيم، سواء بشكل مباشر او بشكل غير مباشر، وسواء عبر التسلط على منافذ الاعلام والتبليغ ام عبر اشاعة الأجواء التي تؤدي بالفرد ثم بالمجتمع الى ان يحيا في تلك القيم والمفاهيم التي ارادها الحاكم، سواء كانت تلك القيم والمفاهيم فاسدة ام كانت صالحة. وهذا أحد معاني ما ورد من أن «الناس على دين ملوكهم»[1].

ومن هنا يصرح أمير المؤمنين عليه السلام ان قيمة الحكم عنده ليست الا بمقدار ما يتمكن معه من تحقيق الهدف الالهي المأمول من الحكام الصالحين والأئمة المعصومين عليهم السلام.

فقد دخل عليه ابن عباس ذات يوم، وهو يخصف نعله، فقال له عليه السلام: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لهي احب اليّ من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج فخطب الناس[2].

وقال عليه السلام: «أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش...»[3].

فالحكم وسيلة وليست غاية، ومقدمة وليس ذا المقدمة. لكن هذه الوسيلة يمكن ان نعتبرها ايضا هدفا مرحليا ذا مقدمات، ينبغي تحصيلها للوصول اليه.

---

(١) نهج البلاغة شرح الشيخ صبحي الصالح ص ٧٦.

(٢) نهج البلاغة شرح الشيخ صبحي الصالح ص ٤١٨.

(٣) احترزنا بذلك عن الارادة التكوينية التي لا يتوقف فيها المراد عن الارادة ابدا بينما الارادة التشريعية تكون عبر التشريع واصدار الاوامر والنواهي ويطلب من الانسان تحقيقه كتكليف من التكاليف الملقاة عليه.

شروط الثورة من أجل الحكم:

وهذا الهدف له جنبتان جنبة الهية وجنبة اجتماعية انسانية عامة. والجنبة الالهية باعتبار انه يمثل الارادة التشريعية لله تعالى، وأما الجنبة الاجتماعية الانسانية، فهي ان يقوم الجميع بالسعي لتحقيق هذا الهدف، كل حسب دوره. فالامام عليه السلام له دور ولأفراد المجتمع دور. واذا كان الأمر منوطا باختيار الناس باعتباره تكليفا من التكاليف، يصبح لا مجال للمعجزة في أن تتدخل من أجل تحقيق هذا الهدف، والا لضاعت سنة الابتلاء التي اريد منها ان تكون المصفاة التي يتخرج منها المؤمنون الصالحون[1].

وهذا يعني انه لا بد للناس من ان تمارس دورها، وتقوم بالمهمات الملقاة على عاتقها، وان تمتثل للتكليف الالهي في هذا المجال، مهما كلف ذلك من تضحيات. فما لم يقم الناس بدورهم وتخاذلوا عنه، فإن الأئمة عليهم السلام سيختارون سبيل المسالمة، لأنه الجو الوحيد الذي سيسمح بتوعية الناس وبث الروح المطلوبة والقيام بالتربية اللازمة والإعداد الكافي، وبالتالي لن يقوموا بأي عمل يدخل في خانة الثورة، لأن الثورة ليست مطلوبة لذاتها بل هي وسيلة لهدف، فما لم يكن الهدف مأمولا لم يكن هناك معنى لهذه الثورة.

وحتى تكون هناك ثورة من أجل الحكم لا بد ان يتوفر أمران:

١ ـ ان يوجد القادرون على القيام بها بحيث يكون الناس سهيمين بها.

٢ ـ ان تكون تلك الثورة محمية من قبل المجتمع، بحيث لا تضيع الأهداف بسرعة بعد تحقق النصر. فلو فرضنا انه امكن القيام بثورة لكن لم يمكن حفظ هذا الانجاز سوى فترة بسيطة لا تساوي قيمة التضحيات التي بذلت، ففي هذه الحال لا ثورة.

---

(١) سنتحدث ان شاء الله بشكل اكثر تفصيلا حول هذه النقطة في بحث النصر.

وهذا المنطق لم يستوعبه عموم الناس في الأزمنة الماضية، ولا زال جمع كثير منهم غير مستوعب له. ومن هنا افترقت فرقة الزيدية عن فرقة الامامية باعتبار انها ترى أنه لا بد من الثورة على كل حال، وفهموا من الائمة عليهم السلام مما اتخذوه من حالة المسالمة حالة تراجع وانكفاء، مع أنها ليست الا نظير ما اتخذه الامام علي عليه السلام من موقف في عهد الخلفاء.

ولذا فإن الأئمة عليهم السلام كانوا يرفضون المشاركة في أي ثورة لا يتوفر فيها هذان العاملان.

ولذا سالم الامام علي عليه السلام، لكنه سالم بعد ان بحث عن الأنصار، وألقى الحجة على الناس، فتخاذلوا. وبعد أن رأى أن الانشغال بالحرب مع قلة الناصر لن يؤدي الى الهدف المرجو، بل سيؤدي الى اطالة أمد الصراع، مما سيسمح بدخول اهل الفتن والجاهلية الذين ما رضوا بالاسلام يوما وتقنعوا بقناع النفاق متحينين الفرص لذلك.

ولذا ايضا سالم الامام الحسن عليه السلام بعد ان استلم الحكم من ابيه ومبايعة الناس له، وتركه لمعاوية لأن الشرطين لم يتحققا، ورضي بعقد الصلح واستمر بالمسالمة رغم نقضه من قبل معاوية لأن ما دعاه للصلح هو نفسه سيدعوه الى المسالمة حتى على تقدير نقض الصلح.

وهكذا حال الامام الحسين عليه السلام ايام معاوية وحال سائر الائمة عليهم السلام. والسبب في كل الأحوال واحد هو عدم توفر العاملين المشار اليهما. فالمشكلة كانت دائما في الأمة، وليست في الإمام على الاطلاق. ولا نعني بذلك ان كل الأمة كانت مقصرة، بل نحن نعلم انه كان في كل زمن أفراد جديرون بهذه المهمة، لكنهم لم يكونوا كافين لاستنتاج تحقق الشرطين المذكورين.

الاستثناء:

الاستثناء الوحيد الذي حصل في حركة الإمامة، هو قيام الامام

الحسين عليه السلام بالحركة الدفاعية التي ادت الى استشهاده، وهو استثناء في طبيعة الدور، واستثناء في طبيعة الحركة، واستثناء في طبيعة الأنصار، واستثناء في طبيعة المعركة وما آلت اليه الأمور، دون ان يعني ذلك ان بعض هذه الاستثناءات لن تتكرر، بل سنبين فيما يأتي من البحوث انها تكررت خاصة على مستوى الأنصار الذين يترقب الامام الحجة عليه السلام وجودهم بكل شوق، مثلما نترقب نحن ظهوره بكل شوق ايضا.

هذا الاستثناء ترك تساؤلات أهمها: ما الذي تغير بين عصر معاوية وعصر يزيد، حتى ادى الأمر الى قيام الامام الحسين عليه السلام في عصر يزيد دون ابيه؟ وما هو الفرق بين زمن يزيد وزمن سائر الأئمة عليهم السلام؟ ولماذا لم يفعل كما فعل أبوه وأخوه وأبناؤه عليهم السلام بل وكما فعل هو عليه السلام في ايام معاوية؟.

والمبرر لهذا التساؤل ان شروط الثورة لم تتحقق في عصره عليه السلام، مثلما لم تتحقق في عصر غيره من الأئمة عليهم السلام، فإذا وجب القيام مع عدم توفرهما، كان الواجب على جميع الأئمة عليهم السلام ذلك، وان لم يجز لسائر الأئمة عليهم السلام ذلك لم يجز له ايضا.

وهو سؤال محق لو قصرنا النظر على الموضوع من هذه الجهة، علما ان الاستثناء المذكور افاد عن أمر آخر لا يرتبط بذينك الشرطين، بل دلت حركة الامام عليه السلام على ان شيئا ما طرأ بحيث كان لا بد من القيام ولو أدى ذلك الى استشهاد الامام عليه السلام، وحتى لو كان وحيدا ولم يقم معه أي ناصر ولا معين. ولذا وجب البحث عن هذا الآخر لنعرف دواعي النهضة الحسينية من جهة، ولنعرف بماذا تميزت حالة الامام الحسين عليه السلام ايام يزيد عن سائر الحالات للامام الحسين عليه السلام او لغيره من الأئمة عليهم السلام. فما هو هذا الهدف الاستثناء؟

ولبحث هذه القضية بشكل مفصل نذكر جملة بحوث:

البحث الأول:

شروط معرفة هذا الهدف

مما ذكرناه في التمهيد يمكنك ان تستنتج ان أحد الأخطاء المميتة التي يرتكبها الباحثون حول كربلاء، انهم يطرحون للامام الحسين عليه السلام أهدافا، لو صح ما قالوه، لشكل ذلك ادانة بحق جميع الأئمة عليهم السلام، نعوذ بالله تعالى من ذلك. ولذا سنحاول أن نكشف عن هذه الأخطاء في ما يأتي وندل على مواضعها حتى لا يقع الخطباء والباحثون في نفس الخطأ، أو تفسيرها بما لا يوقع المرء في اللبس المذكور.

والمناسب في البداية ان نذكر شروطا لمعرفة أهداف الإمام الحسين عليه السلام، وقلة هم الذين تصدوا لهذه النقطة من البحث. وممن رأيناه تصدى لذلك السيد محمد الصدر (قده) في كتابه عن ثورة الامام الحسين عليه السلام[1].

رأي السيد محمد الصدر:

ذكر السيد محمد الصدر في هذا الموضع شروطا اربعة، فيما يصح

---

(١) راجع أضواء على ثورة الحسين عليه السلام ص ٤١ وما بعدها. والسيد محمد الصدر هو غير السيد الشهيد محمد باقر الصدر.

طرحه على أنه هدف للامام عليه السلام او نحتمل كونه هدفا له عليه السلام . وبعض ما ذكره من الشروط بديهي، مثل ما اشترطه من كونه هدفا مرضيا عند الله تعالى خاليا من أي حب للدنيا ثم اضاف الى ذلك:

«ان يكون امرا متحققا اما في الحال او في الاستقبال، ولا يجوز ان نطرح له هدفا فاشلا وغير متحقق او غير قابل للتحقق، فإنه خلاف الحكمة الالهية. فلو قلنا ان الامام عليه السلام يستهدف النصر العسكري العاجل او ازالة حكم بني امية او ممارسة الحكم في المجتمع فعلا، فهذا ونحوه من الأهداف القطعية الفشل، لأنها لم تحدث ولم يكن من الممكن ان تحدث، فهو ليس هدفا وان تخيله بعض المفكرين».

بعض نقاش:

وهذا الكلام يحتاج الى نقاش، فإننا لو افترضنا صحة هذا الشرط، أي أن يكون ما يسعى اليه الامام عليه السلام هدفا واجب التحقق ولو في المستقبل، فإن القول بانتفاء هذا الشرط فيما لو كان الهدف الوصول إلى الحكم، أو ازالة حكم بني امية، قول غير سليم لأن غاية ما بينه السيد الصدر أن هذا الهدف لم يتحقق مباشرة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام لكنه لم يبين انتفاء هذا الهدف ولو في المستقبل. فلو قال قائل إن لكربلاء اثرا في تحقق ذلك الهدف، ولو في المستقبل البعيد، بحيث لولاها لم يمكن تحقيق الهدف، لأمكن حينئذ ان يقال ان هذا الشرط متوفر في هذا الهدف، فإنه لا ريب أن لكربلاء اثرا كبيرا في ازالة حكم بني امية في المستقبل القريب إذ لم يطل حكم بني أمية بعد واقعة كربلاء وكان أحد الأسباب المهمة وراء إزالة هذا الحكم الغاصب هو كربلاء وما جرى على الإمام الحسين عليه السلام . كما ان لكربلاء أثرا في ازالة كل حكم ظالم غير مبني على القوانين الالهية، ولو في المستقبل البعيد، كما سيتجلى ذلك من خلال ملاحظة دور كربلاء في حركة

الامام الحجة عجل الله تعالى فرجه وفي استنهاض قسم من الأمة وقادة حركته عليه السلام .

إذن يصح القول: ان هذا الهدف سيتحقق ولو في المستقبل وإن كان بعيدا، فالشرط متحقق اذن. ولا يصح رفض كون الحكم وإزالة حكم بني أمية هدفا بناء على هذا الشرط. فلو كانت هناك ملاحظة على جعل هذا هدفا للإمام عليه السلام فهي من جهة أخرى سنبينها فيما بعد.

ملاحظة أخرى:

ويمكن ان نسجل هنا ملاحظة على ما ذكره السيد الصدر هي أن هذا الشرط لوحده أو مع الشروط الثلاثة التي ذكرها لن تكون كافية لفهم أهداف الإمام عليه السلام من حركته وفي نهضته أو ثورته، بل لا بد أن يكون هذا الهدف مما تميز به الإمام الحسين عليه السلام أو ظرف الإمام عليه السلام، كما أشرنا سابقا، فما لم يكن الهدف في حد ذاته متميزا منسجما مع استثنائية حركة الإمام عليه السلام التي أراد منها تحقيق ذلك الهدف، سيبقى الكلام ناقصا غير كاف في فهم هذه الاستثنائية في الحركة والدور.

وسنبين فيما بعد أن استلام الحكم او إزالة حكم بني أمية لم يكن هدفا استثنائيا للإمام عليه السلام دون أن يعني هذا، أننا نرفض بالمطلق كونه هدفا له عليه السلام .

شرط ناقشه السيد محمد الصدر:

ثم ذكر السيد محمد الصدر في كتابه المشار اليه: أن البعض قد يشترط في الهدف ان يكون مذكورا في كلامه عليه السلام، لأننا انما نعلم بالأمور من اصحابها واهل الحل والعقد فيها، وليس لنا ان نضيف من عندنا شيئا، وانما نسمع منه عليه السلام مثل قوله: «انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله آمر بالمعروف وانهى عن المنكر»، بعد ان وصف المجتمع بضعف

الدين وقلة الالتزام بالتعاليم: «الا ترون إلى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ولم يبق من الدين الا صبابة كصبابة الاناء او خسة عيش كالمرعى الوبيل».

ثم اعترض عليه بعدة اعتراضات:

«منها ان الروايات التي نقلت كلامه ضعيفة، فلو اشترطنا ذلك لم يبق لنا سبيل لمعرفة الاهداف».

«ومنها ان هناك قانونا عرفيا وشرعيا متبعا في التفاهم بين الناس وهو تكليم الناس على قدر عقولهم فليس بالضرورة ان يبرز الامام عليه السلام كل اهدافه بالكلام الذي قد لا يستوعبه المخاطبون».

والاعتراض الأول ليس بالقوة التي توجب رفض ذلك الشرط لأن كون الروايات ضعيفة لا يعني عدم امكان تحصيل اطمئنان بصدور بعضها علما ان بعض الأخبار التي نقلت كلام الامام الحسين عليه السلام ويتضمن اهدافا محددة قد وردت الينا بطرق صحيحة معتبرة كما سنشير الى ذلك حين الحديث عن الأهداف.

نعم ما قاله من ان الأهداف لا تنحصر بما قاله عليه السلام كلام متين، لأنهم عليهم السلام قد لا يذكرون جميع الأهداف، بل يتكلمون بما يتناسب مع عقول المخاطبين.

ثم نعود ونؤكد على ضرورة ان يكون هناك هدف للامام الحسين عليه السلام اختص به، بحيث لم يكن هدفا للأئمة الآخرين عليهم السلام، بمعنى انهم لم يبتلوا به. وهذا هو الأمر المهم، والا فإن تكثير الأهداف سيكون امرا ميسورا، لكن يبقى علينا التمييز بين الهدف الأساس الاستثناء الذي كان الدافع وراء الفعل الاستشهادي الذي قام به الامام الحسين عليه السلام، وبين أهداف أخرى قد يمكن تسميتها بأهداف ثانوية ـ دون أن يعني ذلك التقليل من أهميتها ـ يراد تحقيقها

من خلال طي الطريق نحو الهدف الأهم والأسمى.

ومن هذا الذي ذكرناه نستنتج أنه لو كان مراد السيد الصدر من ذكر الشروط، ذكر الشروط المعتبرة في تحديد ذلك الهدف الذي تميز به الامام الحسين عليه السلام لصح ما اشترطه ايضا من ضرورة ان يكون الهدف المراد تحديده مما يستحق التضحية التي قدمها الامام عليه السلام ، وإن كان مراده ذكر الشروط المعتبرة حتى فيما يمكن تسميته بالهدف الثانوي فهذا ليس شرطا اصلا.

البحث الثاني:

ما قيل في أهداف الامام الحسين عليه السلام من ثورته

أشرنا الى ان أكثر الباحثين في حركة الامام الحسين عليه السلام قد تعرضوا للبحث عن أهداف الامام عليه السلام، وسنحاول في هذا البحث الإطلالة على تلك الأهداف التي ذكرت. وسنقتصر على عرض ومناقشة آراء كل من باقر شريف القرشي في كتابه حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام، والسيد محمد الصدر في كتابه: اضواء على ثورة الحسين عليه السلام. وانما اقتصرنا على اقوالهما لأنهما تقريبا قد أشارا الى كل الأهداف التي يتم التداول بها عموما، وإن كان كلام السيد الصدر قد تميز بمناقشة علمية أمتن بينما اكتفى القرشي بالتعداد مع التوضيح. وهذا الفارق ينشأ من ان السيد الصدر قد التزم بالشروط التي ذكرها فناقش الأهداف التي تذكر على أساس تلك الشروط، وبحث عن الهدف الذي يستحق الاستشهاد من أجله، بينما القرشي لم يلتزم بأي شرط ولذا أكثر من تعداد الأهداف مكتفيا بحسن الهدف في حد ذاته وصحته في حد ذاته.

ومع ذلك فإن السيد الصدر لم يذكر هدفا يتحقق فيه ذلك الشرط بينما عثر القرشي في سياق تعداده للأهداف على الهدف المهم في حركة الإمام عليه السلام وإن لم يشر إليه على أنه هدف متميز بل جعله كغيره من الأهداف.

أولا: مع القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام

عد القرشي ما يزيد عن خمسة عشر هدفا، سنتعرض لجملة منها مع بعض المناقشة[1].

المسؤولية الدينية:

من جملة الأهداف التي عدها القرشي، المسؤولية الدينية الملقاة على عاتق كل مسلم تجاه الأزمات التي تتنافى مع دينهم. قال: وعلى هذا الاساس قام الامام عليه السلام، فأعلن امام الحر واصحابه: «ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقا على الله ان يدخله مدخله». هذا كلامه.

وتتمة الرواية هكذا: «.. الا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير. وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم، فإني الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلكم اسوة فيّ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر. لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل. والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم. ومن نكث فإنما ينكث على نفسه»[2].

---

(١) ما سننقله عن القرشي مأخوذ من كتابه المشار اليه في المتن ج ٢ ص ٢٧٠. وما سننقله عن السيد الصدر مأخوذ من كتابه المشار اليه في المتن ص ٤٤.

(٢) نقله المقرم عن الطبري ج ٦ ص ٢٢٩ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢١. راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ١٨٥.

تحليل الخطاب:

والإمام عليه السلام بين بهذه الخطبة التي خطبها في أصحاب الحر أمورا عدة:

منها: دعوة المسلمين كافة لمواجهة السلطان الجائر المستحل لحرام الله، والمخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله. وهي دعوة لا تختص بزمان دون زمان أو بمكان دون مكان. دعوة يريد منها الامام عليه السلام ان يبين لهم لزوم مناصرته في الخروج على مدعي السلطة ومغتصبها، ويحذرهم من مغبة السكوت عن ذلك المؤدى الى ان يحشر المرء مع ذلك المغتصب.

والامام عليه السلام بعد أن اطلق القاعدة الكلية، من خلال ما نقله عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، طبق ذلك على «هؤلاء» والمراد بهم بنو امية، وليس فقط يزيد، مما يعني ان مواجهتهم كانت واجبة على المسلمين قبل ذلك، ولكن المسلمين تخاذلوا، فلم ينصروا اباه امير المؤمنين عليه السلام، كما لم ينصروا أخاه عليه السلام. والامام عليه السلام يدلهم على نفسه، وأنه أحق من غير، وأعاد الأمور الى نصابها بما يضمن الحقوق ويعمل بالحدود ويطبق الشريعة. وكأنه عليه السلام يرشدهم الى أن ههنا فرصة سنحت لكم بتصديه عليه السلام لهذا الموضوع. فهو مشروع ثورة يبين الامام عليه السلام انه يجب ان يكون مشروع جميع المسلمين.

وبقوله عليه السلام: «وأنا أحق من غير» يريد ان يظهر الحق الذي جعله الله تعالى للأئمة عليهم السلام، بمعزل عن وجود بيعة له في اعناقهم وعدمها.

ومنها: أنه يحملهم مسؤولية ما ستؤول اليه الأمور، كما حملهم مسؤولية ما آلت اليه الأمور في عهد ابيه عليه السلام وأخيه عليه السلام، من خلال نقضهم بيعة في أعناقهم وتخاذلهم عن الأئمة عليهم السلام، رغم اظهارهم في البداية الانقياد لهم عليهم السلام والعمل بأوامرهم كما حملهم مسؤولية استشهاد مسلم بن عقيل. وبهذا دلل الامام عليه السلام على صحة ما التزم به الامام الحسن عليه السلام من ترك

الحرب وامضاء الصلح، وأن الذي يتحمل مسؤولية ذلك هم الذين خذلوه.

ومنها: أنه عليه السلام يدلل على ان من يعتمد عليهم فهو مغرور بهم، أي قد وقع في الغرر أي الجهالة والخطر والضرر. ولا يريد الامام عليه السلام بذلك ان يدل على انه قد اغتر بهم، بل يريد ان يقول انه عليه السلام كان يعلم ذلك منهم من أول الأمر، وأنه لم يكن يثق بهم ولا بما أظهروه سابقا من إعلان النصرة له في البداية، ولذا ذكرهم بتاريخهم مع الأئمة عليهم السلام، وهو ما كان محورا للكثير من النصائح التي قدمت للإمام عليه السلام لصرفه عن التوجه الى العراق.

ومنها: انه عليه السلام بين لهم انهم قد ضيعوا فرصة ثمينة لا تعوض «ونصيبكم ضيعتم»، هي فرصة عودة الأمور الى نصابها. وهو عليه السلام في هذه اللحظة يظهر للمخاطبين تخليه عن السعي الفعلي لتحقيق المشروع العام الذي يسعى اليه الأئمة عليهم السلام عموما.

مدى العلاقة بين مضمون الخطاب ونهضة الإمام عليه السلام:

فهذا الخطاب كان مبينا للهدف العام الذي يسعى اليه الأئمة عليهم السلام عموما لو وجدوا الأنصار له، ومبينا لمشروع الثورة الذي يحمله عليه السلام كما يحمله أي امام آخر ممن تقدم عليه أو سيأتي بعده. كما يبن تخليه فعلا عن هذا المشروع. إذن لم يظهر الامام الحسين عليه السلام في خطابه هذا هدفه الذي تميز به عن غيره، بمعنى انه ابتلي بتحقيقه ولم يبتل سائر الأئمة عليهم السلام به. ولو اريد ان يجعل ما ذكره القرشي هدفا وجب ان نجعله في رتبة الأهداف الثانوية في الواقع الفعلي، وإن كان هو في حد ذاته مشروعا اساسيا للإمامة. وانما سميناه هدفا ثانويا لأنه لم يكن هو السبب الجوهري الاستثناء في الحركة الاستثناء التي قام بها الامام الحسين عليه السلام والتي استمر بها عليه السلام، وأدت الى استشهاده وسبي نسائه.

نعم في بدايات الحركة، أظهر الامام عليه السلام هذا المشروع، وقام

بالاستجابة لنداءات المنادين ووفادة الوافدين، فأرسل مسلم بن عقيل، وهو إرسال لا يتم الا في سياق السعي لتحقيق ذلك المشروع، وكذلك إرساله الرسل الى أقوام من البصرة يطلب نصرتهم، فإنه انما فعل ذلك ليظهر السعي باتجاه ذلك الهدف، فإنه عليه السلام لو لم يستجب لهم سيزرع الشك في إمامته، ولن ينصفه التاريخ كما لم ينصف الإمام الحسن عليه السلام، فتصبح الامامة نفسها في خطر، فأرسل مسلما الذي كان شهيد الإمامة وترسيخ دعائمها، وتمت الحجة البالغة للأئمة عليهم السلام على الناس، كما تمت الحجة للامام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، ورفعت عنه مظلومية استمرت ما يقارب العشرين سنة من هؤلاء الذين أكثروا من كتبهم ورسلهم الى الامامين الحسن والحسين عليهما السلام يحضونهما على القيام ضد معاوية. وبيّن الإمام الحسين عليه السلام بحركته استجابة لأهل الكوفة النوع المطلوب من الأنصار، وان أمثالهم، وان كانوا كثرا، ليسوا هم النوعية المطلوبة.

موقع السعي الى الحكم من ثورة نهضة الإمام عليه السلام :

لكن لو كان الإمام الحسين عليه السلام يهدف الى تحقيق ذلك المشروع فعلا وكان هذا هدفه الأساس، وقد ظهر للعيان انه لم يعد قابلا للتحقق، كان من الطبيعي ان يتراجع في اللحظة التي اتضح فيها ذلك، ويعلن انسحابه من المعركة ولو بمبايعة يزيد، كما فعل سائر الأئمة عليهم السلام الذين بايعوا حكام عصرهم.

كما كان من الطبيعي لو كان غرضه القاء الحجة على الذين كاتبوه، أن يقتصر على ذلك المقدار من الحركة، إذ لو بايع يكون قد بايع بعد أن بان للجميع أن المشكلة ليست في الامامة والامام، بل في الآخرين عداه. ولكنه عليه السلام لم يتراجع ولم يوافق على البيعة ليزيد، وهذا يكشف عن أن هناك هدفا هو أبعد من ذلك بكثير، وأن الحركة ليست مرهونة بذلك المشروع الذي سميناه بحسب اللحظة الراهنة بالهدف الثانوي.

ومن هذا الذي ذكرناه، يعلم ان هدف استلام الحكم ينبغي ان يعد من الأهداف الثانويه لحركة الامام الحسين عليه السلام، وليس من الأهداف الجوهرية التي تدعو الامام عليه السلام للأصرار على عدم البيعة حتى الاستشهاد. فمن جعل استلام الحكم هدفا، عليه أن يوضح مراده، فإن كان ذلك طرحه ضمن المشروع العام لحركة الامامة فهو حق، لأن حركة الامام الحسين عليه السلام قد كانت في بعض مراحلها في سياق هذا المشروع. لكن لو أراد هذا القائل ان استلام الحكم كان هدفا جوهريا ولأجله ضحى الامام عليه السلام بنفسه، فهو كلام لا نوافق عليه، ولكن ليس من جهة ان ذلك يتنافى وشأنهم عليهم السلام، بل من جهة أنه هدف غير قابل للتحقق بعدما بان للجميع ذلك، فصار له كل العذر في عدم الاستمرار ولم يعد بإمكان أحد ان يعترض عليه عليه السلام لو توقف في تلك الحال. فلو كان هذا الهدف يستدعي كل هذه الفعل لكان حينئذ من المبهمات عدم سلوك الأئمة عليهم السلام لطريق الإمام الحسين عليه السلام، بل لكان من المبهمات عدم اعتماد الإمام الحسين عليه السلام هذا الطريق أيام معاوية.

هدف آخر للنقاش:

ومن جملة الأمور التي قد تطرح، والتي نجد فيها تضعيفا لحركة الامام الحسين عليه السلام، عن قصد او غير قصد، هو ما يقال احيانا من أن الامام الحسين عليه السلام كان سيقتل على كل حال حتى وإن بايع، وبالتالي فإنه قام من أجل الحكم، لكنه عندما بان عدم امكان ذلك، لم يعد بالامكان الفرار من المواجهة فقد صارت حتمية ولن يتمكن من التخلص حتى بالبيعة.

وهذا الأمر يوجب طعنا ـ نعوذ بالله ـ بوعي الإمام الحسين عليه السلام فهو عليه السلام كان يعرف بغدر أهل الكوفة، وهي معرفة لا تحتاج الى الهام، كما بينا سابقا، فقد عرفه عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية وكثير ممن نصحوا الإمام عليه السلام واشفقوا عليه، بل كان يكفي حد من الوعي بمجتمع الكوفة

بالمقدار الذي كان يملكه هؤلاء الناصحون، فكيف بالامام الحسين عليه السلام الذي يملك بالاضافة الى ذلك قدرات الهامية متميزة تجعله في مصاف الأنبياء. فلو كان عليه السلام يهدف الى أهداف يتوقف تحقيقها على نصرة الناس له، ولم يكن لديه هدف آخر بحيث يجب العمل على تحقيقه حتى وإن بقي لوحده ولو ادى ذلك الى استشهاده، لكان من المنطقي في تلك الحال ان يستجيب لنصح الناصحين، وأن يبادر الى البيعة ليزيد. كما كان يمكنه ان يختبر أهل الكوفة باختبارات متعددة كما طرح ذلك بعض الناصحين بحيث ينكشف أمام الملأ زيف ادعاءاتهم. ومن المعلوم انه عليه السلام كان سيأمن جانب يزيد ولو مؤقتا اذا بايعه.

على أنه ليس كلما علم امام بأن حاكم زمانه سيعمل على اغتياله، فإنه يقوم بالثورة وأخذ نسائه معه في مواجهة مع الحاكم الظالم، فقد كان الامام الحسن عليه السلام يعلم ذلك ولم يفعل ما فعله الامام الحسين عليه السلام، وكان الأئمة عليهم السلام الذين استشهدوا بالسم يعرفون ذلك ولم يفعلوا ما فعله الامام الحسين عليه السلام. فمجرد ان يزيد لن يدعه لن يكون كافيا للثورة والا لكفى لغيره من الأئمة عليهم السلام.

فتجريد حركة الامام الحسين عليه السلام عن هدف أسمى واخراج الفعل عن كونه فعلا اختيارياً وتحويله الى فعل اضطراري لا هدف له غير ما ضاع من الأهداف، بفعل خذلان الأمة لهو ظلم للامام الحسين عليه السلام عظيم.

هدف ثالث:

ومن جملة الأهداف التي ذكرها القرشي «رفض البيعة حتى لا يعترف بشرعية حكم يزيد».

ونحن نوافق على أن هذا هدف للإمام عليه السلام لكن ليس بهذه الصيغة الضعيفة. وهذا ما يحتاج الى توضيح.

فإن كان المقصود بيان السر وراء اصرار الامام عليه السلام على رفض البيعة، حتى وان ادى ذلك الاصرار الى ما أدى اليه، فهذا التوجيه غير وجيه لأنه بالتأكيد لن تكون البيعة، تحت الاضطرار دالة على اعطاء الشرعية لحكم يزيد. كما ان بيعة غيره من الأئمة عليهم السلام لم تكن تعني اعطاء الشرعية. فكيف وجب على الامام الحسين عليه السلام في حكم الله تعالى ان يقوم ويصر على رفض البيعة، بينما تم التساهل بهذا الشأن مع سائر الأئمة عليهم السلام؟ فهل الوحيد الذي ستكون بيعته دليل شرعية هو الامام الحسين عليه السلام دون غيره من الأئمة عليهم السلام؟. فإن كان هناك سر وراء رفض البيعة والاصرار عليها فلا بد ان يكون هناك سر خاص ببيعة يزيد يستدعي رفضها كل هذا الاصرار، وكل هذه التضحيات وليس هو مجرد عدم اعطاء الشرعية كما قيل.

وهذا الذي ذكرناه يبين أن كثيرا من الأهداف التي افترضها القرشي وغيره هي من الأهداف الثانوية، بل بعضها ليس هدفا وإنما نتيجة.

أهداف أخرى للنقاش:

فمن ذلك جعله من جملة الأهداف، أنه قد اقيمت الحجة عليه «لاعلان الجهاد فقد تواترت عليه الرسائل والوفود من اقوى حامية عسكرية في الاسلام وهي الكوفة، فكانت رسائل اهلها تحمله المسؤولية امام الله تعالى، ومن الطبيعي انه لو لم يجبهم لكان مسؤولا امام الله وامام الامة في جميع مراحل التاريخ، وتكون الحجة قائمة».

وقد نبهنا الى ان الامام عليه السلام قد كانت حركته منسجمة مع هذا السياق، وكان هذا من جملة ما يطرحه، لكن لم يكمل مسيرته على هذا الاساس بل أكمل على اساس امر أهم. وإلا فإن المسؤولية قد انتفت عن الامام عليه السلام بعد ان خذله الناس، وقتلوا مسلما وتوزعوا بين هارب وبين منضم الى جيش يزيد وابن زياد.

ومن ذلك ما افترضه القرشي من هدف وهو القيام بالمسؤولية الاجتماعية «فإن مركزه الاجتماعي يجعله مسؤولا امام الأمة، عما منيت به من الظلم من قبل الأمويين. ومن هو اولى بحمايتها منه، فقام عليه السلام وضحى بنفسه وأهل بيته واصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الاسلام وحكم القرآن».

وهذا أيضا ينبغي ادراجه من جملة الأهداف الثانوية. إضافة الى أن في هذا الكلام ضعفا جليا من جهة أخرى، فإنه لو كان عليه السلام قد ضحى بنفسه لذلك، فهذا اقرار بفشل الحركة، كما أنه اقرار بأنه كان يجب على سائر الأئمة عليهم السلام القيام بذلك، ولو أدى الى استشهادهم، فإن هذا الهدف عام لجميع الأئمة عليهم السلام، فلو كان كافيا للقيام بحركة استشهادية لكان مطلوبا من الجميع.

وعلى ضوء ما ذكرنا يمكن للقارئ الكريم ان يكتشف ثغرات متعددة في أهداف طرحها القرشي لا نجد داعيا للتفصيل في نقلها ومناقشتها، مثل ان الهدف تحرير ارادة الأمة او صيانة الخلافة او تحرير اقتصاد الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فراجع كلامه. فإنها كلها اهداف عامة لا يتميز بها عصر الامام الحسين عليه السلام عن غيره من العصور.

نعم لقد التفت القرشي الى هدف عظيم هو حماية الإسلام وصون الامامة عن اغتيالها، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل فيما بعد وسننقل بعضا من كلامه حينها.

ثانيا: مع السيد محمد الصدر في كتابه أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

اقتصر السيد الصدر على ثمانية اهداف.

ومن جملة الأهداف التي ذكرها السيد الصدر وتبناها «أن ذلك كان امتثالا لأمر الله تعالى بلغه عبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله أو بالهام، أو ان ذلك كان لفضح بني امية».

وهذا الذي ذكره السيد لا يكفي، في مقام البحث والتحليل، لأن كون الفعل امتثالا لأمر الله تعالى امر مسلم به، والكلام هو في تحديد الهدف الواقعي الذي كان وراء هذا الأمر الإلهي، للإجابة عن التساؤل الذي أشرنا له في البداية، وهو لماذا لم يصدر هذا الأمر لغير الإمام الحسين عليه السلام من الأئمة عليهم السلام؟ صحيح ان الله لا يسأل عما يفعل لكن هذا لا يعني اننا غير قادرين على تفهم ما جرى في كربلاء والدوافع التي دعت الى ذلك. ونحن مهما قلنا من أهداف وأسباب سنبقى نعترف بأنه ربما كانت هناك أمور مخفية علينا كانت دخيلة في توجه ذلك الأمر الإلهي لخصوص الإمام الحسين عليه السلام.

هل فعل الإمام الحسين عليه السلام محض تعبد:

ومن الواضح أنه لا يصح أن يقال ان المعركة كلها كانت مجرد تعبد من قبل الله تعالى، وإن المصلحة في استجابة الإمام عليه السلام لهذا الأمر الإلهي دون ان يكون هناك هدف واقعي ملحوظ يعود للدين أو الإمامة أو للأمة. فإن التعبد وإن كان يقنع المؤمنين بإمامة الامام الحسين عليه السلام، لكنه لن يكون كافيا للآخرين، علما أننا نجزم بأن المسألة لم تكن محض تعبد.

النهضة وفضح بني أمية:

ان جعل الهدف فضح بني امية لن يكون كافيا لتبرير استمرار فعل الإمام عليه السلام حتى الشهادة، بل قد لا يكون كافيا لأصل الدخول في المعركة إن وافقنا على النظرية التي تقول: إن الفضيحة حصلت ايام معاوية. على أن هذا الهدف قد تحقق في حركة الإمام عليه السلام ولم يكن متوقفا على الاستمرار فيها، كما ان هذا الهدف كان يمكن لاي امام ان يقوم به.

ثم ما الذي استفادته الأمة من فضيحة بني أمية، وماذا استفاد الاسلام من ذلك. صحيح أن حكم بني أمية لم يطل لكن استلم الحكم بعدهم بنو العباس الذين قيل في حكمهم إنه كان أكثر جورا من حكم بني امية. فالفضيحة في حد

ذاتها ليست هدفا ما لم تثمر ثمارا مهمة للإسلام والمسلمين. والحقيقة ان فضح بني أمية كان ثمرة من ثمار حركة الإمام عليه السلام وليس هدفا، وكان يمكن للأمة أن تستفيد من هذه الثمرة لو سارت في خط الرسالة.

خلاصة الكلام: ان كثيرا من الأهداف التي تطرح والتي سبقت الاشارة الى كثير منها، لا تعدو كونها جزءاً من مشروع الامامة عموما، أظهرها الامام عليه السلام في حركته ودعا الناس لنصرته من أجل تحقيقها، وسعى كل جهده من أجل ذلك، لكنها ليست هي التي أملت على الامام الحسين كل هذا الاصرار والاستمرار حتى النهاية. ولهذا نحن لا نؤمن بكون استلام الحكم هدفا الا بهذه الحدود، التي تجعله في حركة الامام الحسين عليه السلام من ضمن الأهداف العامة بلحاظ حركة الإمامة، والثانوية بلحاظ حركته عليه السلام.

وكل الخطب التي لها علاقة بالأهداف المذكورة لا تدل على أكثر من ذلك، مثل ما قاله الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية: «اني لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»[1].

فهو عليه السلام يبين أحد دوافع الخروج ويبين أيضا أنه ان لم يتمكن من ذلك فهو مستمر «ومن رد علي هذا أصبر..» وليس المراد بالصبر هنا السكوت بل الاستمرار والصبر على المواجهة كما دل عليه قوله عليه السلام «حتى يقضي الله بيني وبين القوم..».

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ١٣٩ وقد نقله عن المقتل للخوارزمي.

البحث الثالث:

الهدف السامي والجوهري
في نهضة الامام الحسين عليه السلام

إن أقدس موجود ممكن في دائرة عالم الامكان، هو الوجود المحمدي المتمثل برسول الله صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام. وقد شاء الله تعالى ان يكون لهذا الوجود الأقدس، الدور الأعظم في هذا الوجود، وهو هداية البشرية الى الله تعالى، من خلال تبليغ الرسالة والحفاظ عليها، والإشراف على حركة الامة ومراقبتها وإرشادها وهدايتها، يرافق كل ذلك سنة الإبتلاء بما تتطلبه من حفظ مبدأ الاختيار لدى الانسان، بحيث يكون سير المرء وسلوكه وفق الإرشادات المحمدية عن اختيار منه، من غير اجبار، ولا عن اعجاز أو محض دعاء واضطرار.

دور الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام:

وقد قام الرسول صلى الله عليه وآله بالجزء المهم من هذا الدور، وبقي على الأئمة عليهم السلام اكماله. واذا اردنا تلخيص هذا الدور، يمكننا ان نقتصر على عبارة ذكرها الشهيد الصدر في بعض محاضراته، وطبعت في كتاب «أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف»، وهذه المحاضرات هي من أهم الثروات الفكرية التي تركها الشهيد الصدر (قده).

دور الأئمة عليهم السلام :

يقول الشهيد الصدر في ذلك الكتاب ما ملخصه: إن أول ما يتعطل من الاسلام هو الحكم بما أنزل الله تعالى. وتعطيل هذا معناه ان التجربة تنحرف، وان المجتمع يتميع. واذا استبد الانحراف سيؤدي الى الانهيار، وتنازل الأمة عن عقيدتها، وعن كل ما يتعلق بدينها، ولذا عمل الأئمة عليهم السلام على خطين:

الأول: هو خط محاولة تسلم زمام التجربة أي زمام الدولة، ومحو آثار الانحراف وارجاع القيادة الى موضعها الطبيعي، لأجل ان تكتمل العناصر الثلاثة: الأمة والمجتمع والدولة.

الثاني: خط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، واعطائها من المقومات القدر الكافي لكي تبقى، وتقف على قدميها، وتعيش المحنة بعد سقوط التجربة بقدم راسخة، وبروح مجاهدة وايمان ثابت[1].

وهذا الذي ذكره الشهيد الصدر يشخص بكل وضوح ودقة دور الامامة عموما، وهو دور لم يقتصر على امام دون امام. وكان هذا الدور هو المعيار الذي عمل عليه الأئمة عليهم السلام في كل خطوة كانوا يخطونها.

هدف الإمام الحسين عليه السلام على ضوء الدور

واذا اردنا ان نبحث في حركة الامام الحسين عليه السلام عن الهدف الذي تميز به عصره عليه السلام، مع الأخذ بعين الاعتبار ما ذكره الشهيد الصدر، نستطيع ان نقول ما يلي:

لقد رأى الامام الحسين عليه السلام، ببصيرته الالهية، ان الخطر المحدق بالأمة وبالاسلام، بسبب تولي يزيد للحكم، هو خطر يؤدي بالأمة مباشرة الى

---

(١) راجع الكتاب المذكور ص ٥٩ مع ما قبلها وما بعدها.

الانهيار التام، بحيث لا يمكن معه أي علاج فكري او سياسي او اجتماعي، او أي علاج آخر من العلاجات التي قد تخطر على البال. ولم يبق الا علاج واحد، هو علاج المواجهة، ومنع هذا الخطر المحدق بالأمة والاسلام.

بعبارة أخرى رأى عليه السلام ان الخطة التي بدأت منذ زمن يتجاوز زمن معاوية، أي خطة الرجوع الى الجاهلية وكل قيمها، وانهاء النبوة وكل مفاعيلها، واعتبار الإسلام كأنه لم يكن، قد بلغت خاتمتها التي كان ينقصها بعض الخطوات التي عمل يزيد على تحقيقها. وخطر الانهيار التام هذا هو الذي فرض على الامام عليه السلام ان يواجه، كما فرض عليه أن لا ينتظر في مواجهته هذه ناصرا او معينا، بمعنى انه لم يكن يعلقها على وجود ناصر بل كان سيقوم بها ولو كان لوحده.

كلام الإمام عليه السلام يدل على ما يريد:

وقد أشار الامام الحسين عليه السلام الى هذا الموضوع بعبارات بسيطة أوحت لجمهور من الناس بأن المسألة لا تخرج عن دائرة الإصلاح، دون تعمق في حدود هذا الإصلاح المطلوب وفهم دائرته ومراتبه، أو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وأنه مجرد قيام من اجل استرجاع الحكم الى أهله، وأنه مجرد كلمة حق في وجه سلطان جائر، وإن كانت هذه العناوين مهمة أيضا تكفي للثورة لو وجد الأنصار، لكن الامام عليه السلام كان يرشد بشكل اشارات الى ان الهدف أعمق من ذلك بكثير.

من جملة تلك الإشارات ما تقدمت الإشارة اليه في وصيته لابن الحنفية، حيث بين الإمام عليه السلام أنه إن لم يلق تجاوبا من الأمة للسعي نحو تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح فإنه سيستمر وسيصبر على موقفه حتى يقضي الله بينه وبين القوم الظالمين.

ومن جملة تلك الإشارات إصرار الإمام عليه السلام على رفض البيعة مهما

كلف ذلك من تضحيات. فهو عليه السلام عندما يصر على رفض البيعة، فليس ذلك لمجرد رفض الشرعية، بل لأنه كان يعتبرها التوقيع الأخير الذي ينتظره يزيد على وثيقة الانهيار، ولذا لم يكن من الممكن ابدا ان يقدّم الامام عليه السلام مثل هذا التوقيع ولو كلفه حياته. بل كان كل جهده العمل على تمزيق تلك الوثيقة، والقضاء على ذلك المشروع الأموي كلية، بحيث لو لم يتمكن من الوصول الى الحكم، كما كان يعلم ذلك، فهو على الأقل سيمنع الانهيار الكلي.

المشروع الأموي:

وهذا الخطر وإن بدأت ملامحه تطل قبل عهد يزيد، لكنه لم يبلغ الذروة، وكان لا يزال بالامكان معالجته بالفكر والسياسة والاجتماع، وتعبئة الناس من أجل الثورة ونحو ذلك، فالفرصة كانت لا تزال سانحة لذلك لو أن الأمة تجاوبت مع الإمامين علي عليه السلام والحسن عليه السلام، وبشكل خاص مع الإمام علي عليه السلام. وقد كان الإمام علي عليه السلام ملتفتاً لهذا المخطط، ولذا لم يكن يقبل بأي مساومة مع معاوية في مسألة الحكم، ولم يكن ليسمح بأن يستلم معاوية ولاية أي بلد ما دام هناك أنصار معه عليه السلام تسانده في ما يقرره بشأن معاوية، لكن الأمة تفرقت وتوزعت وتخاذلت حتى آل الأمر إلى ما آل اليه في عهد الإمام الحسن عليه السلام. وقد استمر الإمامان عليهما السلام في حال التعبئة وتابع في ذلك الإمام الحسين عليه السلام بانتظار أن تتحمل الأمة مسؤولياتها.

لكن عندما تحين اللحظة التي يراد بها اعلان الخطة، واعلان وصول المشروع الى نهايته، يكون هناك من سيتصدى لذلك مهما كلف الأمر. ولذا فإن اللحظة التي ستواجه ذلك المشروع، هي لحظة إمام تلك اللحظة وإمام ذلك العصر ايا كان الامام. والذي حصل أن تلك اللحظة كانت لحظة يزيد، وكان الامام هو الامام الحسين عليه السلام. بحيث لو كانت تلك اللحظة لحظة معاوية، لكان صاحب ذلك الدور هو الإمام الحسن عليه السلام، ولو صادف ان

تلك اللحظة كانت لحظة مروان بن الحكم مثلا لكان صاحب الدور هو الإمام زين العابدين.

مدى خطورة البيعة ليزيد:

لم يكن للبيعة أي مدلول خطير مثلما كانت عليه مع يزيد، وكان كل ما تعنيه البيعة في الأزمنة التي سبقت يزيد أو لحقته انها قبول، ولو اضطرارا، بان يحكم اولئك. ولكنها لم تكن تعني في أي حال من الأحوال التوقيع على وثيقة انهاء الاسلام، واتمام مشروع الكفر والجاهلية. وهذا ما نفهمه من قوله عليه السلام: «ومثلي لا يبايع مثله»[1]. فإنه وإن كان المراد بمثل الإمام كل إمام من الأئمة المعصومين عليهم السلام لكن ليس المراد من «مثله» من شابه يزيد في اغتصاب السلطة أو في بعض الأوصاف، لأن الأئمة عليهم السلام قد بايعوا ولو اضطرارا حكاما مغتصبين، فيتيعن ان المراد بمثل يزيد نوع محدد من الحكام الغاصبين للسلطة وهم على شاكلة ما شرحنا، أي كافر يسعى للقضاء على الإسلام واعادة الجاهلية.

تفرد عصر الإمام عليه السلام بهذا الخطر:

إن هذا الخطر الذي عاشه الامام الحسين عليه السلام بالنسبة للقرآن والأمة، لم يعشه أي امام آخر على طول التاريخ، لا ممن سبق الإمام الحسين عليه السلام ولا ممن لحقه، حتى أن الامام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) قد غاب، بعد ان كان مطمئنا الى ان الانهيار لن يحصل بعد ذلك أبدا، بسبب ان الأمة قد وجد فيها من يحمل تلك الأمانة، هي أمانة تجسيد الدور الثاني من الدورين الذين ذكرهما الشهيد الصدر، بالمقدار الذي يحفظها من الانهيار. بل إن الحكام بفعل ثورة الإمام الحسين عليه السلام صاروا حريصين ان لا يظهروا بمظهر

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ١٣١.

يزيد ولم يكن يفكر أي منهم بهذا المشروع اليزيدي الأموي، وإن كانوا لا يبدون اهتماما بالشعائر الدينية بل كل تركيزهم كان على السلطة والثروات، لكن لم يكن هناك خطر منهم على الأمة والإسلام على مستوى الوجود، وإن كان هناك خطر على حقوق الأمة ومصالحها، وهو خطر على الأمة ان تتصدى له بمشاركة المعصوم عليه السلام.

وقد اثبت التاريخ والحاضر وجود الأمان للأمة من الوصول الى حال الانهيار، من دون ان يكون هناك أي اعجاز في البين، وان كانت هناك عناية ربانية دائمة بحق الذين اهتدوا وكانوا من الموقنين، لكن هذا ضمن السنن الكونية التي وعد القرآن بها عباده في الدنيا.

موقع معاوية من المخطط:

لقد كان معاوية وأكثر من سبقه، ركنا أساسيا في ذلك المخطط الأموي، لكنه كان يستعمل الحيلة والخديعة في تطبيقه له، فقد أوهم الناس أن المشكلة مع الامام علي عليه السلام والامام الحسن عليه السلام مشكلة حكم، وليست مشكلة اسلام وجاهلية. وقد سرى هذا الوهم في الناس بشكل واسع جدا حتى ان الامام علياً عليه السلام اتهم بأنه طالب دنيا، كما أن الخوارج قد خرجوا من صفوف الإمام عليه السلام بخديعة رفع المصاحف. ويمكن لمن يشاء للوقوف على هذه الحقيقة ان يراجع كتب التاريخ، ليتبين كيف أن معاوية استطاع ان يخدع الناس، ويوهمهم بمعركة هي على خلاف الواقع. لكن معاوية لم يظهر ذلك المخطط الى العلن، حتى أنه نصح ولده يزيد، على ما يذكر بعض المؤرخون، بأسلوب محدد للتعاطي مع الامام الحسين عليه السلام، وكأنه يطلب منه ان لا يستعجل الوصول الى النتيجة، أو يطلب منه أن لو أراد قتل الإمام الحسين عليه السلام فليكن بشكل مخفي حتى لا يتهم بذلك يزيد مباشرة ويبقى له المخرج أمام الأمة ولو بالتحايل من البراءة، مثلما فعل معاوية مع الإمام

الحسن عليه السلام ، حيث نجد أن كثيرا من المسلمين إلى الآن لا يعترفون بأن معاوية مجرم حرب وظالم مستبد أو قاتل للنفس المحترمة وقاتل الإمام الحسن عليه السلام .

شواهد على مشروع يزيد:

الذي نريد التأكيد عليه هنا ان يزيد كان عنوانا لاكتمال مشروع. والشواهد على ذلك كثيرة:

أولا: إن طريقة التعامل نفسها التي مارسها يزيد مع الامام الحسين عليه السلام ، ومع أهل بيته عليهم السلام بعد عاشوراء، ومسلكيته التي تجاهر بها أمام الملأ، إن كل ذلك يظهر كفرا أكثر مما يظهر عصيانا. فقد بان أن يزيد يخطط للقضاء على كل رجل ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، أي القضاء على أهل البيت عليهم السلام . ولذا لما علم معسكر يزيد في كربلاء بوجود علي بن الحسين عليه السلام حيا حاول شمر بن ذي الجوشن قتله لولا أن تدخلت زينب عليها السلام ومنعت من وقوع هذه الجريمة، ثم عندما علم عبيد الله بن زياد في الكوفة بحياة علي بن الحسين عليه السلام حاول ايضا قتله لولا تدخل زينب عليها السلام ايضا.

ثانيا: تصريح الامام الحسين عليه السلام بذلك بقوله للوليد والي المدينة: «أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة»[1].

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ١٣١ وقد نقله عن مثير الأحزان لابن نما الحلي من أعلام القرن السادس الهجري.

لقد عدد الإمام عليه السلام مجموعة مواصفات مشتركة بين يزيد وبين غيره من الحكام الأمويين، كما عد صفات كانت ظاهرة للعيان وإن كان يشاركه فيها غيره من الأمويين كأبيه معاوية لكنها لم تكن جلية للعوام. ومن الصفات الأولى: شرب الخمر وقتل النفس المحترمة. ومن الصفات الثانية: معلن بالفسق. والظاهر ان المراد من الفسق هنا الكفر. ونحن وإن كنا الآن في استعمالاتنا لكلمة الفسق لا نقصد الكفر او لا نفهم منها ذلك لكن في الاستعمال القرآني أو في استعمالات المسلمين الأوائل كانوا يستعملون هذه الكلمة في هذا المعنى. فمن ذلك ما قاله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[1] ومن المعلوم ان المراد بالفاسق هنا الكافر. نعم استعمل في القرآن الفاسق في غير الكفر كما في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾[2].

فالفاسق يراد به الخارج عن الدين وهو على قسمين خروج عملي فقط أي عصيان للتكاليف الشرعية من دون أن يكون هناك خروج عن المعتقدات. وخروج عقائدي. والذي يظهر لنا ان مراد الإمام عليه السلام بالخروج هو النحو الثاني لا الأول. فإن الأول تم البيان عليه بقوله عليه السلام: «شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة».

ثالثا: ما اشتهر عن يزيد تمثله بشعر جاهلي قال فيه:

ليت اشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت بنو هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

---

(١) سورة السجدة الآية ١٨.

(٢) سورة الحجرات الآية ٦.

لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل[1]

وهذا الشعر لا يحتاج الى تفسير أو تعليق، وهو ينطق بالكفر الصريح وبالثأر الجاهلي ضد الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والإسلام والقرآن.

رابعا: قول بعض الأمويين: يوم بيوم بدر[2].

وهذا أيضا ينبئ بما نبأ به شعره السابق.

خامسا: قول زينب عليها السلام ليزيد في بعض المجالس، كما سيأتي: «كد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا».

سادسا: ما نبه عليه الامام السجاد عليه السلام عندما سأله بعض الناس، حين رجوعه الى المدينة من الغالب؟ فكان الجواب: «اذا رفع الأذان عرفت الغالب».

وإنها لجملة عجيبة دلت على الهدف العظيم الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام رغم الإيجاز الذي فيها. فإنه إذا كانت غلبة الإمام الحسين عليه السلام وانتصاره مفهوما من رفع الأذان، وهو شعار الشهادتين، دل ذلك على ان الهدف هو حفظ الإسلام من خطر القضاء عليه وحفظ الأمة من خطر الإنهيار التام.

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٣٥٧.

(٢) ينسب هذا القول لمروان بن الحكم كما نقله القرشي ج ٣ ص ٤٢٢ عن شرح النهج لابن ابي الحديد ج ٤ ص ٧٢. ونسب ايضا الى عمرو بن سعيد الأشدق على ما ذكره المقرم في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام ص ٣٣٤. وينسب الى يزيد كما ذكره المقرم في ص ٣٥٤ من كتابه وقد ينسب الى عبيد الله بن زياد، ولا يبعد أن يكون الجميع قد قال ذلك فإنما هي روح واحدة خبيثة من شجرة واحدة. وسواء كان القائل هذا او ذاك فالكل جزء من المشروع الأموي قد أنبأ عما يختلج في صدورهم وعقولهم.

لماذا لم يفر الإمام الحسين عليه السلام الى اليمن ونحوها:

واذا تأملت بهذا الهدف الذي أشرنا اليه تعرف أنه لن يكون حلا، بأي حال من الأحوال، الهروب الى اليمن او الى أي بلد آخر، والتخفي والعمل على تهيئة الساحة من جديد لمحاربة يزيد واستلام الحكم، من خلال تهيئة الأنصار الكافين لذلك.

لن يكون حلا لأنه لا فرصة أمام الامام الحسين عليه السلام لكل ذلك. والهروب يعني ترك يزيد ينفذ الخطة ويكمل المشروع، والامام الحسين عليه السلام يتفرج. فماذا سيفعل في اليمن او غيرها لمواجهة هذا الخطر الآني الذي لا تأخر فيه ولا امهال؟ وماذا سينفعه اعداد الانصار لو نفذ الوقت، ولم يتحقق هذا الاعداد؟ علما ان واقعة كربلاء، وتاريخ الامام الحسين عليه السلام وتاريخ الامامين علي عليه السلام والحسن عليه السلام، وتاريخ جميع الأئمة عليهم السلام عموما، قد اثبت ان تهيئة الأنصار يحتاج الى وقت طويل.

واذا لم تهب الأمة لنصرة الامام الحسين عليه السلام في تلك اللحظة، والفرصة سانحة لها، وهي افضل فرصة وجدت للأمة، كما تحدثنا عن ذلك سابقا، فمتى ستهب للنصرة. لقد مرت عشرات السنين بعد كربلاء حتى قاربت المئتين، ولم يتهيأ الأنصار الكافين للثورة ضد الحكم، فإلى متى كان سينتظر الامام الحسين عليه السلام والخطر الداهم كما قلنا لا يسمح بالتأخير؟.

الفرق بين عصر يزيد وغيره.

وبهذا نستطيع ان نحدد التميز الذي حصل في عصر يزيد عن سائر العصور وبالتالي تميز دور الامام الحسين عليه السلام عن غيره من الأئمة عليهم السلام. وبهذا نفهم معنى «حسين مني وأنا من حسين» الذي صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه يعني انني، كحقيقة محمدية وكدين وكرسالة، سأكون كمن يولد من جديد، بفعل حركة الامام الحسين عليه السلام وما سيقوم به. فمن رحم

شهادة الحسين عليه السلام ، ولد الاسلام من جديد او ولدت الأمة من جديد، من غير فرق في ذلك بين السني والشيعي.

ان كل من ينتمي الى الاسلام ويقرأ القرآن، فهو مديون للإمام الحسين عليه السلام ، لأن المشروع الأموي عموما ويزيد خصوصا لم يكن على مستوى القضاء على الفكر الشيعي فقط أو أهل البيت عليهم السلام ، بل كان على مستوى القضاء على الاسلام ككل، علما ان القضاء على أهل البيت عليهم السلام ايضا هو قضاء على الاسلام. لكن لا يمكن لأي كان أن يحقق هذا الهدف وفي الأمة امام معصوم، يحمل كل هذا الحب لله تعالى، بحيث يبذل نفسه، وهي من اقدس ما خلق الله تعالى من الممكنات، في سبيل تكليف الهي هو غاية ما خلق الانسان لأجله وما بعثت النبوات لتحقيقه.

هذا هو الهدف الاستثناء الذي عاشه الإمام الحسين عليه السلام الذي أدى الى هذه الحركة الاستثناء ايضا في عصر استثنائي. وقد تنبه الى ذلك بعض الباحثين مثل السيد القرشي، حين ذكر في عداد الأهداف هدفين هما في نظرنا الهدفان الوحيدان اللذان يمكن فهم كربلاء على أساسهما، وهما في الحقيقة هدف واحد يعبر عنهما بتعبيرين. وهما ما سماهما القرشي: حماية الاسلام من الانقراض وحماية ذكر أهل البيت عليهم السلام من الانمحاء.

الفصل الرابع:

لماذا لم ينتصر الامام الحسين عليه السلام؟

تمهيد:

من الأمور التي يتساءل الناس عنها عادة كلما ذكرت كربلاء وأحييت عاشورا، وكلما فكر المرء في قضية ابي عبد الله عليه السلام، هي النتيجة التي آلت اليها واقعة كربلاء في لحظتها الراهنة، أي في اليوم العاشر من المحرم من عام ٦٠ للهجرة. فلماذا لم ينصر الله تعالى ابا عبد الله عليه السلام وهو القادر على كل شيء؟ مع انه تعالى نصر الرسول صلى الله عليه وآله في بدر وغيرها من مواطن الحرب. ولماذا ترك واقعة كربلاء تنتهي بالشكل الذي آلت اليه من استشهاد وسبي وانتصار عسكري للأعداء؟.

هل يختص السؤال بكربلاء:

ومن المنطقي ان نشير اولا الى ان هذا السؤال لا يختص بالامام الحسين عليه السلام، بل يشمل ايضا الامام الحسن عليه السلام في حربه مع معاوية، كما يشمل الامام علياً عليه السلام في بعض حروبه، حيث انه عليه السلام وان انتصر في بعض الحروب، لكنه لم ينتصر في أخرى. بل يشمل ايضا رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه ايضا لم يحقق النصر في بعض حروبه، وإن كانت النتيجة العامة بحسب ما آلت اليه الأمور هي النصر، باعتبار انه هزم المشركين ونشر الاسلام، وتحقق

الكثير مما أراد ﷺ تحقيقه، وان لم يتحقق جميع ما أراد.

ونرجو ان لا يكون السؤال ناتجا عن خلفية فكرية غير سليمة، ذلك ان العوام من الناس يظنون انه اذا كان المتصدي لمعركة ما من المؤمنين، فإن النصر هو حليفه بشكل قهري، فكيف اذا كان المتصدي لها أئمة أهل البيت عليهم السلام. ونحن عند معالجة هذه المسألة، سيتبين معنا وجه الخطأ في هذا النمط من التفكير.

وفي هذا الفصل بحثان:

الأول: بحث مختصر حول النصر.

الثاني: بحث في الإجابة عن السؤال المذكور.

البحث الأول:

مفهوم النصر في الفكر الإسلامي

وقد أخذ مفهوم النصر في الفكر الاسلامي حيزا هاما، خاصة وأن القرآن قد تحدث عنه في مواضع متعددة من آياته، كما تحدثت عنه روايات أهل البيت عليهم السلام خاصة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث وردت عنه بعض الجمل المهمة في مسألة النصر، نقل بعضا منها الشريف الرضي في نهج البلاغة.

فلنذكر نماذج من الآيات، ونماذج من الروايات حول النصر، لأن ذلك سيعيننا على بحث مسألتنا التي نحن فيها.

نظرة في الآيات:

لقد تحدث القرآن في مواضع عديدة عن نصر الله تعالى لعباده:

١ ـ ففي بعض المواضع ذكر وسائل النصر الإلهي. فهو سبحانه وتعالى ينصر أولياءه بأنحاء شتى:

الاستئصال: فتارة بعذاب يستأصل المعاندين، كما كان يحصل مع الأقوام السابقين على نبوة الرسول صلى الله عليه وآله، واليه اشار تعالى بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ

فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۢ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾[1].

ومن الواضح ان الذين نُصروا هم النبي في ذلك الزمان ومن كان معه من الخلص، بحيث لم يبق على وجه الأرض أحد غير هؤلاء المؤمنين.

جنود لا نراها: وتارة ينصر عباده بجنود لا نراها كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

فبينما يتوهم الذين كفروا انهم منتصرون على الرسول ﷺ، كان الله ينصره، اذ هيأ له الخروج وأنزل السكينة عليه، وأيده بالجند من الملائكة أو غيرها، وكان ذلك الخروج هو الذي فسح المجال لتأسيس أول دولة اسلامية في المدينة المنورة.

الرعب: وقد ينصر الله سبحانه وتعالى عباده بالرعب، كما أشار اليه تعالى بقوله: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

والرعب أمضى سلاح في المعركة، وليس من المبالغة في شيء أن نعتبره أهم سلاح، حتى أن الإمام علياً عليه السلام كان يسأل عن عوامل انهزام الأعداء أمامه فكان يجيب بأنهم يعينونه على أنفسهم بسبب ما يعيشونه من خوف حين مبارزته عليه السلام.

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٣٩ ـ ٤٢.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥١.

٢ ـ كما ذكرت آيات أخرى شروط النصر، وأهمها:

الصبر والثبات: منها: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1].

دلت هذه الآية على ان شرط النصرة هو الثبات على الايمان بالله تعالى وعدم الانقياد لغير الله.

ومنها: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2].

دلت هذه الآية على ان النصر لا يأتي هكذا منحة مجانية، بدون أي جهد ممن سينصره الله تعالى، بل لا يكون ذلك الا بعد شدة في البلاء ونجاح فيه.

ومنها: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

فالشرط المهم هو كون القلة من الفئة الصابرة، فإن الله معهم ومن كان الله معه لن تضره كثرة الأعداء.

ومنها: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٤.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٩.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٠.

فقد قدموا طلب الصبر والثبات على طلب النصر.

ومنها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1].

فحضور الملائكة أو تحقق المدد الالهي المحقق للنصر متوقف، وفق ما دلت عليه هذه الآية المباركة، على شروط في المسلمين أهمها الصبر والتقوى. فلو أتاهم الأعداء في هذه الحال، سيأتي المدد الإلهي وما تطمئن به القلوب، رغم ما قد يبدو في ظاهر الحياة الدنيا من عدم التكافؤ بين طرفي المعركة، من حيث العدد والعدة، لكن الله لا يقاس به شيء من مخلوقاته.

ومن المعلوم ان رسول الله ﷺ كان محققا للشرطين فالاشتراط انما هو بالنسبة للمؤمنين الذين يريدون النصر.

ومن مظاهر الثبات ما أشار اليه تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

فلن يأتي النصر الا بعد الصبر على الأذى في سبيل الله تعالى والثبات على الايمان: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦.
(٢) سورة آل عمران الآيات ١٧٣ ـ ١٧٥.
(٣) سورة الأنعام الآية ٣٤.

وهذه من السنن التي جعلها الله تعالى لا تبديل لها والتاريخ يدل عليها.

حفظ النصر: ومن جملة شروط النصر من الله تعالى، ان يكون المنتصرون أهلا لهذا النصر، بأن يحفظوه ويحققوا أمر الله تعالى في خلقه من عدل، وحكم بما أنزل الله كما في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

٣ ـ ودلت بعض الآيات على ان الهزيمة ابتلاء، فالمؤمن وإن استحق النصر لكنه قد لا ينصر، لأن الهزيمة نفسها ابتلاء للمجتمع المؤمن، كغيره من الابتلاءات، لا بد ان يمر به، ليبلغ مرتبة من الكمال هي أعلى وأعظم مما كان قد بلغه سابقا، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

ويشير القرآن في بعض الآيات الى ان الله تعالى قد يهمل الكافرين، ويدعهم ينتصرون على المؤمنين فإن ذلك يؤدي الى اغترار الكافرين بأنفسهم، مما يزيد عذابهم كما يؤدي الى ان يتمحص المؤمنون. كما في قوله

---

(١) سورة الحج الآيات ٣٩ ـ ٤١.

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٣٩ ـ ١٤٢.

تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾[1].

النصر ليس هدفا في ذاته: فالنصر اذن ليس هو الهدف، بل الهدف هو رضا الله تعالى والعمل بالتكليف، كما نبه الله تعالى عباده بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

فقد دلت هاتان الآيتان على ان المؤمن ليس همه النصر بما هو فعل دنيوي، بل همه رضا الله تعالى، والمؤمنون المقصودون بالآية الكريمة يعلمون ان الصبر والثبات هما المطلوبان في المعركة، وهذا ما يحقق رضا الله تعالى. كما انهم يعلمون انه ما لم تسلم النوايا وتثبت الأقدام، لا نصر ولذا يطلبون النصر بعد أن يحرزوا انهم مستحقون له، وقد أتوا بما يرضي الله تعالى.

٤ ـ كما دلت آيات أخرى على أن ليس لأحد أن يشترط على ربه جزاء أو شكورا في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[3]. ولذا فانه تعالى عندما يطلب من المؤمنين الصبر والثبات، لا يقول ستنصرون حتما بل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]. وإن كان في نهاية المطاف سيكون النصر حليف المؤمنين الصابرين الثابتين

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٤٦ ـ ١٤٧.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٩.
(٤) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.

على الحق، الناصرين لله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، لكن لم توضح هذه الآيات متى سيأتي هذه النصر لمن ينصره، وكما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[2].

وهذا المقدار من الآيات يكفي لما نحن بصدده.

والمتحصل من المجموع ان النصر لن يكون بأي حال من الأحوال بنحو اعجازي محض، ما لم تكن هناك لياقات وأهلية لدى الذين سيستفيدون من هذا النصر، ولذا رغم ان الرسول ﷺ كان ممن تحققت فيه تلك الشروط بأرقى ما يمكن لمخلوق ان يصل اليه، فقد شرط الله تعالى ذلك في المؤمنين ايضا باعتبارهم مستفيدين ايضا من النصر.

نظرة في الروايات:

ومن الروايات ما ورد في وسائل الشيعة عن علي عليه السلام يحرض الناس بصفين: «وايم الله لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة. فاستعينوا بالصبر والصدق، فإنما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حق جهاده ولا قوة الا بالله»[3].

وفي الوسائل ايضا: «فإن بعد الصبر النصر من الله عز وجل، ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[4].

وفي نهج البلاغة: «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان»[5].

---

(١) سورة الحج الآية ٤٠.
(٢) سورة المجادلة الآية ٢١.
(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١١ ص ٧٢. طباعة دار الكتب الإسلامية.
(٤) المصدر السابق ص ٧٣.
(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ٤ ص ٤٠.

وفي نهج البلاغة: «واستشعروا الصبر فإنه أدعى الى النصر»[1].

وفي نهج البلاغة يخاطب أهل العراق: «أصبحت والله لا اصدق قولكم، ولا اطمع في نصركم، ولا اوعد العدو بكم. ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال مثلكم أقولاً بغير عمل، وغفلة من غير ورع، وطمعا في غير حق؟»[2].

وفي نهج البلاغة: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ، نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا واعمامنا، ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما، ومضيا على اللقم، وصبرا على مضض الألم، وجدا في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا، والآخر من عدونا، يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان انفسهما، ايهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا، أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه، ومتبوئا أوطانه. ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود. وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما»[3].

وفي نهج البلاغة: «ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم»[4].

وفي نهج البلاغة: «.. فقد قال الله سبحانه ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[5] وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾[6] فلم يستنصركم من ذل، ولم يستقرضكم من قل. استنصركم، وله

---

(١) راجع ج ١ من نهج البلاغة شرح محمد عبده طباعة دار الهدى ص ٦٧.
(٢) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ١ ص ٧٥.
(٣) المصدر السابق ص ١٠٥.
(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٩.
(٥)سورة محمد، الآية: ٧.
(٦) سورة الحديد الآية: ١١.

جنود السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم. واستقرضكم، وله خزائن السماوات والأرض، وهو الغني الحميد. أراد ان يبلوكم أيكم احسن عملا»[1].

وفي النهج ايضا في عهد الامام علي عليه السلام للأشتر: «أمره بتقوى الله.. وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، واعزاز من أعزه»[2].

وفي نهج البلاغة: «وإنكم ان لجأتم الى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا انصار ينصرونكم، الا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم»[3].

وفي هذه الجملة تنبيه لطيف على ان من يتكل على غير الله تعالى، ويقاتل لحساب دنيوي او متكلا على شروط دنيوية للنصر، فإن الله تعالى سيكله الى نفسه. وفي هذه الحال ستتحكم المعادلات الدنيوية في النتيجة، بينما من اتكل على الله وصدق مع الله، وصبر وثبت، فإن المعادلات الدنيوية المادية لن تعنيه شيئا، فلله معادلاته الخاصة، أخفاها في خلقه جعلها أسرارا له، هي التي ستتحكم بالنتيجة إن شاء له النصر.

إن الكثير من هذه المعاني التي دلت عليها هذه الآيات المباركة والروايات، قد عاشها المؤمنون سواء عند قيام الثورة الإسلامية المباركة في إيران وانتصارها، او في جبهات الحرب ضد العراق، أو في المقاومة الإسلامية، كما عاشها المسلمون الأوائل، حين كانوا يحاربون مع رسول الله صلى الله عليه وآله ضد المشركين واليهود.

---

(١) نهج البلاغة ص ١١٣.

(٢) ج ٣ من المصدر السابق ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٥.

البحث الثاني:

لماذا لم ينصر الله تعالى الامام الحسين عليه السلام

في الجواب عن هذا السؤال نقول:

تارة يكون المقصود بالسؤال، هل حقق الامام الحسين عليه السلام أهدافه التي قام من أجلها أم لم يحققها؟. وتارة يكون المقصود بالسؤال الاستفسار عن النصر العسكري الذي يستتبع السلطة والحكم.

فإن كان المقصود بالسؤال المعنى الأول، فمن المعلوم انه عليه السلام قد حقق كل أهدافه، وبذلك يكون الإمام عليه السلام قد خرج من المعركة منتصرا.

وإن كان المقصود المعنى الثاني، فمن المعلوم ان النصر لم يحصل، وسيكون تحليل السبب واضحا، بناء على ما تلونا عليك من آيات وقرأنا لك من روايات، في البحث السابق. فإن اقامة الحكم الاسلامي والنصر العسكري بسبعين في مقابل الآلاف، لن يكون الا اذا كان المجتمع لائقا لهذا النصر، متحملا لمسؤولية حفظ نتائجه وآثاره. ومن المعلوم ان المجتمع لم يكن هذا حاله، وبالتالي فهو لا يكون مستحقا للنصر. ومن خذلان الله تعالى بعباده ان يحرمهم من النصر، عقابا لهم على تقاعسهم وركونهم للدنيا. والشروط المطلوبة لتحقق النصر لهذا المجتمع لم تكن متحققة. فلو اريد لهذا المجتمع

ان ينصر، كان لا بد من المعجزة، وليس هنا محلها لأن معنى ذلك، اننا سنحتاج الى معجزة ايضا للاستمرار في حفظ ذلك النصر، وحفظ آثاره وهذا يعني سقوط سنة الابتلاء.

وهذا ما يحتاج الى بعض التوضيح:

القصة تبدأ من حين خلق الله آدم وجعله خليفته اذ قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1]، وكان الرد الالهي ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. وحين عرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وحملها الانسان. وليست هذه الأمانة الا أمانة تحقيق الهدف الالهي على الأرض، وإيصال الإنسان إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة. أما سعادة الدنيا فمن خلال تحقيق القيم والتكاليف الالهية ليمكن اقامة العدل بين الناس، وأما سعادة الآخرة فبنيل الكرم الالهي وبلوغ مرضاة الله تعالى والانتهاء الى الجنة في الآخرة.

مثلث السعادة والبلاء والاختيار:

ولا معنى للسعادة ان لم يكن هناك اختيار، يكون هو الطريق للوصول اليها. ولذا لا نجد هذا المعنى لدى الحجر او الشجر، فلا يقال للشجر والحجر انها كائنات سعيدة، او يمكن ان تنال السعادة في يوم من الأيام. والاختيار حتى يكون مؤثرا في تحقيق السعادة، لا يكون الا من خلال الابتلاء، فلو فرضنا ان الانسان المختار لم يمر ببلاء، وكانت كل اختياراته، وكل ما يمر عليه خير ونعيم، ولم يتعرض لأي موقع يجد نفسه فيه، مختارا بين الخير والشر، فهذا يعني ان الاختيار يفقد قيمته، ولا يكشف عن

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٠.

استحقاق الانسان للسعادة. فحتى يكون الاختيار كاشفا عن الاستحقاق، لا بد ان يكون هناك ابتلاء. بل لو لم يكن هناك ابتلاء، لكان وجود الاختيار لغوا، اذ ما فائدة الاختيار ان لم يكن هناك سبيل آخر أمام الانسان، فحتى يكون وجود الاختيار غير عبثي، كان لا بد من الابتلاء.

إذن لا يمكن الوصول الى السعادة الا ذا كان هناك بلاء وصعاب، ومن هنا نقول: الدنيا دار بلاء وليست دار عطاء وجزاء، وعلى الانسان ان ينجح في بلائه.

والبلاء قد يكون فرديا شخصيا، وقد يكون اجتماعيا عاما ينال المجتمع كله. فالمرض والفقر والكفر والأولاد والحياة الدنيا والنصر والهزيمة والحكم الظالم والحكم العادل، كلها ابتلاءات. وكل ما في الحياة الدنيا من افراح واتراح ابتلاءات، على المرء ان يعرف كيف يجب ان يخوضها لينجح فيها.

والنجاح في البلاء عند الأفراح ان لا ينسيك أنك عبد الله، وأنك ممتحن، فلا تعتبر ذلك دليل رضا من الله عليك، فتقع في الدالة والأمن من مكر الله، وهو من صفات الكفر. والنجاح في البلاء عند الأتراح ان تصبر على المصيبة، وان تعلم انه خالقك، ومصيرك بيده وانه الذي ابتلاك. فالمؤمن لا يعميه الفرح والسرور عن حقيقة أمره، وضعف حاله، سواء كان الفرح بالنفس ام بالأهل أم بالأولاد، أم بأي امر آخر. وهو الذي لا تفقده المصيبة، ولا الويلات عزم الصبر والثبات على دينه، وعلى قضيته. فلا بد في حال السراء من الشكر، كما لا بد في حال الضراء من الصبر، عندها يبلغ المرء سعادته الكبرى بالقرب من الله تعالى، وينال الجنة العظمى مع أولياء الله تعالى. فعلينا دائما ان نستشعر ان الدنيا دار بلاء، وليست دار عطاء وجزاء، وهذا البلاء هو الذي يبني شخصية المسلم.

قيمة البلاء:

وقد وردت آيات كثيرة وروايات متعددة حول أمر البلاء، وكيف يجب على المؤمن ان يتعاطى معها، تارة بالتصريح وأخرى بالتلويح، تارة بشكل مباشر وأخرى بطريقة التمثيل.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

ومن الواضح أنه ليس المقصود من «حتى نعلم» ان الله سبحانه وتعالى لم يكن يعلم من هم المجاهدون ومن هم الصابرون، ومن هم غير المجاهدين وغير الصابرين، ثم يعلم بذلك بعد الابتلاء. بل المقصود ان البلاء يصنع المجاهدين والصابرين، وبدون البلاء ليس هناك ـ نفيا حقيقيا واقعيا ـ مجاهد ولا صابر، فعلم الله تعالى بالمجاهدين منا والصابرين كناية عن تحقق تلك الصفة واقعا بعد النجاح في الابتلاء، وليس كما يتخيل بعض السذج انها تعني ان تلك الصفة تظهر بالابتلاء بعد ان كانت مستورة قبله، بل الحقيقة انه قبل البلاء لا توجد هذه الصفة، وليس هناك الا استعداد اكتساب الصفة وهذا الاستعداد لوحده لا يكفي، لأن لديه استعداد ايضا للصفات المقابلة، فالقابلية للخير ترافقها القابلية للشر.

ومن الآيات: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[2].

ومن الروايات ما قاله الإمام الحسين عليه السلام في تشخيصه لوضع الأمة في

---

(١) سورة محمد الآية ٣١.

(٢) سورة الفجر الآيتان ١٥ ـ ١٦.

زمانه: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[1].

سقوط الأمة في البلاء:

وعندما ننظر الى حال الأمة أيام كربلاء وما سبقها، نجد ان الناس ابتليت ايام أمير المؤمنين عليه السلام فتخاذلت عنه، وإن ثبتت معه في بعض الأحيان في بعض سنين خلافته، لكنها بدأت معه بالخذلان وأنهت علاقتها به بالخذلان أيضا، فورث الإمام الحسن عليه السلام أمة متخاذلة فلم تعنه في حربه ضد معاوية، فلم يتمكن الامام الحسن عليه السلام من الحفاظ على السلطة، لا لأن الله تعالى غير قادر على نصره، بل لأن النصر لم يتحقق محله وموارده بعد، بسبب ذلك الخذلان. وفي ايام الامام الحسين عليه السلام ابتليت الأمة بيزيد فلم تنجح في بلائها، بل سقطت فيه، واي سقوط، فلم تكن مستحقة لأن يتدخل الله سبحانه وتعالى وأن ينتصر الامام الحسين عليه السلام ويقيم حكم الله بسبب تخاذلها عنه والوقوف ضده.

فهناك اذن امر مشترك بين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام هو عدم الانتصار، وعدم الوصول الى الحكم، بسبب امر مشترك هو خذلان الأمة في وجه الحكم الظالم، فكان على الأمة ان تتحمل مسؤولية خذلانها وتكاسلها عن نصرتهما عليهما السلام، وهذا فارق كبير بين بدر وبين كربلاء، حيث وقف الرسول صلى الله عليه وآله في بدر ومعه كل الأمة الاسلامية آنذاك، وكان عدد رجالها آنذاك ما يقارب الثلاثمائة فاستحقت التدخل الالهي.

نعم الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام ومن معهما من الخواص كانوا يستحقون النصر العسكري، لكن الملاك في النصر الذي سيعم

---

(١) ميزان الحكمة ج ١ ص ٤٨١.

المجتمع والأمة أن تكون الأمة مستحقة لذلك. ولو اريد ان يكون النصر للإمام الحسين عليه السلام وخاصة اصحابه الذين قاموا معه، نصرا عسكريا، فهذا يستتبع بالضرورة القضاء الالهي على كل الآخرين الذين تخاذلوا، وتنظيف المجتمع منهم، كما كان يحصل مع النبوات السابقة. لأن كل الآخرين كانوا في الصف المواجه من المعركة. بينما الذي يستحق النصر هم هؤلاء الذين نصروا الامام الحسين عليه السلام وأولئك الذين لم يبلغهم فعل الحسين عليه السلام والذين حاولوا نصرة الإمام الحسين عليه السلام فلم يتمكنوا من ادراكه. لكن الله تعالى قد شاءت ارادته ان لا تكون هذه سنته في أمة محمد صلى الله عليه وآله، وستبقى الأمة مبتلاة بنتائج خذلانها ما دامت متخاذلة، حتى يصلح حالها ويستقيم أمرها حينها فقط يأتيها النصر. و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

هذا وقد أشرنا سابقا، أن الإمام الحسين عليه السلام ومن معه، قد تخلوا عن الهدف العسكري والسياسي بعد الخذلان الذي رأوه وهدفوا إلى أمور أخرى هي أهم، وهم بهذا المعيار قد أخذوا نصرهم كما أخذ الإمام الحسن عليه السلام نصره.

والنصر الذي تم تحصيله شخصي وعام، أما الشخصي فنيل الشهادة والدرجات العليا وأما العام فحفظ الاسلام ومنع الأمة من الانهيار. وحرم المتخاذلون من النصر الذي يعنيهم مباشرة وهو العدل.

وخلاصة الكلام ان الامام الحسين عليه السلام ومن معه انتصروا بتحقق أهدافهم، وبنيلهم الدرجات الرفيعة في الآخرة، وهو مطلب المؤمنين كلهم. وأما النصر الدنيوي فلم تتحقق شروطه، والمعجزة كما قلنا لن تتدخل بحيث تلغي سنة الابتلاء.

---

(١) سورة الرعد الآية ١١.

نعم لو كان هناك خطر على الاسلام مباشرة بحيث لن ينفع لردعه حتى تدخل المعصوم والتضحية بالنفس، ففي هذه الحال ستتدخل المعجزة قطعا، كما كانت المعجزة سهيمة في الدعوة وبدايتها، ولكن الامام الحسين عليه السلام استطاع بشهادته ان يحفظ الاسلام.

الفصل الخامس:

لماذا أخذ الامام الحسين عليه السلام معه النسوة والأطفال؟.

هذا السؤال هو ايضا من الأسئلة المهمة التي تطرح في قضية كربلاء. وقد طرح سابقا، إذ طرحه محمد ابن الحنفية أو ابن عباس، سأل الإمام الحسين عليه السلام بعد أن رأى عزمه على القتال والتوجه الى العراق عن حمل النسوة والأطفال معه. فأجابه الإمام عليه السلام : «شاء الله ان يراهن سبايا».

أجوبة عن السؤال:

وقد اهتم الباحثون بهذا الأمر، وقدموا لذلك اجابات متعددة، بعضها لا بأس به، وبعضها لا قيمة له. وقلة هم من اهتموا بابراز جانب آخر من الاجابة عن السؤال ربما يكون هو الأهم في المسألة.

جواب ركيك: ومن الأجوبة التي لا نجد لها قيمة ما ذكره بعضهم، من أن أخذ النساء والعيال الى الحروب كان من عادات العرب.

وافتقاد هذا الجواب للقيمة يكمن في أنه لا يقدم الجواب، بل يطرح سؤالا آخر هو: ما هي قيمة هذه العادة؟ وهل كان من المصلحة والضروري

الالتزام بهذه العادة لو سلمنا بوجودها؟، ومجرد ان العقل العربي في تلك الأزمنة كان يقضي بأخذ العيال الى ساحات الحروب، على ما قيل، لا يكفي للاجابة عن السؤال المطروح هنا. علما ان هذا يستبطن ذما للامام عليه السلام، وهو التقيد بهذه العادات من دون ملاحظة قيمتها وأهميتها، بل من الواضح ان هذه العادة ذات مفاعيل سيئة، وبالتالي هي مرفوضة عقلائيا على الأقل. ومجرد ان العرب كانوا في تلك الأزمنة راضين عنها، لا يعني ان الامام عليه السلام كان راضياً عنها بل دور الامام عليه السلام تقويم العادات. على أننا نعلم أن الداعي لأخذ النسوة معه الى كربلاء لم يكن العمل بهذه العادة، والا لم يكن يحسن من المشفقين ان يعترضوا عليه، اذ أخذ النسوة والأطفال معه، ولم يكن هناك معنى مفهوم في هذه الحال لقوله عليه السلام: شاء الله ان يراهن سبايا. فحتى نحلل أخذ الامام عليه السلام للنسوة والأطفال، لا بد من ارجاع ذلك لمصلحة رآها.

جواب لا بأس به:

ومن النظريات التي لا بأس بها مما قدم في هذا المجال، ما هو المشهور على الألسنة، والتزم به أكثر الباحثين. وقد لخصها القرشي في كتابه عن الامام الحسين عليه السلام بقوله: «وكان من اروع ما خططه الامام العظيم عليه السلام في ثورته الكبرى، حمله لعقائل النبوة ومخدرات الرسالة الى كربلاء، وهو يعلم ما سيجري عليهن من النكبات والخطوب. وقد أعلن ذلك حينما عذله ابن عباس عن حملهن معه الى العراق، فقال له: قد شاء الله ان يراهن سبايا. لقد أراد عليه السلام بذلك ان يستكمل رسالته. وقد قمن تلك السيدات بدور مشرف في اكمال نهضة ابي الشهداء عليه السلام، فأيقظن المجتمع بعد سباته، وأسقطن هيبة الحكم الأموي وفتحن باب الثورة عليه[1].

---

(١) القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام ج ٢ ص ٢٩٧.

ونقل القرشي عن كاشف الغطاء في كتابه السياسة الحسينية قوله: «هل نشك ونرتاب في ان الحسين لو قتل هو وولده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحديات، لذهب قتله جبارا ولم يطلب به أحد ثأرا، ولضاع دمه هدرا. فكان الحسين عليه السلام يعلم ان هذا عمل لا بد منه، وأنه لا يقوم به الا تلك العقائل، فوجب عليه حتما ان يحملهن معه، لا لأجل المظلومية بسببهن فقط بل لنظر سياسي وفكر عميق، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، والمبادرة الى القضاء عليها قبل ان تقضي هي على الاسلام، وتعود الناس الى جاهليتها الأولى[1].

مناقشة هذا الجواب:

ونحن نؤمن بأن السجاد عليه السلام وزينب عليها السلام وبعض النسوة قد قمن بهذا الدور فعلا، ولولاهن لما كان لكربلاء الصدى والتأثير الذي شكلته على مستوى العالم الاسلامي في ذلك الزمن، وعلى مر الأزمان. لكننا لا نجد هذا الجواب كافيا رغم حسنه في بادئ الأمر. لأنه لو كان الهدف هو ما ذكر لكان يكفي في تحقق ذلك أن يأخذ معه بعض النسوة اللواتي يمكن لهن ان يقمن بهذا الدور.

ثم إننا نتساءل: ألم يكن بالامكان القيام بهذا الدور وهن في المدينة عندما تنتهي الثورة؟ فيقمن بالمظاهرة بين المدينة وكربلاء مرورا بالكوفة والشام؟ ويخبرن العالم بما جرى ويشرحن أهداف الإمام عليه السلام ويفضحن بني أمية.

جواب ثالث:

وبعضهم ركز في الجواب على الجانب الانساني المأساوي في القضية،

---

(١) القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام ج ٢ ص ٢٩٨.

فذهب الى ان غرض الامام الحسين عليه السلام هو ابراز مدى شراسة يزيد على الإسلام وعلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته، من خلال تصرفاته التي سيقوم بها في تلك المعركة، من اصراره على قتال الامام الحسين عليه السلام، ومن تنكيله بأهل البيت عليهم السلام نساء وأطفالا.

وهذا الجواب وان كان لا بأس به ايضا، لكنه يبقى غير مقنع، اذ سيطرح تساؤلات سيكون الجواب عنها خفيا على عامة الناس، وان كان جليا للخواص، باعتبار أهمية حفظ الاسلام، وكشف كفر يزيد، وتوقف ذلك على هتك النسوة، اذ ليس ذلك بأعظم من شهادة الامام الحسين عليه السلام، فإن قدم نفسه شهيدا في سبيل ذلك الهدف، فلماذا لا يقدم النسوة في سبيل الهدف نفسه.

ومع ذلك فإن هذا الجواب سيبقي في النفس تشكيكا، وعدم الاطمئنان اليه إضافة إلى أنه لا دليل عليه.

ويظهر من العقاد تبنيه مثل هذا الجواب، إذ نقل عنه أنه قال: «وقد أزمع الخروج ان يجمع له اقوى حجة في يديه، ويجمع على خصومه اقوى حجة تنقلب عليهم اذا غلبوه واخفق.. فيكونون أفضل ما يكونون وهو منتصر، ويكونون ابغض ما يكونون وهو مخذول. والمسلم الذي ينصر الحسين عليه السلام لنسبه الشريف أولى ان ينصره غاية نصره، وهو بين اهله وعشيرته، والا فما هو بناصره على الاطلاق. ثم ان الحسين عليه السلام عرف من حرائر النبوة الصبر على المكاره.. وفيهن العقيلة بنت علي عليه السلام .. ليس لها من حماتها حمي ولا من رجالها ولي، غير الامام الذي انهكته العلة، وهو علي بن الحسين عليه السلام ..»[1].

---

(١) نقل هذا الكلام عن كتاب العقاد: ابو الشهداء ص ٩١.

جواب رابع:

ويلوح من كلمات العقاد هذه، أجوبة اخرى، مثل ان الامام عليه السلام بأخذه النسوة يصبح أقوى حجة على الأمة اذ يطلب نصرتها له، ويكون ذلك أدعى لاستجابة المستجيبين، ويكون الخاذل له أقسى قلبا وأبعد عن دين الله وعن نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته. لكن هذا الجواب لا يكفي لإعطاء المبرر الواضح لأخذ النسوة معه. وربما يكون العقاد في مقام بيان فوائد ذهاب النسوة معه لا تحديد الهدف من ذلك، ولا بأس حينئذ بعد ذلك من الفوائد.

جواب خامس:

والذي نعتقده ان اهم جواب ذكر في هذا المقام، هو ما نقله القرشي عن الشيخ عبد الواحد المظفر: «ان الحسين عليه السلام انما خرج بعائلته خوفا عليها من اعتقال الأمويين، وزجها في سجونهم. فلو ابقى النساء في المدينة، لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علنا، وزجتها في ظلمات السجون. ولا بد له عليه السلام حينئذ من احد امرين خطيرين، كل منهما يشل اعضاء نهضته المقدسة، إما الاستسلام لاعدائه واعطاء صفقة لهم طائعا، ليستنقذ العائلة المصونة، وهذا خلاف الاصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، او يمضي في سبيل احياء دعوته ويترك المخدرات اللواتي ضرب عليهن الوحي سترا من العظمة والاجلال، وهذا ما لا تطيق احتماله نفس الحسين عليه السلام الغيور، ولا يردع اليه رادع من الحياء ولا يزجره زاجر من الاسلام، ان امية لا يهمها اقتراف الشائن في بلوغ مقاصدها، وادراك غاياتها، فتتوصل الى غرضها، ولو بارتكاب اقبح المنكرات الدينية والعقلية، ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي، وزوجة عبيد الله بن الحر الجعفي واخيرا زوجة الكميت الأسدي».

تأييد الجواب:

ولتأييد هذا القول نستطيع العثور على ما يلي:

مؤيد أول: إن من يطلع على سيرة يزيد، يدرك انه ليس هناك ما يردعه عن القيام بهذا التصرف، فيرسل جندا الى المدينة حيث آل الرسول ﷺ ويعتقلهم جميعا، ليبتز الامام الحسين عليه السلام بذلك، ويوجب عليه الدخول في مفاوضات تؤدي الى البيعة لا محالة، فيكون قد تهدم بذلك كل ما اراد الامام الحسين عليه السلام تحقيقه. وهذا الأمر يكشف عنه تصرف جيش يزيد بأمر منه يوم العاشر، فإنه لو كانت المسألة معركة مع شخص الامام الحسين عليه السلام، ولم يكونوا يطلبون الا شخصه من آل الرسول ﷺ، فلماذا السبي؟ ولم تلك التصرفات التي قام بها يزيد وجيشه. ان من يقوم بذلك وقد قتل الامام الحسين عليه السلام، لهو أجرأ على الفعل، قبل ان يقتل الامام الحسين عليه السلام اذا ترك النسوة والأطفال في المدينة.

مؤيد ثاني: كما ان الملاحظ ان الامام الحسين عليه السلام قد عرض على اصحابه أن يتركوه، فإن القوم لا يطلبون غيره، كما عرض على بعض أهل بيته، لكنه لم يطلب ذلك من جميع اهل بيته[1]. ومن المعلوم أن من الشعائر التي رفعت في عاشوراء «الدفاع عن حرم رسول الله ﷺ». ومع ذلك لم يخطر ببال أحد من اصحاب الامام عليه السلام ولا من النسوة الاستفسار عن حال النسوة في تلك الحال وكأن الكل يعلم ما هو الموضوع.

مؤيد ثالث: ومن المعروف أن والي المدينة حينها كان عمرو بن سعيد الأشدق الذي ما أن بلغه مقتل الإمام الحسين عليه السلام حتى أخذته الفرحة والشماتة، وفي الوقت الذي كان الحزن يعم المدينة والناس في بكاء وعويل،

---

(١) تذكر بعض الروايات التاريخية ان الإمام الحسين عليه السلام عرض على أهل بيته كلهم ذلك، ولكن الوقائع التي سبقت ولحقت تنفي هذه الرواية.

كان الأشدق يقول: واعية بواعية عثمان، كما خاطب رسول الله ﷺ وقال: يوم بيوم بدر. ثم خطب بالناس وبالغ في الشماتة[1].

أقول: اذا كان مثل هذا الشخص هو والي المدينة فماذا تتوقع منه لو ترك زينب عليها السلام والنساء من أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام في المدينة. وهو الذي أمر بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام بهدم دور بني هاشم، وهو الذي سمي بالأشدق لأنه اصابه اعوجاج في حلقه الى الجانب الآخر لإغراقه في شتم علي بن ابي طالب عليه السلام[2].

مؤيد رابع: ومما يشهد لذلك ايضا ان المشروع الأموي كان يقضي بسجن عقائل أهل بيت النبوة في الكوفة ثم قتلهن، ولذا لما حبسن في الكوفة عند عبيد الله بن زياد، كان ابن مرجانة ينتظر الأمر من يزيد بالقضاء عليهن جميعا. وقد نقل القرشي عن الوافي ان يزيد كان عازما على استئصال جميع نسل الإمام امير المؤمنين عليه السلام الا انه بعد ذلك عدل عن نيته وعفا عنهم[3]. ومن كانت هذه نيته بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام ومن معه، وهي حال يفترض فيها ان يكون يزيد وأعوانه قد حققوا مرادهم، فالمفترض إذن أن لا يكون له شأن بالنساء، أقول: اذا كانت هذه هي النية والإمام عليه السلام مقتول فالأولى أن يكون قد خطط لذلك قبل ان تندلع المعركة اذا تركت النسوة في المدينة فيعتقلهم ويهدد بهم.

مؤيد خامس: ومما يدعم ذلك محاولة جيش يزيد الهجوم على النسوة بينما كان الحسين عليه السلام وأصحابه يقاتلون. كما ذكرت ذلك السير الحسينية.

---

(١) راجع المقرم ص ٣٣٤.

(٢) راجع المقرم ص ٣٣٥. وذكر المقرم في كتابه في الصفحة المذكورة أن نهاية الاشدق كانت تليق به فقد قتل شر قتلة على يد عبد الملك بن مروان بن الحكم.

(٣) راجع القرشي في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام ج ٣ ص ٢٩٨.

والنتيجة ان إصرار اللعين وجيشه على التعرض إلى نساء أهل البيت عليهم السلام قبل المعركة وبعد المعركة، يكشف عن أن اخذ الامام الحسين عليه السلام للنسوة والأطفال معه، كان يهدف اول ما يهدف الى حمايتهن، فإنهن ما دمن معه لن يتمكن أحد من الاقتراب منهن، اما اذا تركهن فسيتعرضن للنكبات قبل ان يستشهد فيكون أحفظ لهن ان يكن معه.

وكان يهدف ايضا الى ان يأمن من ان نهضته لن تتعرض لاي ضغط قد يأتيه فيتفرغ بشكل كامل للمعركة لتحقيق اهدافها.

معنى شاء الله ان يراهن سبايا: وهذا هو ما نفهمه من قوله عليه السلام: «شاء الله ان يراهن سبايا». فإنه كما يحتمل ان يكون المقصود ان الله تعالى شاء لهن ان يراهن سبايا، بسبب الذهاب معه لمصلحة استكمال فعل الحسين عليه السلام من خلال النسوة، كذلك يحتمل ان يكون المراد انهن سيكن سبايا على كل حال، سواء أخذهن معه ام لا. على نسق قوله عليه السلام: «شاء الله ان يراني قتيلا»، الذي نفهم منه انه سواء ذهب ام لا، فإن القوم يريدون قتله، ما دام يرفض البيعة.

الجواب الجامع:

وكخاتمة لهذا الحديث يمكن ان نختار جوابا عن ذلك السؤال مركبا من عدة أجوبة بالصيغة التالية:

لقد أخذ الامام الحسين عليه السلام النسوة والأطفال معه الى كربلاء لأنه يعلم انه لا أمان لهم، إن لم يأخذهم معه، وستترتب على ذلك فوائد جمة منها:

١ ـ ان ذلك سيكون أدعى لنصرة الناصرين له وأقوى حجة على المتخاذلين.

٢ ـ ان بعض النسوة ستتمكن من القيام بدور عظيم، هو استكمال فعل

الحسين عليه السلام من خلال العمل التبليغي لفضح يزيد، واظهار ان المنتصر هو الامام الحسين عليه السلام كما مر عليك شواهد ذلك.

٣ ـ ان هذا العنصر المأساوي سينطبع في وجدان الأمة الى الأبد، وسيكون له الدخل الكبير في تشكل التاريخ، من خلال مساهمته في ديمومة احياء كربلاء الذي ساعد عليه وجود النسوة والمصائب التي تعرضن لها، مما كشف عن درجة الخبث التي يعيشها النهج الأموي.

الفصل السادس :

ثلاثة أسئلة مهمة

السؤال الأول: إذن الإمام عليه السلام لأصحابه بالرحيل

من الأمور الملفتة جدا في واقعة كربلاء عرض الإمام عليه السلام لأصحابه وبعض أهل بيته الإذن لهم بالرحيل. ودقة هذا الموقف تظهر من خلال ان الذي يكون في وضع كوضع الإمام عليه السلام يتمسك بكل إمكانية يمكنه ان ينال منها مساعدة في مشروعه. ولكن الإمام الحسين عليه السلام ليس قائدا عاديا، محتاجا للأمة، بل الأمة هي التي تحتاجه، وكل إمام معصوم هو أمة في حد ذاته.

ومن المناسب ونحن نبحث في تساؤلات كربلاء أن نحلل هذا الإذن وإلام يهدف. والملاحظ أن هناك نحوين من الإذن صدرا عن الإمام عليه السلام، إذن عام وإذن خاص.

الإذن العام:

فقد خطب الامام الحسين عليه السلام بأصحابه ليلة العاشر، فقال لهم: «اما بعد فإني لا أعلم اصحابا أوفى ولا خيرا من اصحابي، ولا أهل بيت ابر وأوصل من اهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرا. الا واني لأظن يومنا من هؤلاء

غدا، الا واني قد اذنت لكم، فانطلقوا جميعا في حل، ليس عليكم حرج مني ولا ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا»[1].

تجديد الإذن بشكل فردي:

ويذكر الرواة ان الامام الحسين عليه السلام لم يكتف في اظهار ذلك النداء بشكل جماعي، بل كان احيانا يتحدث معهم فرادى. فقد قيل لمحمد بن بشر الحضرمي في ليلة العاشر: قد اسر ابنك في ثغر الري. فقال عند الله احتسبه ونفسي، ما احب ان يؤسر وانا ابقى بعده حيا. فسمع الحسين عليه السلام فقال له: رحمك الله انت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك فقال: اكلتني السباع حيا ان فارقتك. قال فاعط ابنك هذه الأثواب الخمسة ليعمل في فكاك اخيه وكان قيمتها الف دينار[2].

وخرج الامام عليه السلام في جوف الليل الى خارج المخيم يتفقد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عما اخرجه قال: يابن رسول الله، افزعني خروجك الى جهة معسكر هذا الطاغي. فقال الحسين عليه السلام: اني خرجت اتفقد التلاع والروابي، مخافة ان تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون. ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع، ويقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه، ثم قال له: الا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل، وتنجو بنفسك، فوقع نافع على قدميه يقبلهما، ويقول: ثكلتني امي، ان سيفي بألف وفرسي بمئة. فوالله الذي منّ بك علي لا فارقتك[3]..

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٢١٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

فانظر الى هذه الحادثة بروح متيقظة، فالامام عليه السلام قابض على يد نافع، ولست ادري ما هو شعور نافع في تلك اللحظة، وهو يرى يده بيد الامام عليه السلام، فأي سعادة كان يحلق فيها نافع كأنه طائر في سماء الملكوت، لكن شيئا ما جعله يتهاوى من هذه السماوات العليا، وأحس بشيء ثقيل قد اثقل ظهره أهوى به إلى الأرض، عندما سمع تلك الجملة التي قالها له الامام الحسين عليه السلام، رغم أن اللهجة التي استعملها الإمام عليه السلام لهجة كلها تطمين وحب ومودة. لكن ابن هلال هوى الى قدمي الامام عليه السلام يقبلهما..

مغزى الإذن:

وقد ولّد هذا النداء وهذا الإذن العام تارة والخاص تارة أخرى، تساؤلا كبيرا حول مغزى هذا الاذن، الذي يتناول اصحابه والرجال من أهل بيته اذ لم تكن النسوة حاضرات في ذلك المجلس، او على الأقل لم تكن مخاطبات بذلك الخطاب. وهو عليه السلام رغم المدح العظيم الذي قدمه عن اصحابه وأهل بيته، رغم ذلك عرض ذلك الاذن، فهل يعني ذلك الاذن ان الامام عليه السلام يعطيهم براءة ذمة عن القتال معه، بحيث لو تركوه في تلك اللحظات لكانوا مبرأين عن الذنب، لا يستحقون عقوبة على تركه ام ان في الأمر سرا آخر؟.

الذي نعتقده ان هذا النداء والإذن يهدف الى أمرين:

الأول: مزيد اختبار لأصحابه، فان المتردد سيستغل تلك اللحظة للهرب، فإن حركة الامام الحسين عليه السلام لا تسمح بظهور المترددين يوم المعركة، فيفرون مما يضعف من وقع الثورة وأهمية نتائجها. فكأن الامام عليه السلام يريد ان يظهر ما قد يكون محتملا في الأذهان الى واقع الأعيان، فيقول: ربما هناك من ينتظر الاذن بالرحيل او يطلبه لكنه يشعر بالحرج أو الضيق، فرفعا لذلك الحرج عرض الامام عليه السلام الاذن.

والواقعة هي اقرب ما تكون الى قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1].

كما أن عرض الإمام الإذن يكون من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[2].

الثاني: اظهار أهلية الوصف الذي اعطاه الامام الحسين عليه السلام لأصحابه من خلال اثبات انه، رغم الاذن الذي تردد صداه عبر الزمان، لم ينسحب احد منهم، بل بالعكس ازدادوا اصرارا على المعركة فداء له عليه السلام، فانتفى أي احتمال ان يكون هناك حرج لدى البعض، او ضغط على اصحابه عليه السلام. كما اثبت ان الموضوع ليس قبلية او عشائرية، فإنه لو كان الأمر كذلك، ربما كان يكفي هذا الاذن للتفرق. ولكن الأجوبة كانت واضحة جلية في ان العلاقة التي كانت بين الامام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته لم تكن مجرد علاقة عائلية او قبلية، بل كانت علاقة مع الدين وعلاقة المأموم بالامام.

فالإذن لم يكن بهدف اعطاء براءة الذمة للمتخاذلين، إذ لا عذر في خذلانه عليه السلام.

ان المعركة التي يخوضها الامام الحسين عليه السلام لا يحتاج نصره فيها الى امر من الامام عليه السلام، او تكليف. فإن وجود الامام عليه السلام في ساحة المعركة نفسها ينطق بالتكليف.

---

(١) سورة التوبة الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) سورة الكهف الآية ٥١.

والذي يدل على ان الامام عليه السلام كان يهدف الى ما ذكرناه أمور:

منها قول أهل بيته: ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك ابدا. وهذا يعني ان المسألة لا تحتاج الى أمر وتكلف[1].

ومنها: جواب بني عقيل عندما قال لهم عليه السلام يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل، فاذهبوا انتم فقد اذنت لكم. فقالوا: سبحان الله، ما يقول الناس. لا، والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك[2].

ومنها قول مسلم بن عوسجة: أنحن نخلي عنك؟ وبما نعتذر الى الله في اداء حقك؟ لا والله، حتى اطعن في صدورهم برمحي، واضربهم بسيفي فاثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى اموت معك.

وهذه الجملة «وبما نعتذر الى الله» دلت على ان الاذن لا يكفي للعذر.

«فهذا مسلم بن عوسجة الأسدي الذي لم يكشف التاريخ عن اعماله الخالدة ومزاياه الصالحة بقليل ولا كثير، غير كلمة شبث بن ربعي انه غزا مع المسلمين آذربيجان، وقتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين. وما عسى ان يعرف منها القارئ الا مدى ولائه الأكيد لخلفاء النبي صلى الله عليه وآله وعدم تغيره بتطور الزمن وملابسات الأحوال، ولكن قوله للحسين عليه السلام: انحن نخلي.. أفادنا بصيرة بثبات الرجل على المبدأ في آخر مرحلة من مراحل الوجود..»[3].

---

(١) مقتل الحسين للمقرم ما بعد ص ٢١٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

ومنها قول سعيد الحنفي: والله لا نخلي عنك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، اما والله لو علمت اني اقتل ثم احيى ثم احرق ثم احيى ثم اذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى القى حمامي دونك، فكيف لا افعل ذلك وانما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابدا[1].

وتكلم باقي الأصحاب بما يشبه هذا الكلام فجزاهم الحسين عليه السلام خيرا.

ومنها: انه عليه السلام لما عرف منهم صدق النية والاخلاص في فدائه قال لهم: اني غدا اقتل وكلكم تقتلون معي ولا يبقى منكم احد فقالوا له: الحمد لله الذي اكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك فقال لهم جزاكم الله خيرا ودعا لهم بخير[2].

وفي رواية ان الامام عليه السلام دعاهم فقال لهم: «ارفعوا رؤوسكم وانظروا فجعلوا ينظرون الى مواضعهم ومنازلهم من الجنة». وقد دل هذا القول على انه عليه السلام اراد ان يمهد بذلك الاذن لهذا الإخبار، وأن يظهر للملأ ان أصحابه مستحقين لتلك المنزلة الرفيعة. ولا شك ان هذا الإخبار سيبعث في قلوبهم المزيد من الاطمئنان والثبات في المعركة.

وفي بعض الكتب ان القاسم سأل الامام الحسين عليه السلام وانا فيمن يقتل؟ فأشفق عليه الامام عليه السلام وقال له: يا بني كيف الموت عندك؟ قال: يا عم احلى من العسل فقال له عليه السلام: أي والله فداك عمك انك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد ان تبلو ببلاء عظيم[3].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم ص ٣٨٢.

وأظن القاسم كان يخاف ان لا يكون معهم، وقد نطق بذلك السؤال بشكل عفوي بسبب ما شعر به من قلق، ان لا يكون من المبشرين بالشهادة، فبشره الامام عليه السلام بذلك، بعد ان ظهر سر السؤال وبين أن الموت عنده في سبيل الله أشهى من العسل. وقد عده الإمام عليه السلام من الرجال الذين يقتلون معه رغم صغر سنه، لكنه كان رجلا في فعله واي رجل.

ومنها: ان الامام عليه السلام كان يطلب النصرة يوم كربلاء بشكل متكرر، وهذا لا يتلاءم مع كون الاذن اذن اباحة وليس اذن اختبار.

ومنها: ما جاء في بعض كتب السير ان الامام عليه السلام دخل خيمة زينب، بعدما ان انتهى حديثه مع اصحابه، وبعد ان انتهى من حديثه مع نافع، فوقف نافع خارج الخيمة ينتظر خروج الامام الحسين عليه السلام، فسمع زينب تقول للامام عليه السلام: هل استعلمت من اصحابك نياتهم، فاني اخشى ان يسلموك عند الوثبة. فقال لها: والله لقد بلوتهم، فما وجدت فيهم الا الاشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل الى محالب امه[1]. والظاهر ان ما يقوله بعض الرواة من جملة: فلما علم الامام عليه السلام صدق نياتهم.. مأخوذ من هذا الحوار.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت واتيت حبيب بن مظاهر، وحكيت له ما سمعت منه ومن اخته زينب. فقال حبيب: والله لولا انتظار امره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة. قلت: اني خلفته عند اخته واظن النساء افقن وشاركنها في الحسرة، فهل لك ان تجمع اصحابك، وتواجههن بكلام يطيب قلوبهن. فقام حبيب ونادى: يا اصحاب الحمية وليوث الكريهة. فتطالعوا من مضاربهم كالاسود الضارية، فقال لبني هاشم: ارجعوا الى

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٢١٩.

مقركم لا سهرت عيونكم، ثم التفت الى اصحابه وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع. فقالوا باجمعهم: والله الذي منَّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار امره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة فطب نفسا، وقر عينا. فجزاهم خيرا، وقال: هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن. فجاء حبيب ومعه اصحابه، وصاح: يا معشر حرائر رسول الله ﷺ، هذه صوارم فتيانكم، آلوا الا يغمدوها الا في رقاب من يريد السوء فيكم. وهذه اسنة غلمانكم، اقسموا ان لا يركزوها الا في صدور من يفرق ناديكم.

وممن ظهرت منه صفة عظيمة، ما كان يمكن معرفتها لولا كربلاء، جون مولى ابي ذر الغفاري، فإنه لما سمع قول الامام عليه السلام له: يا جون انما تبعتنا طلبا للعافية، فلا تبتل بطريقتنا. عندها بكى جون، وقال: انا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة اخذلكم. ان ريحي لنتن وحسبي لئيم ولوني اسود، فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني. لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

ومراد جون من قوله: «لوني أسود» الكناية اسوداد الوجه وسوء الحال ليستعطف الإمام الحسين عليه السلام مثلما استعطفه بقوله: إن ريحي لنتن وحسبي لئيم، حتى يتنفس عليه بالجنة وهذا من لطائف التعابير حيث يشبه جون الجنة بأنها نفس من أنفاس أهل البيت عليهم السلام.

ما يظن أنه مؤيد لكون الإذن للإباحة

وقد يظن البعض ان هناك مؤيدات على ان ذلك الاذن للاباحة، بحيث لو غادروه لكانوا معذورين، بشرط ان لا يسمعوا واعية الامام الحسين عليه السلام، وهو ينادي: ألا من ناصر ينصرنا، ولا يشهدوا واقعة كربلاء.

١ ـ ومن جملة تلك المؤيدات، قوله عليه السلام لعبيد الله بن الحر الجعفي

يوم اجتمع معه في قصر بني مقاتل لما استنصره فأبى عليه، قال له الحسين عليه السلام: انصحك، ان استطعت، ان لا تسمع واعيتنا وصراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل. فوالله لا يسمع واعيتنا احد ولا ينصرنا الا اكبه الله على منخريه في نار جهنم. وفي هذه الرواية يقال انها تدل على ان من لم يسمع الواعية فهو معذور ان ابيحت له المفارقة.

وهذا باطل فإنه لو كان الامام عليه السلام اباح له المغادرة فلماذا طلب منه النصرة. وانما الامام عليه السلام حذره من المعصية الأشد، وليس أباح له الخروج. أي ان من يكون في كربلاء يشهد الواقعة، ولا ينصر الامام عليه السلام لهو في النار بغير حساب، كناية عن عظيم الجرم. وليس في العبارة المذكورة ما يدل على ان من لم يسمع الواعية فهو معذور، بل هو مسكوت عنه. والثابت عقلا ونصا، ولو بأدلة اخرى ان من يعلم احتياج الامام لمن ينصره، ومع ذلك لا يتوجه الى مكان النصرة، يكون عاصيا ومستحقا للعقاب، وان لم يكن على حد عقوبة من كان حاضرا ولم ينصر. فقول الامام عليه السلام يبين المرتبة الشديدة من مراتب العقوبة ومراتب الخذلان، حتى ان الامام عليه السلام جعل الحاضر المتخاذل بحكم من قاتله.

٢ ـ ومن جملة ما قد يظن كونه مؤيدا، ما جرى مع الضحاك بن عبد الله المشرقي، حيث جاء الى الامام الحسين عليه السلام قبل الحرب، وقال له: اني اقاتل معك ما رأيت معك مقاتلا، فاذا لم ار احدا فانا في حل. فقال له الحسين: نعم. فخبأ فرسه في بعض الابنية، لما رأى خيل اصحاب الحسين تعقر، وصار يقاتل راجلا، ولما بقي الحسين وحده، قال له الضحاك: اني على الشرط. قال عليه السلام: نعم، انت في حل ان قدرت على النجاة. فاخرج فرسه من الفسطاط، وركبها وغار على القوم فأفرجوا له وتبعه خمس عشرة رجلا، فانتهى الى قرب شاطئ الفرات، ولحقه القوم وعرفه ايوب بن مشرح وكثير بن عبد الله الشعبي وقيس بن عبد الله الصائدي، وقالوا لاخوانهم: هذا

ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتم عنه فنجا منهم[1].

ولو صحت هذه الحكاية فإنها لا تدل على الإباحة بل تدل على أن الإمام عليه السلام لم يرد أن يلزمه بالبقاء، وإلا كيف يكون ذلك للإباحة، ثم لا يلبث الإمام عليه السلام ان يطلب النصرة. وكيف يكون للاباحة وقد ذهب المشرقي وقد سمع واعية الحسين عليه السلام، ومع ذلك قرر ان يترك لأنه رأى انه لن يتمكن من فعل شيء للامام عليه السلام فحرم من نعيم لا انتهاء له.

هذا لو صحت الرواية، وإلا فإن للشك فيها مجالا خاصة وأن الإمام عليه السلام لم يكن يقبل مثل هذه العروض.

السؤال الثاني: لماذا لم يقتل مسلم ابن زياد في منزل هانئ:

يقول المؤرخون: انه لما بلغ مسلم بن عقيل خطبة ابن زياد ووعيده، وظهر له حال الناس، خاف ان يؤخذ غيلة، فخرج من دار المختار بعد العتمة الى دار هانئ بن عروة المذحجي، وكان شديد التشيع، ومن اشراف الكوفة وقرائها وشيخ مراد وزعيمها، يركب في اربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها احلافها من كندة ركب في ثلاثين الفا. وكان من خواص امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، حضر حروبه الثلاثة. وادرك النبي صلى الله عليه وآله وتشرف بصحبته، وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة.

خطة للاغتيال: نزل مع مسلم بن عقيل، شريك بن عبد الله الاعور الحارثي، وكان من كبار شيعة امير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، جليل القدر في اصحابنا شهد صفين وقاتل مع عمار بن ياسر، ولشرفه وجاهه، ولاه عبيد الله ابن زياد من قبل معاوية كرمان. وكانت له مواصلة وصحبة مع هانئ بن عروة،

---

(١) نقله المقرم في كتابه عن الامام الحسين عليه السلام ص ٩٤ عن الطبري ج ٦ ص ٢٥٥.

فمرض شريك، في منزل هانىء، مرضا شديدا، عاده فيه ابن زياد. وقبل مجيئه قال شريك لمسلم: ان غايتك وغاية شيعتك هلاكه، فأقم في الخزانة، حتى اذا اطمأن عندي اخرج اليه واقتله، وانا اكفيك امره مع العافية. وبينا هم على هذا الامر اذ قيل: الأمير على الباب، فدخل مسلم الخزانة، ودخل عبيد الله على شريك، ولما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يأخذ عمامته من على رأسه ويضعها على الأرض، ثم يضعها على رأسه، فعل ذلك مرارا، ونادى بصوت عال يسمع مسلما:

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها حيوا سليمى وحيوا من يحييها

هل شربة عذبة اسقى على ظمأ ولو تلفت وكانت منيتي فيها

وان تخشيت من سلمى مراقبة فلست تأمن يوما من دواهيها

ولم يزل يكرره، وعينه رامقة الى الخزانة. ثم صاح بصوت رفيع يسمع مسلما: أسقونيها، ولو كان فيها حتفي. فالتفت عبيد الله الى هانئ، وقال: ابن عمك يخلط في علته. فقال هانئ: ان شريكا يهجر منذ وقع في علته، وانه ليتكلم بما لا يعلم.

جواب مسلم عن عدم اغتيال ابن زياد:

فلما غادر ابن زياد وخرج مسلم من مخبئه قال له شريك: ما منعك منه. قال خلتان:

الاولى: حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن.

والثانية: امرأة هانئ، فانها تعلقت بي، واقسمت علي بالله ان لا افعل هذا في دارها، وبكت في وجهي.

فقال هانئ: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها، والذي فرت منه وقعت فيه[1].

رأي القرشي:

قال القرشي: «يتساءل الكثيرون من الناس عن موقف مسلم، فيلقون عليه اللوم والتقريع، ويحملونه مسؤولية ما وقع من الاحداث. فلو اغتال الطاغية لانقذ المسلمين من شر عظيم، وما مني المسلمون بتلك الأزمات الموجعة التي اغرقتهم في المحن والخطوب..

اما هذا النقد فليس موضوعيا، ولا يحمل أي طابع من التوازن والتحقيق، لعدم التقائه بسيرة مسلم ولا بواقع شخصيته، فقد كان فذا في ورعه وتقواه، وتربى في بيت امير المؤمنين عليه السلام . . . ان مهمة مسلم التي عهد اليه بها هي اخذ البيعة من الناس، والتعرف على مجريات الاحداث، ولم يعهد اليه بأكثر من ذلك. ولو قام باغتيال الطاغية، لخرج عن حدود مسؤولياته. على ان الحكومة التي جاء ممثلا لها انما هي حكومة دينية، تعني قبل كل شيء بمبادئ الدين، وليس من الاسلام في شيء القيام بعملية الاغتيال. فاستمسك مسلم بفضائل دينه، من اغتيال ابن زياد وكان تحت قبضته»[2].

نقد الرأي:

أقول: يلاحظ في الذين يعالجون قضية مسلم وما جرى معه في بيت هانئ بعض التسرع، وهو ما وقع فيه القرشي أيضا، إذ استنتج من كلمة مسلم أن الله تعالى حرم الاغتيال. وهذا الكلام بهذا النحو غير دقيق.

ومن خلال تحليلنا لذلك الموقف الذي كان عليه مسلم، وما جرى

---

(١) راجع المقرم ص ١٥١. وقد نقل الحكاية مجموعة كثيرة من كتب التاريخ.

(٢) راجع القرشي في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٥.

عليه، نستطيع ان نستنتج الآتي:

أولا: لم يذكر النص التاريخي الذي حكى القصة، ما إذا كان مسلم قد وافق على اقتراح شريك باغتيال ابن زياد في دار هانئ، وليس عندنا الا اقتراح قدمه شريك، ربما كان مسلم في صدد التفكير فيه.

ثانيا: إن مسلما علل عدم عمله بفكرة شريك بعلتين، عامة دينية، وخاصة تخص بيت هانئ. والأولى هي ما وصل مسلم من أن الإسلام قيد الفتك. والثانية هي ان زوجة هانئ لم ترض بذلك.

أما الأولى فهي لا تعني على الإطلاق ان الإسلام حرم الاغتيال مطلقا كما يخطئ في ذلك الكثير بل إنها تعني فقط ان للفتك في الإسلام قيودا، لكن الحديث الذي نقله مسلم عن رسول الله ﷺ لم يبين هذه القيود. وكون الإسلام لا يرضى بالاغتيال كيفما كان أمر مسلم، إنما الذي يحتاج إلى بحث في ماهية هذه القيود، ثم تطبيقها على حالة مسلم لنرى إن كانت منطبقة عليه أم لا.

ولا علم لنا إلى الآن فيما إذا اختار أحد من علمائنا الفقهاء رأيا يحرم الاغتيال مطلقا، بل الظاهر أن المتسالم عليه فقهيا هو عدم ثبوت مثل هذه الحرمة، وإنما الثابت هو الحرمة في بعض الحالات، هي التي اشير إليها في الحديث من أن الإسلام قيد الفتك.

من تلك الحالات، حالة ما إذا كان الشخص المراد قتله قد أخذ الأمان، ومن المعلوم ان حضور ابن زياد إلى منزل هانئ بعد أن كان قد أرسل إليه ابن زياد بأنه سيحضر إليه، يلقي بظلٍ من الأمان على ابن زياد. فإن الموافقة نفسها على المجيء يفهم منها ابن زياد ذلك. وهذا من الموارد التى قيد الإسلام فيها الفتك.

ومن تلك الحالات، ما إذا كان هناك حد شرعي يقتضي قتل شخص

ما، فإنه لا يجوز لأي كان التصدي لتنفيذ هذا الحكم من دون مراجعة الحاكم الشرعي، فهذا من الموارد التي قيد فيها الإسلام الفتك. وقد ذكر الشيخ الطوسي في التهذيب والكليني في الكافي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام فيها إرسال جاء فيها: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الفتك، يا ابا الصباح إن الإسلام قيد الفتك». وقد نقلها الحر في وسائله لكن بلفظ القتل بدل الفتك. ومورد هذه الرواية بعض الحدود أو العقوبات[1].

على ان الفتك تارة يستعمل في القتل مطلقا وتارة يستعمل في القتل على غفلة، المسمى بالاغتيال. كما أن اللغويين اختلفوا في معناه، ففي لسان العرب: «وفتك بالرجل فَتكا وفُتكا وفِتكا: انتهز منه غرة فقتله أو جرحه، وقيل: هو القتل او الجرح مجاهرة». ثم نقله بعد أسطر قليلة عن الفراء[2].

وليس من البعيد أن يقال إن كلمة الفتك تستعمل في العرف اللغوي العام في القتل أعم من أن يكون غيلة او مجاهرة.

ولا دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أراد من الكلمة الاغتيال، ما دام احتمال ان يكون المراد القتل واردا. ولا ريب أن الإسلام لم يشرع القتل كيفما كان بل هناك قيود شديدة عليه وأسباب محددة له ودائرة تنفيذ محددة. والله العالم.

ثم إنه لو سلمنا ان المراد بـ «قيد» حرم، فإن ذلك يكون من قبيل المطلق الذي له مقيدات كثيرة مثلما أن القاعدة الأساسية في القتل هي الحرمة ايضا الا ما خرج في مورد خاص. فلو كان المراد من الفتك الاغتيال تكون الرواية في

---

(١) راجع الكافي للكليني ج ٧ ص ٣٧٥ طباعة دار الكتب الإسلامية. والتهذيب ج ١٠ ص ٢١٤ طباعة دار الكتب الإسلامية. ووسائل الشيعة ج ١٩ ص ١٧٠ طباعة دار الكتب الإسلامية.

(٢) راجع لسان العرب لابن منظور المجلد الخامس من طباعة دار المعارف ص ٣٣٤٣.

مقام بيان القاعدة وأن الإسلام حرم الاغتيال كأصل من الأصول، وهذا لا يمنع من وجود استثناءات له تسمح به ضمن قيود محددة شرعا وضوابط ذكرها الفقهاء.

وعلى كل حال لا يصح ان يقال: إن الإسلام حرم الاغتيال مطلقا. وغاية ما يستفاد من مسلم ان المورد الذي هو فيه هو من الموارد التي يشملها المنع.

أما العلة الثانية الخاصة، وهي اعتراض زوجة هانئ على الفكرة، فلا بد ان يكون المقصود به شيئا آخر، إذ ان مسلما عندما تمسك بان الإسلام قيد الفتك فهو بالتأكيد لن يخرج لقتل ابن زياد وبالتالي لا يمكننا ان نفهم من العلة الخاصة ان مسلما يريد ان يقول: إنه كاد أن يخرج لولا زوجة هانئ، فإن ذلك تراجعا عن العلة الأولى وهي الأهم بنظر مسلم. بل مراده، والله العالم، أنه لو أراد الخروج فإن اعتراض زوجة هانئ كان سيشكل مشكلة، إذ ربما كان سيعلو صوتها ويفتضح أمر مسلم.

ثالثا: من قال إن خروج مسلم ومحاولته قتل ابن زياد كانت ستنجح حتما؟ فهل كان ابن زياد لوحده، وهو يعلم ولاء هانئ لعلي بن ابي طالب عليه السلام كما يعلم ولاء شريك له أيضا، والظرف هو ظرف صراع مع الحسين عليه السلام ومسلم رسول الحسين عليه السلام الى الكوفة. لا استطيع ان اتصور ان ابن زياد الخائف المرعوب قد اطمأن الى الكوفة بحيث يخرج من دون حرس أو جند معه، بل أغلب الظن أنه أتى الى منزل هانئ والجند تحوطه، ودخل بيت هانئ ومعه حرس وبالتالي فلا ضمان أنه لو نفذ مسلم الفكرة أنها كانت ستنجح.

رابعا: من قال: انه لو قام مسلم بقتل ابن زياد، إن شيئا ما كان سيتغير على مستوى الأحداث. إن هذا الاغتيال داخل في عنوان، هو اقرب الى

الانقلاب من الثورة. فإذا لم تكن الثورة ناجحة باعتبار ان اهل الكوفة خذلوه، فلن يكون الاغتيال منتجا، لأن اهل الكوفة سيخافون من اهل الشام بمجرد ان تنتشر دعاية اقبال جيش الشام الى الكوفة، بل هذا ما حصل لهم فعلا واضطر مسلما للتخفي وصيرورته في نهاية المطاف وحيدا لا ناصر له ولا معين. وهذا التخلي سيتحقق وسينقلب اهل الكوفة على مسلم، حتى وان لم يكن هناك ابن زياد، غايته انه ربما تغير ظرف استشهاد مسلم، فبدل ان يكون على يد ابن زياد، فسيكون على يد احد قادة الكوفة ممن زعموا انهم من انصار مسلم او ممن شابهوا عمر بن سعد، وربما لن تكون هناك حاجة لكي يرسل يزيد شخصا بديلا عن ابن زياد. واذا كان الأمر كذلك فالقتل على يد اسوأ الخلق اشرف للشهادة.

واذا كان الاغتيال سيكون مثمرا وموجبا لتغير الحقائق، والتزام اهل الكوفة، فهذا يعني ان اهل الكوفة سيقفون معه وان لم يقم بعملية الاغتيال. وهذا الكلام يفترض ان اهل الكوفة ناصروه على كل تقدير، وبالتالي لن يضر مسلم ترك الاغتيال.

اما ان نجمع بين اهمية الاغتيال ونعتبره حدثا كان سيغير واقع الاحداث بشكل جوهري، مع اجماع اهل الكوفة الا من ندر على مخالفة مسلم، والانقياد لاهل الشام، فهذا من الجمع بين الاضداد، لا يمكن لاي محلل ان يلتزم به.

خامسا: اشرنا مرارا الى ان المعركة ليست معركة سلطة باي وسيلة كانت ولو بالانقلاب والغيلة، بل معركة أمة عليها ان تعلن ولاءها للحق واستعدادها للتضحية من اجل اعلاء كلمة الله، ولتكون السلطة سلطة الشريعة والقانون، وهذا ما لم يظهر حينها من الأمة بل ظهر خلافه.

عود الى كلام القرشي:

وأما ما ذكره القرشي من أن مسلما لم يكن مكلفا بالثورة في الكوفة، وأنه لو ثار لكان قد تخطى صلاحياته، فهذا كلام غير سليم. فإنه وإن لم يكن مكلفا بذلك، لكن الأمر قد داهمه، وليس هو الذي خطط لذلك حتى يكون قد خرج عن صلاحياته، فماذا يفعل فهل يسلم نفسه للقتل ويمنع الناس من نصرته وانقاذ نفسه، بعد أن سد الأمويون منافذ الكوفة على مسلم ولم يبق له إلا أن يواجه أعداءه. نعم خذله أهل الكوفة وكان عليهم نصرته، ولا عذر لأحد بالتخلي عنه وتسليمه للعدو وكان عليهم حمايته ولو اقتضى ذلك إعلان الحرب في الكوفة والقضاء على واليها واستلام السلطة فيها الى ان يأتي الإمام الحسين عليه السلام او يقضي الله أمرا آخر.

ولو صح ما ذكره القرشي، لحق لمن خذل مسلما أن يعتذر لنفسه ويقول: ليس هذا ضمن الخطة، ولسنا مأمورين بالثورة مع مسلم. والحال أن المسألة مختلفة كليا عن الثورة بل هي دفاع عن رسول الحسين عليه السلام وعن الكوفة.

السؤال الثالث: لماذا رفض العباس ان يشرب

يذكر المؤرخون: ان العباس قرر النزول الى ميدان المعركة لكن الإمام الحسين عليه السلام طلب منه أن يأتي بالماء للأطفال، فأخذ العباس عليه السلام القربة وركب جواده وتوجه نحو الماء، فأحاط به اربعة آلاف ورموه بالنبال فلم ترعه كثرتهم، واخذ يطرد اولئك الجماهير وحده، ولواء الحمد يرف على رأسه حتى نزل الي الفرات مطمئنا غير مبال بذلك الجمع. ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين عليه السلام ومن معه، فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت ان تكوني
هذا لحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تاللـه ما هذا فعال ديني

ثم ملأ القربة وركب جواده وتوجه عائدا نحو المخيم فقطع عليه الطريق.. حتى استشهد عليه السلام[1].

قال السيد محمد الصدر: قد يخطر في البال سؤال ما اذا كان الأولى بالعباس عليه السلام شرب الماء، للتقوي على الأعداء، ثم نصرة الحسين عليه السلام ثم نصرة الدين[2].

وهذا سؤال طبيعي ومهم في الوقت نفسه. وقد قدم بعض الباحثين في قضية كربلاء أجوبة حول هذا السؤال.

أجوبة السيد محمد الصدر:

ومن هؤلاء السيد محمد الصدر نفسه إذ ذكر أربعة أجوبة هي:

«١ ـ انه لم يكن يوجد أي سبب في ذلك الحين يؤدي الى نجاة الحسين عليه السلام من القتل. فحتى لو شرب العباس الماء، بالمقدار الذي يحتاجه جسمه وأكثر، وتشجع وقاتل اكثر مما قاتل، فإنه لم يكن بالممكن ان ينجو هو، ولا اخوه الحسين عليه السلام من القتل، بل السبب لقتلهم موجود مستحكم لا محالة».

قال: «وهذا الجواب هو الأهم، لوضوح انه لو كان الشرب سببا في النجاة، لصار واجبا ولكنه لما لم يكن كذلك، أمكن الحديث عن الوجوه التالية».

ومراده ان الأجوبة الثلاثة الباقية ليست هي السبب الحقيقي، بل السبب الحقيقي هو عدم الموجب لإلزام العباس عليه السلام بالشرب. وتكون الوجوه الباقية

---

(١) قد ذكرت هذه الحادثة أغلب كتب السير. فراجع المقرم مثلا في مقتل الحسين عليه السلام ص ٢٦٧.

(٢) السيد محمد الصدر في كتابه اضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام ص ١٤٠.

دلالات دل عليها ترك العباس عليه السلام للشرب.

ثم قال:

«٢ ـ انه وجد من الخيانة لأخيه وذويه ان يكون رياناً بالماء، وهم عطاشى. وهذا ما يصرح به التاريخ، وقد نطق به الشعر الذي نقلناه عنه بصراحة، وهو أدب إسلامي عالي أمام الله سبحانه. ومن هنا قال تالله ما هذا فعال ديني».

«٣ ـ انه شعر بتكليفه في ذلك الحين بوجوب الاعراض عن شرب الماء، واطاع تكليفه ذاك. وهذا الشعور اما بالالهام او بالرواية عن جده صلى الله عليه وآله وسلم او فاطمة الزهراء عليها السلام كما نقل في بعض الروايات».

«٤ ـ انه عليه السلام اراد ان يموت عطشانا عمدا (بعد أن لم يكن الشرب واجبا عليه) أمام الله سبحانه، لأن ذلك اكثر اجرا واعلى مقاما. ومن هذا القبيل ما روي عن ابيه امير المؤمنين عليه السلام، انه دعاه أخوه في بعض الايام في منزله على مأدبة، فأكل ثلاث لقم فقط ثم سحب يده. فقال له اخوه: هلا اكلت يا امير المؤمنين. فقال عليه السلام: ان هي الا ثلاث، واريد ان القى الله خميصا. فكما ان امير المؤمنين عليه السلام يريد ان يلقى الله جوعانا، فكذلك ابنه العباس يريد ان يلقى الله عطشانا»[1].

مناقشة وتتميم

أغلب هذه الوجوه التي ذكرها لا بأس بها خاصة الوجه الأول، ما عدا الوجه الثالث. فإن القول بوجود تكليف له بحرمة شرب الماء أمر مستغرب، وإلا لخف وهج فعل العباس عليه السلام، ولتنافى ذلك مع اغتراف الغرفة من الماء كما هو واضح.

---

(١) السيد محمد الصدر في كتابه أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام ص ١٤٠ .

ويمكننا أن نضيف إلى هناك وجه آخر طبيعي، مع ملاحظة الوجه الأول، أن العباس عليه السلام نفر من الماء عندما تذكر عطش الحسين عليه السلام، فكان الإيثار منه في أعلى مراتبه. فإن من مراتب الايثار ان تكون النفس راغبة في الفعل الذي تركه إيثار، وهناك مرتبة أعلى وهو انه عندما تكون في موقع الايثار تعوف نفسك من طلب الشيء، وإن كان لولا الإيثار لطلبته، ولرغبت فيه. فترك العباس لشرب الماء كشف عن هذا المستوى الايماني الراقي، فإنه عندما رأى الماء شده العطش، لكنه بمجرد ان التفت الى عطش اخيه ومن معه، عاف الماء وكرهه ونفرت النفس منه. والله العالم.

الفصل السابع:

لماذا نصرّ على احياء عاشوراء كل عام
وهل لذلك علاقة بالامام المهدي المنتظر عليه السلام

عناية الإمامية بالذكرى:

لقد اعتنى الكثير من المسلمين، وخصوصا الإمامية الإثني عشرية، بواقعة كربلاء اهتماما قل نظيره لدى أي أمة من الأمم بأحداثها التاريخية. بل تميز الاحياء بأساليب تثير الدمعة، وتبعث على الحزن وتذكر بالمصاب، رغم ان الحسين عليه السلام ومن معه قد حققوا كل ما أرادوه، وتحققت أهداف حركتهم وهم الآن في نعيم لا يزول بقرب رب العالمين.

توجيه ومعاناة:

ولم يكن هذا الاهتمام ناشئا عن صدفة او عبث، بل كان كله بتوجيه من أهل البيت عليهم السلام لهدف لا يمكن الوصول اليه الا بهذا الاحياء. فلم يترك أهل البيت عليهم السلام وسيلة للدعوة نحو احياء هذه المناسبة بهذا النحو الذي تناقلته الأجيال ووصل الينا، الا وقد استعملوها. وقد كان هذا الاحياء في فترة من الزمن رمزا من رموز الصراع بين الحق والباطل، بين خط أهل البيت عليهم السلام وخط النفاق. وقد عمل اهل النفاق بكل جهدهم على الغاء هذا الاحياء،

بوسائل شتى سواء من حيث التضييق على الشيعة في بلاد الخلافة العباسية، أو مراقبة حركاتهم وسجن الكثير منهم، أو التضييق على زوار مشهد الإمام الحسين عليه السلام التي كانت في مرحلة عباسية معينة جهادا عظيما، لأن من كان يزور الإمام الحسين عليه السلام في تلك الفترة كان معرضا للسجن والقتل والتعذيب بشتى انواعه[1]. والتاريخ يذكر الكثير من النماذج عن هذه الحالات، ومع ذلك بقيت المناسبة واستمر الاحياء.

فالحقيقة أنه لم يكن بالامكان أن تصل إلينا عاشوراء بهذا الوجه المحمدي، لولا عناية الله تعالى، والدعوة الأكيدة التي تولاها أهل البيت عليهم السلام وتوجيه أتباعهم نحو ذلك، ولولا الدماء التي بذلت والتضحيات التي قدمت من قبل الكثير من الشيعة.

أساليب دعوة أهل البيت عليهم السلام للإحياء:

وقد اختلفت أساليب دعوة أهل البيت عليهم السلام الى ذلك الإحياء، ويمكن تقسيمها الى الأنحاء التالية:

النحو الأول: الدعوة الى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، واظهار ما جعله الله تعالى من أجر للزائر. وقد كان لهذه الدعوة اهميتها على مر التاريخ عموما، كما كانت لها اهميتها الخاصة في بعض الظروف الزمانية الخاصة كما

---

(١) وقد ذكر المؤرخون نماذج من تلك المضايقات. نذكر على سبيل المثال هدم العباسيين قبر الحسين عليه السلام ويقال إن أول من تجرأ على ذلك المنصور ثم فعل ذلك من بعده هارون الرشيد. وعمل المتوكل على منع شيعة أهل البيت عليهم السلام من زيارة كربلاء ففرض الضرائب وهددهم وتوعدهم بالقتل ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم فلما لم يجد ذلك كافيا للردع عمل على هدم القبر ومحو كل آثاره ليضيع مكانه فما فلح. وقد ذكر ذلك كله بالتفصيل السيد هاشم معروف الحسني في كتابه: من وحي الثورة الحسينية ص ١٥٣ فما بعدها ناقلا ذلك عن عدد من المصادر التاريخية.

اشرنا. ولم يكن كل هذا الأجر من الموضوعات، بل هو فعلا ما جعله الله تعالى للعباد المجاهدين الصابرين المحبين لآل البيت عليهم السلام. وقد دلت على ذلك مجموعة من الروايات نقتصر على ذكر نماذج منها:

١ ـ ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام في حديث طويل:

أتاه رجل، فقال له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، هل يزار والدك؟ قال عليه السلام: نعم، ويصلى عنده. وقال عليه السلام يصلى خلفه ولا يتقدم عليه. قال: فما لمن أتاه؟ قال عليه السلام: الجنة ان كان يأتم به[١]. قال: فما لمن تركه رغبة عنه؟[٢]. قال عليه السلام: الحسرة يوم الحسرة. قال: فما لمن اقام عنده؟ قال عليه السلام: كل يوم بألف شهر. قال: فما للمنفق في خروجه اليه، والمنفق عنده؟ قال عليه السلام: درهم بألف درهم. قال: فما لمن مات في سفره اليه؟ قال عليه السلام: تشيعه الملائكة، وتأتيه بالحنوط والكسوة من الجنة، وتصلي عليه اذ كفن، وتكفنه فوق اكفانه، وتفرش له الريحان تحته، وتدفع الأرض حتى تصور من بين يديه مسيرة ثلاثة اميال، ومن خلفه مثل ذلك وعند رأسه مثل ذلك وعند رجليه مثل ذلك، ويفتح له باب من الجنة الى قبره، ويدخل عليه روحها وريحانها حتى تقوم الساعة. قلت: فما لمن صلى عنده؟ قال عليه السلام: من صلى عنده ركعتين لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه[٣].

٢ ـ ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام:

«لو أن احدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام، لكان تاركا حقا من حقوق الله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن حق الحسين عليه السلام فريضة

---

(١) وهذه جملة لطيفة فإن اتباع الامام عليه السلام شرط في ترتب الجنة على الزيارة.

(٢) أي غير معترف بامامته.

(٣) كامل الزيارات الباب الرابع والأربعون.

(٤) المصدر السابق الباب الثالث والأربعون الحديث الرابع.

من الله واجبة على كل مسلم»[1].

٣ ـ ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام :

«ما من احد يوم القيامة الا وهو يتمنى انه من زوار الحسين لما يرى مما يصنع بزوار الحسين عليه السلام من كرامتهم على الله تعالى»[2].

٤ ـ ما في كامل الزيارات ايضا بسنده عن ابي الحسن الكاظم عليه السلام :

«من زار الحسين عليه السلام عارفا بحقه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[3].

٥ ـ ما في كامل الزيارات بسند صحيح عن ابي جعفر عليه السلام أنه قال :

لو يعلم الناس ما في زيارة قبر الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقا، وتقطعت انفسهم عليه حسرات. قلت : وما فيه؟ قال عليه السلام : من أتاه تشوقا كتب الله له الف حجة متقبلة، والف عمرة مبرورة، واجر الف شهيد من شهداء بدر، وأجر الف صائم، وثواب الف صدقة مقبولة، وثواب الف نسمة اريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظا سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته، حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله وأكفانه، والاستغفار له ويشيعونه الى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير ان يروعانه، ويفتح له باب الى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نورا يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب،

---

(١) كامل الزيارات الباب الخمسون الحديث الأول.

(٢) المصدر السابق الباب الرابع والخمسون الحديث الأول.

وينادي مناد: هذا من زار الحسين شوقا اليه، فلا يبقى احد يوم القيامة، الا تمنى يومئذ انه كان من زوار الحسين عليه السلام[1].

النحو الثاني: الدعوة الى عقد المجالس بذكر أمر اهل البيت عليهم السلام، سواء في عاشوراء ام في غيرها من الأيام والمناسبات. ونذكر نموذجا لذلك:

ما عن القمي في تفسيره في تفسير سورة الدخان أن ابا عبد الله عليه السلام قال للفضيل: يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟ قال نعم جعلت فداك. قال عليه السلام: إن تلك المجالس أحبها. فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيى أمرنا. يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر».

النحو الثالث: الدعوة الى رثاء الامام الحسين عليه السلام وكتابة الشعر فيه، مثل ما رواه في كامل الزيارات بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال لأبي هارون المكفوف:

يا ابا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام قال فأنشدته فبكى فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرقة: قال: فأنشدته:

---

(١) كامل الزيارات الباب السادس والخمسون. ولو لم يكن الا هذا الحديث لكفى. وقد تعمدنا ان نذكر ان السند صحيح حتى لا يكون هناك مورد استغراب لدى بعض المؤمنين ومن راجع كامل الزيارات الباب المذكور سيجد الكثير من الروايات المعتبرة الصحيحة الموضحة لعظيم الأجر لزوار الحسين عليه السلام جعلنا الله تعالى من زواره وحشرنا تحت لوائه وأيدنا بدعائه ورحمنا بتوسلنا به وشفاعته. ولقد كاد القلم يأخذني فأكتب كل ما ورد في ثواب من زار الامام الحسين عليه السلام لولا انني استدركت الهدف من مقالتي. وهي حقا لروايات يعجز المرء بسببها عن وصف شعوره تجاه زيارة الامام الحسين عليه السلام وسيتحسر كل من يقرؤها من عدم زيارته له عليه السلام ان لم يكن قد زاره بعد. فالله الله يا مؤمنين عليكم بزيارة الحسين عارفين بحقه وحق آبائه وليس حقه مجرد العلم بامامته بل العلم ايضا بأحقيته ان يتبع من غيره من عبيد الدنيا وجهالها. وأرجو من كل من يقرأ هذه الروايات في كتابي هذا ان وفق لزيارة الامام الحسين عليه السلام ان لا ينساني من دعائه.

«أمـرر عـلـى جـدث الـحـسـيـن فـقـل لأعـظـمـه الـزكـيـة»

فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر. قال: فلما فرغت، قال عليه السلام لي: يا أبا هارون، من انشد في الحسين عليه السلام شعرا فبكى وأبكى عشرا كتبت له الجنة، ومن انشد في الحسين شعرا فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة، ومن انشد في الحسين شعرا فبكى وابكى واحدا كتبت لهما الجنة»[1].

النحو الرابع: ذكر ما للبكاء على الحسين عليه السلام والتباكي عليه من أجر عند الله رب العالمين مثل:

١ ـ ما رواه في كامل الزيارات بسنده عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال:

«كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين ابن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا. وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا، لأذى مسنا من عدونا في الدنيا، بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق. وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خده من مضاضة ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[2].

٢ ـ وفي تتمة الحديث المتقدم عن ابي عبد الله عليه السلام، في حديثه مع ابي هارون المكفوف، قال عليه السلام في آخر الحديث: «من ذكر الحسين عليه السلام فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عز وجل

---

(١) كامل الزيارات الباب الثالث والثلاثون الحديث الأول.

(٢) المصدر السابق الباب الثاني والثلاثون الحديث الأول.

(٣) وليس في ذلك أي استهجان والأمور لا تقاس بالأوزان وانما هي القلوب وانما هو الحسين عليه السلام. والله الكريم لا يبخل فكيف اذا كان ذلك كله لهدف عظيم وأثر جزيل سنشير اليه فيما بعد فإنه بلا شك يستحق كل ذلك الأجر.

ولم يرض له بدون الجنة»[1].

٣ ـ وعن البحار بسندٍ عن علي بن الحسن بن فضال عن ابيه قال: قال الرضا عليه السلام:

«من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة. ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون. ومن جلس مجلسا يحيى فيه امرنا، لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب»[2].

٤ ـ وفي رواية عن أمالي الصدوق بسند عن الرضا عليه السلام:

«يابن شبيب إن سرك ان تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلا تولى حجرا لحشره الله معه يوم القيامة»[3].

٥ ـ وفي قصيدة لدعبل تزيد عن المئة بيت قالها في حضور الإمام الرضا عليه السلام، يذكر فيها مصاب كربلاء:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد ... تقطع قلبي إثرهم حسرات
خروج امام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات

قال دعبل: فلما انتهيت الى هذا القول، بكى الامام الرضا عليه السلام بكاء شديدا، ثم قال: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، أتعرف من هذا الامام؟ قلت: لا، الا اني سمعت خروج امام منكم يملأ الأرض قسطا وعدلا. فقال الرضا عليه السلام: ان الامام بعدي ابني محمد، وبعد

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم ص ٥٤، نقله عن البحار ج ٤٤
(٢) المصدر السابق ص ٥٦.

محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وأما متى يقوم؟ فإخبار عن الوقت لقد حدثني ابي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم الا بغتة»[1].

النحو الخامس: إقامة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم لهذه المآتم بهذه الطريقة، وإظهار تأثرهم بتلك الواقعة، ليتأسى بهم أتباعهم وأشياعهم. وكنموذج نذكر:

١ ـ أوصى الإمام الباقر عليه السلام بإعطاء ثمانمائة درهم لنوادب يندبن الإمام الحسين عليه السلام بمنى، أيام الموسم[2].

وقال المقرم: وفيمن لا يحضره الفقيه أنه عليه السلام أوصى بثمانمائة درهم لمأتمه وأن يندب في المواسم عشر سنين.

٢ ـ وفي كامل الزيارات بسنده عن ابي داود المسترق عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال:

«بكى علي بن الحسين عليه السلام على ابيه حسين بن علي عليه السلام عشرين سنة أو اربعين سنة، وما وضع بين يديه طعاما الا بكى على الحسين عليه السلام، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله. اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين. قال: انما اشكو بثي وحزني الى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون. اني لم اذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني العبرة لذلك»[3].

٣ ـ روى الصدوق في أماليه بسنده عن ابراهيم بن ابي محمود عن

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم، ص٥٦.

(٢) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ١٠١ نقله عن التهذيب للطوسي.

(٣) كامل الزيارات الباب الخامس والثلاثون الحديث الأول.

الرضا عليه السلام أنه قال:

«.. كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام. فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام»[1].

والروايات في ما ذكرنا كثيرة لسنا في وارد احصائها، وليس لذلك وضع هذا الكتاب، ونحن وإن أطلنا في نقل عدد لا بأس به من الروايات، لكن جرنا إلى ذلك التبرك بها، والطمع بالأجر بسببها.

سر هذا الاهتمام:

إن هذا كله يبعث على التساؤل ما هو السر وراء هذا التركيز على هذا الاحياء وبهذا الشكل المحزن؟ ولماذا انفرد مثل هذا التركيز على خصوص الإمام الحسين عليه السلام.

ولا شك أن واقعة كربلاء قد حفلت بالكثير من العبر، والكثير من القيم، حتى استحقت ان يعتني بها كل الموالين المحبين لأهل البيت عموما، وأهل البيت عليهم السلام خصوصا، فحرضوا وشجعوا على احياء تلك الواقعة، كلما سنحت لهم الفرصة. وقد استجاب الموالون لهذه الدعوة، وصارت من شعائرهم التي ثابروا عليها في كل عام، اضافة الى جعلها جزءاً من البرنامج الأساسي في كل ذكرى ميت.

وكل ذلك لهدف يرتبط اساسا، بحركة الامامة على مدى السنين المتمادية. فإن حادثة كربلاء بما تحمله من معان وقيم، تكفي لوحدها كمدرسة تربوية اجتماعية عامة، يقبل عليها كل من يشعر في قلبه بميل الى اهل البيت عليهم السلام، مهما كان مقصرا في حياته، ولذا كانت فرصة عظيمة كي

---

(١) أمالي الصدوق المجلس السابع والعشرون ح ٢.

تبث فيهم تلك المفاهيم والقيم، وكم هي الأجيال التي تخرجت من تلك المدرسة واي ابطال تخرج منها، وكم هم عدد التائبين الذين تابوا ببركة عاشوراء.

لقد أضفى الجو الإحيائي الخاص المعتمد لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام عنصراً وجدانيا حساسا في العملية التربوية، وتثبيت الأفكار والقيم الكربلائية. وكل ذلك كان يشكل مددا تربويا للموالين لأهل البيت حتى تبث فيهم روح التضحية، بحيث اذا ما اعلن اهل البيت عليهم السلام الثورة تكون النفوس مهيأة.

ونحن لا نريد ان نستغرق في هذه النقطة كثيرا، بقدر ما نريد ان نقول: ان أحد الأسباب المهمة بل هو أهم سبب على الاطلاق، هو ربط هذه الواقعة ونحو احيائها بتهيئة الجو والأنصار والموالين الصادقين، الذين أخذوا العبرة من كربلاء، من أجل انجاح ثورة الامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

حقائق من كربلاء:

فقد أفرزت حركة الامامة عموما وحركة الامام الحسين عليه السلام خصوصا، حقائق مهمة لا مجال للحياد عنها، اشرنا الى بعضها في بعض البحوث السابقة.

من تلك الحقائق:

١ ـ حقيقة ان الحكم الاسلامي لا يتحقق بانقلاب عسكري، وبقهر على الامة، ان لم تكن الامة مستجيبة لصدى هذا الانقلاب او الثورة، ومستعدة لحمايتها وحماية الحكم الذي ينشأ عنها.

٢ ـ حقيقة ان الحكم الاسلامي لن يتحقق بالمعجزة الالهية، ما لم يكن هناك تلبية من الأمة للنداء الالهي بنصرة الحق، مهما كان الثمن.

٣ ـ حقيقة ان تدخل المعصوم عليه السلام بحيث لا يعتني بوجود انصار لا

يكون الا اذا كان الخطر داهما على الاسلام، بحيث يتهدد بالضياع والفقدان، أو كان هناك خطر الانهيار التام الذي يلازم انتهاء الإسلام من الحياة كلية.

٤ ـ حقيقة ان المسالمة ستبقى شعار كل مرحلة يخذل فيه الناس الحق.

٥ ـ حقيقة أنه يجب العمل المتواصل الدؤوب لتحقيق شروط الثورة، من اجل اقامة العدل بين الناس عبر حكومة اسلامية.

٦ ـ حقيقة ان المسالمة تشكل عقوبة على الأمة، بسبب خذلانها، وكانت غاية العقوبة حرمانها من امامها، وغيبته عنها.

٧ ـ حقيقة ان الغيبة شكلت الذروة في حركة الامامة، وأنه كان لا بد من الصدمة حتى تستفيق الأمة مهما طال الزمن.

٨ ـ حقيقة ان الامام المعصوم الثاني عشر عليه السلام غاب، ومن أهم اسباب الغيبة فقدان الناصر. فقد كان الخطر يحيط به وهو جنين ولما يولد بعد، ولذا بدأت غيبته وهو جنين، فخفي على الناس ان امه حامل، وخفي على كثير من الناس انه ولد، حتى اختلف المسلمون في انه ولد ام لم يولد، ووقع الناس في الشبهات اثر ذلك.

٩ ـ حقيقة ان الظهور لن يكون الا اذا ارتفع السبب، والا لفقدت الغيبة حكمتها، وإن كنا نعترف بأننا لا نستطيع ان ندرك جميع ابعاد الغيبة وكل اسرارها.

١٠ ـ حقيقة ان الأمة ستبقى ممتحنة حتى تخرج من امتحانها ظافرة مهيأة لظهور الحجة، ليعلن الثورة الكبرى ويقيم الحكم العدل بين الناس.

١١ ـ حقيقة ان الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه سيأتي ليقود ثورة بكل ما للكلمة من معنى ونتائج، وسيخوض حربا بكل ما للكلمة من معنى وآثار، أي سيكون هناك شهداء، وربما الكثير من الشهداء، وجرحى وربما

الكثير من الجرحى، وهذا يستتبع أرامل وأيتاما.

الظهور للثورة:

إن من يتوقع ان تكون ثورة الامام الحجة مجرد نزهة فهو مخطئ في تصوره، ولن يكون النصر الذي سيحققه ناتجا عن محض الدعاء، كما لن يكون بالاعجاز، وإن كان سيلقى كل التأييد الالهي. ولو كان الدعاء وحده سبيلا للنصر في حركة الأمة، لكان استعمله الرسول صلى الله عليه وآله في بداية الدعوة واستمرارها ولم تكن هناك حاجة لكل تلك الحروب، وبالتأكيد كان سيستجاب لدعائه لو فعل. ولكان استعمله امير المؤمنين عليه السلام في رد الحق اليه، والراحة من مواجهة الأعداء، وكان بالتأكيد سيستجاب له الدعاء لو فعل، وهكذا غيره من الأئمة عليهم السلام .

إن الحياة ليست الا ابتلاء واختبار وقد اشرنا في بحث النصر الى علاقة النصر بذلك فلا نعيد.

علامات الظهور:

ويفتش الكثير من الموالين لأهل البيت عليهم السلام عن علامات الظهور وهي كثيرة، ويدققون في الروايات التي تذكرها، وهذا وإن يكشف عن حب عميق لإمام زمانهم عليه السلام وانتظار لظهوره، لكنهم غفلوا عن أن أحد أهم العلامات هي توفر النصرة المطلوبة، وهو العنصر الذي كان يفتقده الأئمة عليهم السلام السابقون كما كان يفتقده الامام الثاني عشر عليه السلام عندما ولد، فما لم يتوفر هذا العنصر، فمن المستبعد جدا ان يحصل ظهور. والله العالم.

الأمة الممتحنة:

ولقد مرت على الأمة الاسلامية بلاءات وبلاءات، حتى تصاغ الصياغة الكافية المطلوبة، لتتهيأ للمعركة الكبرى والثورة العظمى، وكانت الأمة تمر في حالة تصاعدية تنازلية، تارة تقترب وأخرى تبتعد، حتى

لاحت أواخر القرن العشرين بشائر، وظهرت مظاهر، تبعث على التفاؤل بقرب الظهور.

شواهد على النجاح في البلاء:

شاهد أول: وما انتصار الثورة الاسلامية المباركة في ايران الا احدى العلامات البارزة على بدء تكون العنصر المذكور، فقد بذل المسلمون في ايران الكثير من التضحيات، لتحقيق الجمهورية الاسلامية، هذا الحلم الذي كاد ان يكون مستحيلا، وما استسلموا في مواجهتهم لأعداء الدين، بما هيأ الله لهم من قائد مسدد حكيم مؤيد، هو الإمام الخميني (قده) الذي ما جاء الزمان بمثله. ولا تزال هذه الجمهورية الإسلامية المباركة، روحي فداها، تمر بالبلاء تلو البلاء، ولا زالت ثابتة رغم كل الصعاب، تحفظ ذلك النتاج العظيم والجمهورية المباركة، والعاقبة للمتقين.

شاهد ثاني: وما انتصار المقاومة الاسلامية في جبل عامل والبقاع الغربي الا شاهد آخُر على بدء تكون عنصر النصرة المطلوبة، فقد استمرت هذه المقاومة ما يقرب من عشرين عاما، ولا تزال، وهي صابرة على ما امتحنت به، مضحية بكل غال ونفيس، حتى قدمت الكثير من الشهداء والجرحى. وقد هيأ الله تعالى لها قادة عظماء، على رأسهم الإمام الخميني (قده) الذي زرع تلك النبتة، وسقاها بماء قراح طاهر مطهر، فما أسرع أن نمت تلك النبتة، حتى خرّجت قادة مخلصين أوفياء، نسأل الله لهم التسديد والتوفيق، والعاقبة للمتقين.

شاهد ثالث: وما تلك الأجواء التي نلحظها في فلسطين الا شاهد ثالث على بدء تكون ذلك العنصر، رغم كل المساعي التي يقوم بها الأعداء من الداخل والخارج للقضاء على تلك الانتفاضة.

لقد تداعت الأحداث بشكل عجيب، فالجمهورية الإسلامية المباركة

نتاج من نتاجات كربلاء، وكذا المقاومة الإسلامية. وما تشهده ساحة فلسطين نتاج من نتاج انتصار الثورة الإسلامية في ايران وانتصار المقاومة الإسلامية.

والعالم الإسلامي اليوم يعيش حالة صحوة يسعى الكثير من الأعداء، من اصحاب القلم والسيف، للقضاء عليها بالترهيب تارة والترغيب أخرى، بنشر الأكاذيب تارة وتشويه السمعة تارة أخرى، بالتضييق تارة والتعذيب تارة أخرى، ولن يتمكنوا من ان يطفئوا نور الله مهما فعلوا. فالأمة استيقظت بعد طول نيام، وانى لها ان تنام من جديد.

إن كل ما نراه يشهد على سطوع نجمة تشير الى قرب طلوع الفجر، وليس علينا الا الثبات قليلا، فما أسهل التضحيات تجاه ما نطلب.

إن الروايات التي تحدثت عن أن افضل الأعمال انتظار الفرج، تريد ان تقول: ان المنتظر للفرج يعيش دائما في حالة الانتظار. وحالة الانتظار تستدعي التهيؤ لمجيء المنتظر، وأفضل تهيؤ لذلك هو ما يجري حاليا.

إن الروايات التي ربطت بين كربلاء والقائم عليه السلام كما نلحظ ذلك بوضوح في دعاء الندبة، وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام مع دعبل، تشير الى تلك العلاقة المباشرة بين كربلاء، كمدرسة، وبين الأنصار، كتلاميذ في هذه المدرسة، وبين القائم عليه السلام وهو المعلم الأكبر فيها، والقائد الأعظم الذي أبكى غيابه قلوب محبيه وأقلق بعده أرواح مريديه.

ولهذا ربما صح لنا أن نقول: إن كربلاء ذخر الإمام الحجة عليه السلام وكنزه، ولولا هذا الاحياء المستمر لضعفت وسائل التربية والإعداد، وتهيئة الأنصار الأشداء.

إن الدعاء بتعجيل الفرج هو دعاء بتعجيل الثورة، وهو دعاء بالاستعداد للتضحية والجهاد فمن لم يعرف مغزى دعائه فلينتبه اليه وليهيّىء نفسه له.

اللهم عجل في فرج مولانا صاحب العصر والزمان فقد طال الفراق.

الفصل الثامن:

مسائل حول الامام السجاد عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام

للإمام السجاد عليه السلام دور مهم جدا بعد حادثة كربلاء، فقد شكل المرجعية، على اختلاف وجوهها، بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام . وإذا أردنا أن نتحدث عن دور الإمام السجاد عليه السلام عموما، يمكننا أن نتفهم ذلك من خلال مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة ما بعد عاشوراء إلى حين الفرج عن آل البيت عليهم السلام من ظلم يزيد.

المرحلة الثانية: مرحلة الثأر السريع من قتلة الإمام الحسين عليه السلام واستكشاف دور الإمام عليه السلام فيها.

المرحلة الثالثة: ما طبع حياة الإمام السجاد عليه السلام من دور على مستوى الأمة، كجزء من دور الإمامة عموما.

ولسنا هنا في وارد الحديث عما كان له عليه السلام من دور، أو عما جرى معه، فقد تعرضت لذلك الكثير من الكتب المختصة، والذي نريده من هذا الفصل أن نشير الى ثلاث مسائل:

الأولى: رواية اعتاد أهل المنبر على ذكرها في مجالس العزاء فأردت ان أبدي الشك فيها.

الثانية: علاقة الإمام السجاد بثورة المختار.

الثالثة: بعض ما قامت به زينب عليها السلام من دور له علاقة بحركة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه.

المسألة الأولى: رواية مشكوك بأمرها:

يتردد على المنابر نقل رواية عن الإمام السجاد عليه السلام، من اللازم وضعها تحت دائرة الشك والبحث، أعني بها التي تحكى عن كامل الزيارات، والتي تضمنت ان زينب عليها السلام قد رأت ابن اخيها زين العابدين عليه السلام وقد أصابه الجزع من هول ما رأى في كربلاء، فبادرت اليه تشرح له ما جرى وما سمعته من جده وابيه حتى سكن ما كان به من جزع.

والحقيقة ان هذه الرواية ليست من روايات كامل الزيارات، بل زادها بعض تلامذة ابن قولويه مؤلف كامل الزيارات، وقد توهم البعض انها جزء من كامل الزيارات فنسب الرواية اليه، كما فعل القرشي في كتابه عن الامام الحسين عليه السلام، وكما فعل غيره. وقد تنبه السيد الخوئي الى ذلك، فقال عندما تحدث عن زائدة بن قدامة، راوي تلك الرواية، روى عن علي بن الحسين عليه السلام وروى عنه ابنه قدامة في حديث أدرجه الحسين بن احمد بن المغيرة في الباب الثامن والثمانين من كامل الزيارات.

وإليك ما جاء بالضبط في كتاب كامل الزيارت:

الباب الثامن والثمانون: فضل زيارة كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام. للحسين بن احمد بن المغيرة فيه حديث رواه شيخه ابو القاسم (ره) مصنف هذا الكتاب ونقل عنه وهو عن زائدة عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام. ذهب على شيخنا ان يضمّنه كتابه هذا، وهو مما يليق بهذا الباب، ويشتمل ايضا على معان شتى، حسن تام الألفاظ، أحببت ادخاله، وجعلته اول الباب... وقد كنت استفدت هذا الحديث بمصر، عن شيخي ابي القاسم علي بن محمد

ابن عبدوس الكوفي (ره)، مما نقله عن مزاحم بن عبد الوارث البصري، باسناده عن قدامة بن زائدة عن ابيه زائدة عن علي بن الحسين عليه السلام. وقد ذاكرت ابن قولويه بهذا الحديث، بعد فراغه من تصنيف هذا الكتاب، ليدخله فيه، فما قضى ذلك وعاجلته منيته (رض)، والحقه بمواليه عليهم السلام. وهذا الحديث داخل فيما اجاز لي شيخي (ره).

وقد جمعت بين الروايتين بالألفاظ الزائدة والنقصان والتقديم والتأخير فيهما حتى صح بجميعه عمن حدثني به أولا ثم الآن، وذلك اني ما قرأته على شيخي (ره) ولا قرأه علي، غير أني ارويه عمن حدثني به عنه، وهو ابو عبد الله احمد بن محمد بن عياش، قال: حدثني ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، قال: حدثني ابو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري (ره)، قال: حدثني ابو عثمان سعيد بن محمد، قال: حدثنا محمد ابن سلام بن يسار (سيار) الكوفي، قال: حدثني احمد بن محمد الواسطي، قال: حدثني عيسى بن ابي شيبة القاضي، قال: حدثني نوح بن دراج، قال: حدثني قدامة بن زائدة عن ابيه، قال: قال علي بن الحسين.. عليه السلام:

هذا ما قاله راوي الرواية، وصريح كلامه انه زاده في الكتاب، وان مصنفه أي ابا القاسم بن قولويه لم يدرجه في هذا الكتاب، رغم انه وصله هذا الخبر. ويعتبر هذا الراوي انه قد كان ذلك عن سهو من ابن قولويه، رغم انه ذكّره بذلك في حديثه معه. كما يصرح الراوي انه لم يسمع هذا الحديث من الشيخ ابي القاسم بن قولويه صاحب كتاب كامل الزيارات، بل هو ينقله عنه بواسطة احمد بن محمد بن عياش، نعم يذكر هذا الراوي ان هذا الخبر يدخل في ما اجازه به على نحو العموم.

وفائدة هذه الملاحظة التي نسجلها هنا، أننا حتى لو بنينا على حجية مسندات روايات كامل الزيارات الا ما ظهر الدليل على خلافه كما هو مبنى السيد الخوئي، سابقا، وغيره، فإنه لا يمكن تطبيق هذا المبنى على هذه

الرواية، لأن ابن قولويه لم يدرجه في كامل الزيارات، وبالتالي لا يجري عليه ما يجري على روايات كامل الزيارات، علما ان المبنى في حد ذاته غير صحيح على ما حقق في محله، بل تراجع عنه السيد الخوئي في آخر عمره (قده)، وإن كان هناك الى الآن من يلتزم بهذه النظرية، كما التزم بها بعض من سبق السيد الخوئي.

ثم ان في رجال السند من لم تثبت وثاقته، أو لم يظهر حاله من حيث الوثاقة وعدمها، كقدامة بن زائدة الواقع في سند الحديث وكذا غيره وهذا مما يضعف الأخذ بالرواية.

ومتن الرواية هكذا، قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة انك تزور قبر ابي عبد الله عليه السلام أحيانا. فقلت: ان ذلك لكما بلغك. فقال لي: فلماذا تفعل ذلك، ولك مكان عند سلطانك، الذي لا يحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمة من حقنا. فقلت: والله ما اريد بذلك الا الله ورسوله، ولا احفل بسخط من سخطه، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه. فقال: .. أبشر أبشر أبشر فلأخبرنك بخبر كان عندي في البحر المخزون، فإنه لما اصابنا بالطف ما اصابنا، وقتل ابي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده واخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت انظر اليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري، واشتد لما ارى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام، فقالت: ما لي اراك تجود بنفسك، يا بقية جدي وابي واخوتي. فقلت: وكيف لا اجزع واهلع، وقد ارى سيدي واخوتي وعمومتي وولد عمي واهلي مصرعين بدمائهم، مرملين بالعرا مسلبين لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم احد ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر. فقالت: لا يجزعنك ما ترى، فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله الى جدك وابيك وعمك. ولقد اخذ الله ميثاق اناس

من هذه الأمة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في اهل السماوات، انهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علما (علامات) لقبر ابيك سيد الشهداء لا يدرس اثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام، وليجتهدن ائمة الكفر، واشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد اثره الا ظهورا وأمره الا علوا. فقلت: وما هذا العهد، وما هذا الخبر؟ فقالت: نعم.. ثم حدثته بحديث عن ام ايمن ان رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الايام وأخبرها بما سيجري من بعده على علي عليه السلام وعلى الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والحديث طويل فمن شاء فليراجع كتاب كامل الزيارات.

ومنشأ التشكيك اضافة الى الشك في السند ان عليا زين العابدين عليه السلام كان مستغنٍ عن التسلية، فإنه أعلم من السيدة زينب عليها السلام بواقع الحال، وبما ستؤول اليه الأمور، خاصة وأنه يعلم انه هو الذي سيعمل على دفن الأجساد الطاهرة ويرد الرؤوس الى أجسادها. ولا يحتاج الى من يخبره كيف ستتم مواراة الجثث الطاهرة ودفنها.

والخلاصة ان ههنا مشكلة في سند الرواية كما أن ههنا اشكالاً في متنها بحيث انه يتنافى مع ما ثبت بالأدلة.

المسألة الثانية: دور الإمام عليه السلام في ثورة المختار

بيّنا في بعض البحوث السابقة بعض ما للإمام السجاد عليه السلام من دور على مستوى توضيح أهداف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته الاستشهادية، كما بينا فيما سبق، بعضا من دور للإمام عليه السلام في حفظ هذه النهضة وآثارها وإبقائها حية، لنقلها الى الأجيال اللاحقة، نظرا لما لهذه النهضة من تأثير يفوق كل حد، في تفعيل دور الإمامة والأمة معا.

وقد كان لكربلاء الصدى الكبير، وطنين أفاق النائمين، وأيقظ التوبة في

نفوس المتخاذلين، فكانت حركات وثورات هدفت للثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أهل بيته وأنصاره، وللنيل من حكم بني أمية، والقضاء عليه وتسليم السلطة لأهلها، فكانت ثورة التوابين التي قادها قوم شعروا بعظيم الجرم الذي ارتكبوه، فأملوا من الله سبحانه وتعالى أن يغفر لهم ما قصروا مع الرسالة المحمدية، وما أجرموه بحق الإمام الحسين عليه السلام إذ تخلوا عن نصرته عند طلبها، لكن لم يكتب لهذه الثورة النجاح، رغم ما أفرزته من انطباع شديد الأهمية، ودللت على مدى فظاعة ما ارتكبه بنو أمية عموما ويزيد خصوصا، ورغم أنها تمكنت من زعزعة الاستقرار في ذلك الحكم الجاهلي.

بدأ التحرك للإعداد لهذه الثورة عام ٦١ للهجرة، وهي السنة التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام، وتأخرت حتى عام ٦٥ للهجرة حتى تحققت، وكانت استراتيجيتها تقوم على مواجهة رأس الهرم، وأم المصائب، الحكم المركزي في الشام، على أن يطهروا الكوفة فيما بعد من المجرمين، ورغم شدة المعارك التي خاضوها، وكثرة من قتل من الأمويين وجندهم وقادتهم، رغم ذلك فشلت تلك الثورة وقتل قادتها[1].

وقد كان من بين من تردد طنين الثورة والثأر في عقله وروحه، من كان سجينا في سجون ابن زياد، إبان الواقعة الملحمة، المختار بن ابي عبيدة الثقفي.

المختار الثقفي وثورته:

فمن هو المختار الثقفي، الذي حارت فيه الأفكار، واختلفت فيه الأقوال، بين من جعله صاحب بدعة، ابتدع مذهبا يدعو لإمامة محمد بن

---

(١) يمكن لمن أراد الاطلاع على تفصيلات ثورة التوابين الرجوع إلى كتب السير فقد ذكرت ذلك بالتفصيل.

الحنفية، وبين من جعله في مقام شامخ لا يناله الا المقربون لأهل البيت عليهم السلام .

لسنا ننكر أن تحقيق هذه القضية يحتاج الى الكثير من الجهد، خاصة وأن لهذه القضية تأثيرا مباشرا على مبدأ الإمامة، ومن هو الإمام بعد الحسين عليه السلام ، فقد عمل الإعلام الخبيث على تشويه صورة ابن الحنفية، وصوّره كأنه مدع للإمامة، وأنه يرى نفسه أولى بها من الإمام السجاد عليه السلام ، وكان الغرض الأساس من ذلك الإضرار بفكرة الإمامة نفسها، بعد أن خرجت منتصرة من كربلاء، فاضحة لكل المزيفين الذين انتحلوا زورا وبهتانا اسم الإسلام وهو منهم بريء، والإضرار بحركة المختار نفسها والتشويه عليها، بعدما تمكنت من تحقيقه من نتائج باهرة وحققت أهدافها، فكان حقا علينا ان نعطي هذا الرجل بعضا من حقه، لما قام به من الثأر، وما أدخله من السرور على قلب آل محمد وشيعتهم.

ولذا لن تمنعنا صعوبة التحقيق في هذه القضية، من تقديم موجز يحقق المقصود، تاركين التفصيل لغيرنا أو لفرصة أخرى إن تمكنا منها.

المختار في روايات أهل البيت عليهم السلام :

ومن يتفحص الروايات الواردة في حق المختار، يجد انها ما بين رواية ذامة ورواية مادحة، لكن التدقيق في تلك الأخبار يفيد الباحث، ان الكثير من الروايات الذامة تعاني من مشاكل في سندها، بحيث لا مجال للاعتماد عليها، وما صح من تلك الروايات، ليست واضحة في الذم، بل قد يتوهم منها الذم. بينما الروايات المادحة، ففيها الكثير من الروايات الصحيحة التي يمكن الاعتماد عليها، ومن المعلوم أنه لو واجهتنا هكذا حالة، أي تعارض في الروايات بين المدح والذم، فالواجب يملي علينا، ان نقدم الروايات الصحيحة.

ومن الروايات الصحيحة الواردة في مدح المختار الثقفي، ما ذكره

الكشي بسنده عن جارود بن المنذر عن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث الينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام».

فانظر الى عظيم السرور الذي يبديه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه عن المختار وفعله. والمعلوم ان الرؤوس بعثت الى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، كما توضحه روايات أخرى، مثل الرواية التي نقلها الكشي بسنده عن عمر بن علي بن الحسين ان علي بن الحسين عليه السلام لما أُتي برأس عبيد الله بن زياد، ورأس عمر بن سعد خر ساجدا، وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيرا.

وفي رواية صحيحة اخرى رواها الكشي بسنده عن ابن ابي عمير عن هشام بن المثنى عن سدير عن ابي جعفر عليه السلام قال: «لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة».

ويظهر من بعض الروايات ان ما كان يغنمه المختار كان يرسله الى علي ابن الحسين عليه السلام[1].

وقد ذكرت بعض الروايات ان حركة المختار كانت باذن من علي بن الحسين عليه السلام، مع جعل الإشراف الميداني أو التوجيهي المباشر لمحمد ابن الحنفية، بنص الإمام السجاد عليه السلام، فعن جعفر بن محمد بن نما في كتابه: «انه اجتمع جماعة قالوا لعبد الرحمن بن شريح: ان المختار يريد الخروج بنا للأخذ بالثأر، وقد بايعناه ولا نعلم أرسله الينا محمد ابن الحنفية أم لا؟ فانهضوا بنا اليه نخبره بما قدم به علينا، فإن رخص لنا اتبعناه، وان نهانا تركناه. فخرجوا وجاؤوا الى ابن الحنفية.. فلما سمع ابن الحنفية كلام عبد

---

(١) للاطلاع على هذه الروايات راجع رجال الكشي وقد نقلها السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ج ١٨ ص ٩٤.

الرحمن وكلام غيره حمد الله واثنى عليه وصلى على النبيﷺ وقال: .. وأما الطلب بدمائنا فقوموا بنا الى امامي وامامكم علي بن الحسين. فلما دخل ودخلوا عليه، وأخبر خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قالعليه السلام: يا عم، لو ان عبدا زنجياً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: اذن لنا زين العابدينعليه السلام ومحمد ابن الحنفية[1].

وفي هذه الرواية إشارات:

الأولى: إن الأخذ بالثأر لا يحتاج الى اذن مخصوص، بل هو واجب على كل من يستطيع.

والثانية: ان الإمام زين العابدينعليه السلام قد وكّل محمد ابن الحنفية في متابعة القضية والاشراف عليها.

والثالثة: ان محمد ابن الحنفية كان مقرا بامامة الإمام زين العابدينعليه السلام، وهذا وان كان أمرا غير مشكوك به عندنا وعند علمائنا قاطبة، لكن اصابه التشويه بفعل الدس والكذب على محمد ابن الحنفية، كما بينا.

وقد جاء في بعض الروايات ذهاب ابو الحكم ابن المختار إلى الإمام الباقرعليه السلام ليستفسر عن رأيهمعليهم السلام في ابيه فقال له: ان الناس قد أكثروا في أبي والقول قولك، فمدحه وترحم عليه وقال: سبحان الله، أخبرني ابي والله ان مهر أمي مما بعث به المختار[2]، رحم الله اباك، يكررها، ما ترك لنا حقا عند أحد الا طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا.

---

(١) نقله السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ج ١٨ ص ١٠١ عن البحار ج ٤٥ ص ٣٦٥.

(٢) أي من الأموال التي بعثها المختار إلى الإمام السجادعليه السلام.

وقال ابن داود في ترجمة المختار بن ابي عبيدة الثقفي بعد ذكر الروايات المادحة: «وما روي فيه مما ينافي ذلك، قال الكشي نسبته الى وضع العامة أشبه، فمنه ان الصادق عليه السلام قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين عليه السلام، ومنه ان علي بن الحسين عليه السلام رد هداياه وقال: لا أقبل هدايا الكذابين، وأنه الذي دعا الناس الى محمد ابن الحنفية، وسموا الكيسانية والمختارية، وكان لقبه الكيسان، وهذا تشنيع العامة على المختار.. ثم رد الرويات الدالة على ذمه وناقشها في متنها[1]..

ثورة المختار: ولا بأس بذكر ملخص عن ثورته وما آلت اليه.

انطلقت سنة ٦٦ للهجرة في عهد عبد الملك بن مروان بن الحكم، بعد ان مات يزيد ومات مروان بن الحكم الذي بايعه اهل الشام للحكم، وكانت استراتيجيتها مختلفة عن استراتيجية التوابين، فهذه هدفت الى تنظيف الكوفة أولا من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ثم إكمال المعركة ان أمكن، وقد كان هدفها الأساس الانتقام والثأر. وقد نجحت فيما أرادت، وتمكن المختار من قتل كل من كان حيا ممن شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته واصحابه كعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن، الذي رميت جيفته الى الكلاب، وقيس بن الأشعث والحصين بن نمير وشبث بن ربعي وغيرهم[2].

---

(١) راجع كتاب الرجال لتقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي ص ٢٧٧ منشوارت الرضا. قم ـ ايران.

(٢) ونقل ذلك القرشي في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام ج ٣ ص ٤٥٧ عن تاريخ الطبري وابن الأثير وغيرهما. كما نقل تفصيل القصة الشيخ عباس القمي في نفس المهموم ص ٥٨٧ عن الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٨.

المسالة الثالثة: دور زينب عليها السلام

ويمكن تفهم دور زينب من خلال هذا العرض الموجز:

حفظ الإمام عليه السلام: دفعت القتل عن ابن اخيها زين العابدين عليه السلام وكانت مستعدة للشهادة من أجل ان يحفظ وتمنع عنه القتل، وقد جرى ذلك مرتين:

الأولى في كربلاء: فبعد أن قتل الحسين عليه السلام، وانتهى القوم الى علي ابن الحسين عليه السلام، وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض، تداولوا أمره بينهم هل يقتلونه أم لا، حتى جرد الشمر سيفه يريد قتله، وكان يقول: ان ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين، وبالغ ابن سعد في منعه، لما سمع العقيلة زينب بنت امير المؤمنين عليه السلام تقول: لا يقتل حتى أقتل دونه فكفوا عنه[1].

الثانية في الكوفة: فعندما وصل السبايا الى الكوفة عند عبيد الله بن زياد، فاجأه وجود علي بن الحسين عليه السلام، وبعد حوار بينهما اضطرب فيه ابن زياد، أمر بضرب عنقه، لكن عمته زينب عليها السلام اعتنقته وقالت: حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل ابقيت أحدا غير هذا، فإن أردت قتله فاقتلني معه. وقال السجاد عليه السلام: أما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة[2].

وهو دور لن يعي أهميته الا من يعي اهمية الإمامة في الاسلام.

لملمة الجراح: بقيت ليلة الحادي عشر تلملم الجراح، وهي التي تعيش أعظم جرح، وتهدئ الخواطر وتنفس عن المكروبين من الأيتام والمفجوعين، وتجمع العيال، وتحاول ان تعيد لهم الأمان. وما وهنت في هذه المهمة على عظم ما هي عليه من المصاب، فكانت تكبت الغصة،

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٣٠١.

(٢) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٣٢٥.

وتحافظ على رباطة في الجأش قل نظيرها لدى عظماء الرجال فضلا عن النساء في مثل هذه الأحوال.

تحميل أهل الكوفة المسؤولية: وعندما دخل السبايا الى الكوفة انبرت السيدة زينب عليها السلام وخطبت في الناس، وقالت لهم، في خطاب عظيم تحمل فيه اهل الكوفة مسؤولية ما جرى، وتنذرهم عذابا اليما من رب العالمين، فقالت لهم من جملة ما قالته: «يا اهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون، فلا رقأت لكم دمعة. انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم، الا بئس ما قدمت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم، وفي العذاب انتم خالدون..، ويلكم يا اهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم، واي دم له سفكتم، واي حرمة له انتهكتم، لقد جئتم شيئا إداً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا..»[1].

إعلان فشل الأمويين وفضحهم: وهي التي فضحت يزيد ومشروع يزيد، وكل المشروع الأموي الذي كان يأمله بنو أمية من وراء واقعة كربلاء. فقد جيء بالنسوة والأطفال، من كربلاء الى عبيد الله بن زياد في الكوفة، ثم الى يزيد في الشام، وكان كل من عبيد الله ويزيد يتوقعان ان يرد اليهما أناس قد انكسرت شوكتهم، لا طاقة لهم على المواجهة، ولا أمل لهم الا بالحفاظ على أرواحهم، ورفع عطشهم والتذلل والتخضع، عسى ينالوا رحمة من أعدائهم. ولكن الصدمة كانت عظيمة على يزيد وعبيد الله، إذ لاح في مجلسيهما، طيف امير المؤمنين عليه السلام، وسيف ذو الفقار، حين وقفت زينب تخطب فيهما، فما وهنت وما استكانت، وما بان عليها كأنها فقدت أحداً، بل كأنها هي التي خرجت مظفرة من معركة، جاءت لتشمت من الخاسرين فيها

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٣١١.

يزيد وعبيد الله بن زياد، كأنها أنهت للتو معركة بدر الكبرى التي حفظت للاسلام كيانه ووجوده. وفي تلك اللحظات أدرك كل من عبيد الله بن زياد ويزيد انهما فشلا فيما اراداه، وحاولا تبرئة نفسيهما مما جرى. لكنها أعطت لكل منهما قدره.

أولا: في مجلس ابن زياد. قال لها عبيد الله بن زياد الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وابطل احدوثتكم. فردت عليه قائلة:

«الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس تطهيرا انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا يابن مرجانة»[1].

وفي هذه العبارة دلالة بليغة فهي تقول له ان المفتضح انت، فهزت كل مشاعره، وهو الذي كان يظن نفسه منتصرا، اذ به يقف امام من يحط من قدره وقيمته وينعته بالفاسق والفاجر.

ثم قال لها: كيف رأيت فعل الله بأخيك. يظن نفسه بأنه سيهد كيانها وسيشمت بها، فقالت له: «ما رأيت الا جميلا هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يابن مرجانة».

وبسبب افتضاح امر ابن زياد، تعرض لانتقادات لاذعة، فحاول ابن زياد تبرئة نفسه والقاء التبعة على عمر بن سعد[2]، فطلب ابن زياد حسب ما نقله القرشي عن تلك المصادر من عمر بن سعد ان يعطيه الكتاب الذي أرسله اليه يطلب فيه، من عمر، قتل الحسين عليه السلام والا عزله، وعين مكانه شمر بن

---

(١) راجع حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٣ ص ٣٤٤.

(٢) راجع القرشي في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام ج ٣ ص ٣٥٧. وقد نقله عن الأخبار الطوال ص ٢٧١ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣ وانساب الأشراف ق ١ ج ١.

ذي الجوشن[1]. وكان ممن انتقده اخوه عثمان بن زياد، اذ قال له: والله لوددت انه ليس من بني زياد رجل الا وفي انفه خزامة الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل[2]:

ثانيا في مجلس يزيد. فبعد أن أحضر السبايا إليه أنشد:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخرزج من وقع الأسل

... إلى آخر الأبيات التي نقلناها سابقا[3].

فلما سمعت ذلك السيدة زينب قالت له: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله اجمعين. صدق الله سبحانه، حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[4].

أظننت يا يزيد، حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا. فمهلا مهلا، لا تطش جهلا، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[5].

أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله ﷺ، قد هتكت ستورهن وابديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد الى

---

(١) راجع حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج٢، ص٣٥٨.
(٢) المصدر السابق ص ٣٥٩.
(٣) راجع المصدر السابق ص ٣٧٧.
(٤) سورة الروم، الآية: ١٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

بلد، ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد.. ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وتهتف بأشياخك، زعمت انك تناديهم، فلتردن وشيكا موردهم، ولتودن انك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا. فوالله ما فريت الا جلدك، ولا حززت الا لحمك، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته.. ولئن جرَّت علي الدواهي مخاطبتك، اني لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا... فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا. ولا يرحض عنك عارها. وهل رأيك الا فند، وايامك الا عدد، وجمعك الا بدد، يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة. ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل[1].

وهذه الخطبة من أعظم الخطب، وقد قاربت في عظمتها وبلاغتها، بلاغة امير المؤمنين عليه السلام. وقد كشفت السيدة زينب عليها السلام بما قالته في تلك المجالس، وبما أظهرته من مواقف، عن سر مكنون مستودع في روحها وشخصيتها قد خبئ ليوم معلوم شاء الله ان ينطق روح القدس على لسانها

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٣٥٧، نقله عن ابن نما وابن طاووس وآخرين.

ليظهر عظمة الثورة.

وقد عددت السيدة زينب في هذه الخطبة صفات ذميمة في شخصية يزيد، ونتائج فعلته:

منها انه كافر، إذ قالت له: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ . . .﴾.

ومنها ان هذا الحكم هو حكمنا وسلطاننا فيزيد مغتصب، اذن لم تنته المطالبة بهذا الحق باستشهاد الامام الحسين عليه السلام.

ومنها تذكيره بأنه ابن الطلقاء الذين بقوا أحياء بكرم النبي محمد صلى الله عليه وآله، وانهم ما آمنوا يوما.

ومنها انه انك الخاسر في الدنيا والآخرة.

ومنها انه حقير الى درجة لا يستحق ان تكلمه، ولو بالتقريع، ولكن الموقف اضطرها الى ذلك.

ومنها انها اعلنت له فشله فيما اراد «فوالله لا تمحو ذكرنا..»، كما أعلمته بأن المنتصر هم آل البيت، وان ما حصل يستحق الحمد من الله تعالى.

وعلى اثر هذا الكلام انهار يزيد، اذ لم يكن يتوقع في مجلسه، وهو الخارج من معركة ظن نفسه المنتصر فيها، ان يلقى امرأة منكوبة قد قتل كل حماتها، ما عدا الإمام زين العابدين، ان تكون بكل هذه الجرأة، فلم يملك ما يرد عليها. بل صار يشعر بالضيق من وجودهم عنده، وخشي ان ينقلب الأمر عليه في الشام، وعلى اثر ذلك ارتفع الضيق عن آل البيت عليهم السلام، وتراجع يزيد عن كل ما كان يخططه، وسرحهم الى المدينة، ورد اليهم كل ما سلب منهم[1].

---

(١) راجع القرشي في كتابه عن الامام الحسين عليه السلام ج ٣ ص ٤١٥ وقد نقله عن تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ٤٠٠.

مسك الختام:

الخصائص الفكرية لواقعة كربلاء

قراءة في خطابي الإمام الخميني (قده) والقائد المعظم السيد الخامنئي (دام ظله)[1].

وغرضنا من عرض هذه القراءة هنا الإشارة الى جملة من الاستفادات والعبر التي يمكن تحصيلها من عاشوراء، اضافة الى الإشارة الى بعض ما ذكراه حول الأهداف وما يلائم هذه البحوث.

وكنا قد اشرنا فيما سبق من البحوث الى ان الله تعالى قد شاء لواقعة كربلاء أن تخلد، وأن تخرج عن كونها حادثة وقعت في التاريخ الى ان تصبح من مكوناته، ومن المؤثرات المهمة في صنع المستقبل. وكان من أبرز من تفاعلت روحه وفكره بثورة كربلاء العظيمة، الامام الخميني (قده) وتلميذه والولي من بعده السيد القائد الخامنئي (مد ظله).

---

(١) هذه المقالة كانت عبارة عن بحث تم تقديمه للمؤتمر الثقافي العاشورائي الأول الذي انعقد تحت عنوان المجالس الحسينية وآفاق الدور المنشود والذي دعت اليه الوحدة الثقافية المركزية في حزب الله. وقد رأيت من المناسب ان أذكره في خاتمة هذه الكتاب مع تنقيح واضافات تناسب المقام. هذا وأرجو من القراء الكرام ان يغضوا النظر عن عدم ذكر مصادر النصوص التي انتقيتها من كلمات هذين العظيمين.

وسنحاول في هذا العرض الموجز، الاشارة قدر الامكان، الى نصوص مهمة تضمنت، عناوين ملفتة:

فهم عاشوراء: هناك أذواق مختلفة في فهم عاشوراء ولكل منا طريقته في قراءتها، وللسيد القائد الخامنئي طريقته اذ يقول: «هذه الملحمة الخالدة لا يمكن ادراك كنهها الا بمنطق العشق، وبمنظار الحب، ليفهم ما الذي صنعه الحسين بن علي عليه السلام من بطولة ومجد خلال يوم وليلة، أي منذ عصر يوم التاسع من المحرم حتى عصر العاشر منه».

دور القائد: ومن عبر كربلاء، انها دلت على مدى الحاجة للقائد الملهم في حركة الأمة، وفي قيامها بالمهام المطلوبة منه. وقد وضح السيد القائد الخامنئي أهمية دور القائد، من حيث كونه الأقدر على تشخيص الواقع الفعلي، وبالتالي الأقدر على اتخاذ الموقف المطلوب في تلك المرحلة من تاريخ الأمة وصراعها، من خلال الترتيب الصحيح والدقيق للأولويات. وفي هذا المجال نراه يقول: «ان الحسين بن علي عليه السلام قد حدد في وقت حساس جدا من تاريخ الاسلام، الوظيفة الرئيسية من بين وظائف متنوعة ومتفاوتة من حيث الأهمية، ولم يخطئ او يشتبه في معرفة ما كان العالم الاسلامي محتاجا اليه في ذلك اليوم. وقد كان تشخيص الوظيفة الفعلية الأصيلة دائما، أحد نقاط الخلل والضعف في حياة المسلمين على مر العصور».

أهمية التشخيص الدقيق للأولويات: ويؤكد السيد القائد الخامنئي على أهمية هذا التشخيص فيقول: «الخلل في تشخيص الوظيفة الأصلية، يعني ان لا تعي الأمة ووجهاء العالم الإسلامي، في لحظة من الزمن، ما الذي عليهم ان يفعلوا أو أن يقدموا، وماذا عليهم ان يتركوا او يؤخروا».

«وفي الوقت الذي تحرك فيه ابو عبد الله عليه السلام، كان هناك اشخاص اذا قيل لهم: هل ننتفض؟ سيقولون: لا، لعلمهم بأن وراء ذلك العمل مصاعب

ومتاعب كثيرة، ويوجهون اهتماماتهم نحو مهام من الدرجة الثانية».

«اذا اشتبهنا في معرفة العدو والجهة التي يتعرض منها الاسلام للأذى والهجوم، فسوف نخسر خسارة كبيرة لا يمكن جبرها».

«لقد كان من بين رموز المسلمين في ذلك الوقت، اشخاص مؤمنون يريدون العمل بالتكليف، لكنهم لم يدركوا ما هو التكليف الرئيسي، ولم يشخصوا أوضاع ذلك الزمان، ولم يعرفوا العدو الرئيسي، فخلطوا بين المهمة الأساسية المحورية والمهام المتأخرة عنها».

إن وضوح الرؤية تجاه الأولويات، سيدفع بكل اصرار نحو العمل لتنفيذها، من غير تعلل أو تسامح في شأنها أو تحجج بالانشغال بأمور أخرى أقل أهمية.

وفي هذا المجال يقول السيد القائد الخامنئي: «هناك اشخاص ربما كانت لديهم انشغالاتهم واهتماماتهم كالتدريس والتأليف والوعظ والإرشاد.. وهؤلاء يعتقدون ان الانشغال بالصراع سيلهيهم عن هذه الأمور، فكانوا يتركون الجهاد على أهميته حتى لا تتوقف تلك الأعمال».

«من البديهي ان الحسين بن علي عليه السلام بتوجهه الى العراق سوف يحرم من البقاء في المدينة، ومن تبليغ الأحكام للأمة وبيان معارف أهل البيت عليهم السلام وارشاد المسلمين، كما سيحرم من تقديم العون للفقراء والأيتام، وهي امور كان ينشغل بها الامام الحسين عليه السلام قبل كربلاء، لكنه جعلها جميعا فداء للوظيفة الأكثر أهمية، حتى أنه ضحى بحج بيت الله الحرام في سبيل التكليف الأهم».

«وقف الإمام الحسين عليه السلام في وجه نظام الحكم ولما تبرز المشاكل بعد، وبعد ذلك بدأت المشاكل تتوالى، كالاضطرار الى الخروج من مكة وغيرها. ومن الأمور التي تمنع الإنسان من الاستمرار في المواقف الكبرى،

التمسك بالأعذار الشرعية، وقد كان في طريق الامام الحسين عليه السلام الكثير منها، أولها اعراض أهل الكوفة ومقتل مسلم، فإن هذا الحدث كان يقتضي في الظاهر ان يقرر الامام الحسين عليه السلام كونه عذرا شرعيا، وأن التكليف سقط، فعليه المبايعة بسبب الاضطرار، وأنه لم يعد بالإمكان أداء التكليف، في ظل هذه الأوضاع والأحوال، فإن الناس لن تتحمل ذلك. كما كان بمقدور الامام الحسين عليه السلام، لو اراد ان يعمل بهذا المنطق، ان يقول: ان هؤلاء النسوة والاطفال لا طاقة لهم على تحمل هذه الصحراء المحرقة، كما كان يمكنه ان يقرر يوم عاشوراء التوقف».

«لو أراد الامام الحسين عليه السلام ان يعمل كمتشرع عادي، ويدع عظمة رسالته في عالم النسيان، كان يمكن ان ينسحب عند كل خطوة، ويعلن عن سقوط التكليف، فإن الضرورات تبيح المحظورات[1]، ولكن الامام الحسين عليه السلام لم يفعل ذلك، وهذه استقامة وثبات الحسين عليه السلام. فالامام الحسين عليه السلام بمجرد ان سنحت له الفرصة للقيام بعمل عظيم، استغل تلك الفرصة، ولم يدعها تفلت من يده»[2].

---

(١) يذكرني هذا الكلام ببحث لطيف حول سبب اصرار الإمام علي عليه السلام على عدم المهادنة مع معاوية ومع الذين نكثوا بيعته وحاربوه فقد كانت تأتيه النصائح بأن يعطيهم ما يطلبون مؤقتا ثم يعمل في الخفاء على ازاحتهم والقضاء عليهم سياسيا أو عسكريا. وربما تطرح في هذه المجال قضية التزاحم بين المهم والأهم فيقال ان مقتضى هذه القاعدة العقلية أن يتنازل الامام علي عليه السلام أمام الآخرين عن المهم حفظا للأهم وقد تعرض السيد الشهيد الصدر لهذا الموضوع وقدم بحثا لطيفا مهما حوله وأجاب بأجوبة متعددة يمكن لمن شاء التفصيل مراجعة ما قاله الشهيد الصدر في كتابه عن الأئمة عليهم السلام: أهل البيت تعدد أدوار ووحدة هدف.

(٢) وتخين الفرص في اللحظة المناسبة أمر قد يقلب الأمور ويغير اتجاهها كليا كما نلحظ ذلك في الثورة التي قادها الامام الخميني (قده) الذي ما كانت تسنح له فرصة من فرص مواجهة الشاه وتحريك الناس ضد الشاه حتى كان يستغلها حتى كانت آخر فرصة استغلها هي فرصة تخلخل الأوضاع في عهد بختيار فحضر الى ايران رغم كل المخاطر المحتملة =

غربة الإمام الحسين عليه السلام : ومن الأمور الملفتة في حركة الامام عليه السلام غربته في مجتمعه، مجتمع المدينة، عاصمة الرسول صلى الله عليه وآله جد الحسين عليه السلام، فلم يكن أحد يفهم ما يريد، او يستجيب لما يريد الا القلة القليلة التي ناصرته، حتى أن بعض أعلام هذه الأمة كانت في واد غير الوادي الذي كان فيه الامام عليه السلام . والجهاد في الغربة من أصعب أنواع الجهاد.

وقد نبه السيد القائد الى هذه الالتفاتة المهمة اذ قال: «ويتجلى (أي جهاد الغربة) بخروج الانسان الى ساحة المعركة، والمجتمع من حوله ما بين منكر عليه وغافل عنه ومعاد له. حتى ان الذين يميلون اليه يسكتون حتى عن ابداء التشجيع لمسيرته.. الغالبية أعداء له. والجميع معرض بوجهه عنه حتى المؤمنين، بل ان الامام عليه السلام طلب من بعضهم النصرة، فلم يجد ذلك البعض الا ان يعرض على الامام عليه السلام تقديم الجواد.. إنه الجهاد في الغربة، جهاد يفقد فيه الامام عليه السلام أعز أعزائه، أمام ناظريه، من بنيه وبني اخوته واخواته واعمامه. زهور بني هاشم تتساقط الواحدة تلو الأخرى.. كل ذلك مع علمه عليه السلام بأنه بمجرد استشهاده ستسبى عياله وتسلب نساؤه، وسيبث الخوف والهلع في نفوسهن وتسلب أموالهن، حتى ان بنت امير المؤمنين عليه السلام زينب الكبرى سوف تتعرض للاهانة والتعذيب. كل ذلك كان يعلم به الامام، اضافة الى عطشه وعطش من معه من عياله..» .

«مثل هذا العظيم الطاهر، الذي تتسابق ملائكة السماء لمشاهدة نور وجهه، والتبرك به، والذي كان يأمل الأنبياء والأولياء لو ان لهم مقامه، مثل هذا العظيم يستشهد في هكذا جهاد، وفي هكذا محنة».

= وكانت تلك اللحظة من أهم اللحظات التي صنعت النصر بحيث لو أخر استغلالها لم يكن من المعلوم ان تتجه ايران في الاتجاه الذي سلكته. وكان حسن دراية الإمام في كيفية استغلال الفرص أحسن استغلال بما فيه نفع الإسلام والمسلمين علامة جلية على تسديده وتأييده من قبل رب العالمين وهو الذي أوجب خنوع الكل لحدسه الرباني.

«في الغربة.. تتجلى عظمة شهداء كربلاء، عظمتهم تكمن في احساسهم بالتكليف الالهي، والجهاد في سبيل الله، دون أن يخافوا من كثرة العدو، أو يستوحشوا في وحدتهم وقلة عددهم، ودون أن يتخذوا ذلك عذرا للفرار من العدو. هكذا قائد وهكذا امة يستحقان العظمة».

التناسب بين التضحية والهدف: لقد كانت غاية الامام الحسين عليه السلام عظيمة، بل لعلها أسمى غاية في الوجود، فكانت التضحية عظيمة بعظمة الغاية. وهذا ما يؤكد عليه الامام الخميني بقوله: «كلما عظم هدف الانسان وسمت غايته، كلما كان عليه ان يتحمل المشاق، بما يتناسب مع ذلك الهدف». وحين يتحدث الامام الخميني عن انتصار الثورة الاسلامية المباركة يقول: «وبنفس العظمة التي يتميز بها هذا النصر والجهاد، يكون حجم المصائب والتحديات.. وعلينا ان لا نتوقع بعد تحقيقنا لهذه الانتصارات ان ننعم بالسلامة».

علم الامام عليه السلام بما سيؤول اليه أمره: ورغم ان الإمام الحسين عليه السلام كان يهدف الى أمور عظيمة بعضها سميناه سابقا بالأهداف الثانوية وبعضها سميناه بالأهداف الجوهرية، فإنه كان يعلم بمآل أمره كما يؤكد على ذلك الامام الخميني بقوله: «كان عليه السلام يعلم بأن الأمر سيؤول الى ما آل اليه، وإذا عدنا الى أقواله وهو يهم بمغادرة المدنية الى مكة، وعندما خرج من مكة الى كربلاء، نجد انه بصير بما كان يفعل».

نظرة في أهداف الامام الحسين عليه السلام: لقد تحدث العلمان عن أهداف الامام عليه السلام، وذكرا مجموعة من الأهداف التي وصفناها سابقا بوصف الأهداف الثانوية، كما ذكرا الهدف الجوهري الأساس. فنرى الإمام الخميني يقول في بعض خطبه:

«تحرك عليه السلام ليستلم زمام الحكم، وهذا مبعث فخر له. والذين

يتصورون ان سيد الشهداء لم ينهض لاخذ زمام الحكم، فهم مخطئون. فسيد الشهداء عليه السلام انما جاء وخرج مع صحبه لتسلم الحكم، لأن الحكومة يجب ان تكون لأمثال سيد الشهداء عليه السلام .. لكن ليس من باب طلب الرئاسة، فلم تكن القضية قضية سيطرة او تحكم، فالحكم كله ليس له أي قيمة بنظرهم».

ولمثله اشار السيد القائد الخامنئي بقوله: «فهو لم يكن يهدف الى السلطة من حيث هي شأن دنيوي. وقد روي عن الامام الحسين عليه السلام أنه قال: اللهم انك تعلم ان الذي كان منا لم يكن منافسة في سلطان ولا التماس شيء من الحطام..».

ويوضح الإمام الخميني هذا الهدف بقوله: «لم تكن القضية قضية غصب الخلافة فحسب، لقد كان قيام سيد الشهداء عليه السلام وثورته قياما ضد السلطة الطاغوتية. تلك السلطة التي كانت تريد ان تصبغ الاسلام بصبغة أخرى، فلو أنها نجحت في ذلك لأصبح الاسلام شيئا آخر تماما، ولصار مثل النظام الامبراطوري الذي كان قائما لألفين وخمسمائة عام في ايران».

ثم يشير الامام الخميني (قده) الى الهدف الأساس فيقول: «ان الذي صان الاسلام وأبقاه حيا، حتى وصل الينا نحن المجتمعين هنا، هو الامام الحسين عليه السلام الذي ضحى بكل ما يملك، وقدم الغالي والنفيس، وضحى بالشباب والأصحاب من أهله وأنصاره في سبيل الله، ونهض من اجل رفعة الإسلام ومعارضة الظلم».

«فلولا نهضة الامام الحسين عليه السلام، لتمكن يزيد وأتباعه من عرض الاسلام مقلوبا للناس، فهم لم يؤمنوا بالاسلام اصلا، وكانوا يكنون الحقد والحسد لأولياء الاسلام.. لقد تمكن سيد الشهداء عليه السلام، بتضحيته، من الحاق الهزيمة بهم، وزعزعة اركان حكومتهم، وتعريف الناس، بعد برهة، حقيقة المصيبة العظمى التي حلت بهم، والطريق الذي ينبغي سلوكه».

«أوشكت حكومة يزيد وجلاوزته ان تمحو الاسلام، وتضيع جهود النبيﷺ المضنية، وجهود مسلمي صدر الاسلام ودماء الشهداء، وتلقي بها في زاوية النسيان».

وهذا المعنى قد عبر عنه السيد القائد الخامنئي بطريقة اخرى اذ قال: «لم تكن واقعة الطفوف استنقاذا لحياة شعب او حياة امة فحسب، بل كانت استنقاذا لتاريخ بأكمله، وهذا ما فعله الامام الحسينعليه السلام واخته زينب وأهل بيته واصحابه بموقفهم البطولي».

ثم يؤكد الامام الخميني على ذلك الهدف الجوهري فيقول: «عندما رأى سيد الشهداءعليه السلام ان هؤلاء يلوثون بأعمالهم سمعة الاسلام، ويشوهون صورته باسم خلافة الرسول، ويرتكبون المعاصي ويحكمون في الظلم والجور، وأدرك انعكاس ذلك على الصعيد العالمي، من حيث ان خليفة رسول اللهﷺ يفعل ذلك، رأىعليه السلام ان من واجبه ان ينهض ويثور، حتى لو أدى الأمر الى قتله. المهم هو ازالة ما تركه معاوية وابنه من آثار على الإسلام. رأى ان واجبه وتكليفه يقتضي الثورة، مع قلة الأنصار، وان يستنكر ما يحدث وان ينهى عن المنكر».

«كان الحسينعليه السلام يفكر بمستقبل الإسلام والمسلمين، باعتبار ان الاسلام سينشر بين الناس بسبب تضحياته وجهاده المقدس».

ويؤكد السيد القائد الخامنئي على ان الثورة كان لا بد منها على كل حال: «كان لا بد من الثورة سواء انتهى به الأمر الى استلام الحكم ام الى الشهادة. كان عليه ان يرسم الطريق، ويركز لواء الدلالة عليه».

كما يؤكد على هذا الهدف الجوهري بقوله: «شخص كالحسينعليه السلام، وهو تجسيد لكل القيم الالهية والانسانية، ينهض بالثورة حتى يقف بوجه استشراء الانحطاط الذي اخذ يتفشى في اوصال المجتمع، واوشك ان يأتي على كل شيء فيه».

«أحيى الحسين جده ﷺ وهو معنى قول النبي ﷺ : وأنا من حسين».

«جوهر حادثة عاشوراء، انه في عالم عم فيه الظلام كل مكان كما الفساد والظلم، ثار الامام الحسين بن علي عليه السلام من اجل انقاذ الاسلام، دون ان يهتم بأن يلقى مساعدة من أي شخص».

الانتصار: يؤكد الإمام الخميني ان الامام الحسين عليه السلام انتصر: «ان شهادة الامام الحسين عليه السلام لم تكن هزيمة، فثورة سيد الشهداء عليه السلام كانت قياما لله، وليس في القيام من اجل الله اية هزيمة. كان بنو امية يريدون القضاء على الاسلام من اساسه، وقلع جذوره، واقامة حكم عربي سلطوي، غير ان ثورة سيد الشهداء عليه السلام أفهمت العرب والعجم جميعا، ونبهت المسلمين كلهم الى ان القضية ليست قضية عرب وعجم، انما هي الله والاسلام».

كما أكد السيد القائد الخامنئي على النصر بقوله: «من الخطأ ان يتصور احد ان الامام الحسين عليه السلام هزم، فليس القتل في جبهة القتال هزيمة. المهزوم هو القتيل الذي لم يصل الى هدفه، وقد كان هدف اعداء الامام الحسين عليه السلام ازالة الاسلام، ومحو آثار النبوة من الأرض، لكنهم هزموا لأنهم لم يحققوا غرضهم. وهدف الامام الحسين عليه السلام ايجاد الصدع في كل ترتيبات أعداء الاسلام، وملء الزمان والمكان بنداء الاسلام والمظلومية، وأحقية الاسلام، وقد انتصر الامام الحسين عليه السلام على المدى القصير باضطراب نظام حكم بني أمية، واندثار سلالة ابي سفيان بعد ثلاث او اربع سنوات. من كان يتصور ان العدو الذي استشهد الامام الحسين عليه السلام على يده سيغلب».

صفات اصحاب الامام الحسين عليه السلام :

البصيرة: لقد كانت البصيرة، إحدى العلائم التي ميزت أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عن كثير من مدعي الايمان وحب أهل البيت عليهم السلام . وقد أشار

السيد القائد الخامنئي الى أهمية البصيرة بقوله: «تعلمنا عاشوراء ان البصيرة لازمة للانسان في دفاعه عن الدين، اكثر من أي شيء آخر. فإن عديمي البصيرة ينخدعون من دون علم، ويقعون في جهة الباطل، كما كان هناك اشخاص في جبهة ابن زياد لم يكونوا فساقا ولا فجارا بل عديمي البصيرة».

الروح الاستشهادية: من أبرز مظاهر فريق ابي عبد الله عليه السلام واصحابه، الروح التي تمتعوا بها في أداء التكليف والطاعة لله تعالى ورسوله وأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وقد دلت كلماتهم كلهم على مستوى الإخلاص، وعلى عظمة تلك الروح التي كانت بين جنباتهم.

وقد اشار الامام الخميني الى هذه الصفة بقوله: «لقد سقيت نبتة الإسلام منذ اول نشوئها بدماء الشهداء والمجاهدين، وآتت أكلها وأعطت ثمارها».

وقد جاء في بعض المرويات التاريخية حول واقعة كربلاء انه كان الامام عليه السلام يزداد اشراقا، رغم ما كان يجري في كربلاء بينما كان اصحابه يرتعدون. وهذه الخبرية وإن صدقت بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام لكنها غير صادقة بالنسبة لأصحابه، وتكذبها الروح التي دلت عليها كلمات وافعال اصحاب الامام الحسين عليه السلام. فقد كانت عظمة شخصياتهم، بوضوح بحيث تأبى ان نصدق ذلك في حقهم، وهذا ما اشار اليه الامام الخميني بقوله:

«كلما اقترب الإمام الحسين عليه السلام من الشهادة يوم عاشوراء كان وجهه عليه السلام يزداد تألقا، وكان أصحابه يزدادون تلهفا للاستشهاد.. كانوا يتسابقون الى الشهادة، لأنهم كانوا يعلمون منقلبهم وهدفهم».

وهذه الروح الاستشهادية ليست مجرد فعل في لحظة من الزمن، بل هي نمط ثقافي وتربوي، ينبغي ان نعيشه، فمن لم تكن هذه ثقافته وتربيته، لن يتمكن من التحلي بها حتى في لحظة الحاجة اليها. وهذا ما اشار اليه السيد القائد الخامنئي بقوله:

«من الظواهر البارزة في الثقافة الاسلامية ثقافة القتال والجهاد، وان كان الجهاد لا ينحصر بميادين الحرب، بل كل ما ينطوي على جد واجتهاد ومجابهة العدو يسمى جهادا».

الهمة الحسينية والثبات: وهي همة الانطلاق بكل قوة لأداء التكليف الشرعي، من دون أي تباطؤ. وكما يقول الامام الخميني: «لم تكن لدى الامام الحسين عليه السلام قوة تذكر، ومع ذلك نهض وثار. ولو كان والعياذ بالله كسولا، لكان بإمكانه الجلوس والانزواء جانبا، والادعاء ان هذا ليس واجبه الشرعي، وان تكليفه الشرعي لا يحتم عليه الثورة».

ويشير السيد القائد الخامنئي الى هذه الهمة بقوله: «اذا كانت همة المرء كهمتنا تراه يقول: هذا العذر يكفيني، وهو حسبي وبه القى ربي، هذه ليست همة حسينية».

«مع كون الامام الحسين عليه السلام سبط النبي صلى الله عليه وآله، وابن علي بن ابي طالب وابن فاطمة الزهراء، وهذه صفات عظيمة في حد ذاتها، ترفع بالانسان عاليا، ومع كونه عليه السلام قد نشأ في تلك الدار، وتربى في ذلك الحجر، وترعرع في تلك الأجواء المعنوية والنعيم الروحي لكنه لم يكتف بذلك.. (مع كل ذلك) كانت العبادة والتضرع والتوسل والاعتكاف في حرم الرسول صلى الله عليه وآله، والسعي الحثيث في نشر العلم والمعرفة ومجابهة التحريف، والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف في ارفع اشكاله».

«روح القضية ان الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يواجه في ذلك الواقع جيشاً كبيراً جراراً، ولم تكن مواجهته مع الجمع الغفير، بل هي مواجهة مع عالم الانحراف والظلمة، وكان ذلك العالم يملك كل شيء. كان لديه المال والذهب، والقوة، والكتاب والشعراء والمحدثون والخطباء. موقف رهيب ترتعد له فرائص الانسان، ولكنه لم يرف للامام الحسين عليه السلام جفن، ولم

تساوره مشاعر الضعف، ولم يتردد وبرز الى الميدان وحيدا فريدا. عظمة القضية تكمن في ان القيام كان لله».

«ولو انصرف عنه من كان معه، وبقي وحده، او كان معه بدل الاثنين والسبعين شخصا، اثنين وسبعين الفا، لم يكن ذلك ليغير من عظمة موقف الامام الحسين عليه السلام ابدا. ان عظمة موقفه تكمن في ثباته واطمئنانه، وهو يواجه دنيا تعترضه، فلم يتزلزل، وهو موقف يضطرب فيه الناس حتى الخواص».

«كان في تلك الأيام شجعان ايضا، لكن شجاعة البروز الى ساحة الحرب، غير شجاعة مواجهة عالم برمته، والموقف الذي وقفه الامام الحسين عليه السلام هو الثاني».

«ثار الامام الحسين عليه السلام من اجل انقاذ الاسلام دون ان يلقى مساعدة من احد، حتى ان محبيه الذين اجتمعوا على وجوب قتال يزيد، انسحبوا من الساحة، وتحت عناوين متعددة. ومن اجل ان يبرروا عملهم جاؤوا الى الحسين عليه السلام، مقدمين له النصيحة بعدم الخروج وعدم الثورة. عندما يخاف الكبار، وعندما يكشف العدو عن وجهه الشرس، ويشعر الجميع انهم قد احيط بهم اذا دخلوا الميدان، حينها يتبين جوهر الانسان».

الخواص والمعارضة[1]:

تكمن اهمية الخواص في أن لهم الدور الكبير في تثبيت الأمة على الخط الصحيح، كما ان لهم التأثير الخطير في انحرافها، وعلى الأقل في

---

(١) وإنه لمن الانصاف ان اشير ان من أهم ما جادت به قريحة السيد القائد الخامنئي هذا البحث اللطيف حول الخواص والمعارضة كما سيتبين لك اخي القارئ من بعض الفقرات التي سننقلها.

اضطرابها، وزعزعة أفكارها، وتقديم النموذج المتقدم، للتبرير والتخلف عن العمل بالتكليف الشرعي، وإن كان هذا التأثير سيبقى مقتصرا على ضعاف الإيمان والبصيرة. وهذه مشكلة كانت بارزة في المجتمع المسلم، بل في أي مجتمع عموما، وفي كل العصور حتى عصرنا الحاضر. ومن المهم جدا النظر الى خطورة هذه القضية في عصر الإمام الحسين عليه السلام . وقد اعتنى السيد القائد الخامنئي بهذه القضية عناية بارزة، وإليك جملة مما قاله في هذا الموضوع:

«اذا نظرتم الى المجتمع البشري، أي مجتمع كان، تجدون الناس فيه فئتين: فئة تسير عن فهم ووعي وارادة، وتعرف طريقها، سواء كانت مصيبة في اختيارها ام لا، وهذه فئة الخواص. وفئة لا تفكر فيما هو الطريق الصحيح، ولا يهمها ان تحلل لتعرف، بل تتبع الجو السائد والهوى العام، وهذه هي فئة العوام».

«وقد يكون بين الخواص اناس غير متعلمين، لكنهم يفهمون ما ينبغي فعله، ويخططون ويتفهمون الأمور، ويسيرون بوعي وارادة. وقد يكون من العوام اناس متعلمين».

«ينقسم الخواص الى فريقين: خواص فريق الحق، وخواص فريق الباطل. وفي صدر الإسلام خواص في فريق اصحاب امير المؤمنين عليه السلام والامام الحسين عليه السلام وبني هاشم، وخواص في فريق معاوية من ذوي الرأي والتدبير ينصرون بني أمية».

«الخواص المتابعون للباطل لا تتوقعوا منهم سوى التآمر ضد الحق وضدكم، وهذا ما يفرض عليكم محاربته».

«عليكم العثور على ذاتكم في هذا المشهد الذي اتحدث عنه في صدر الاسلام. بعض الناس من طبقة العوام، فإذا صادف ان كانوا في زمن، يتصدى

لزمام الأمور فيه امام كأمير المؤمنين عليه السلام أو الامام الخميني (قده)، ويسير بهم الى الجنة، فخير على خير، هؤلاء يسوقهم الصالحون. لكن اذا صادف ان عاشوا في زمن من يصفهم القرآن بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾[1] فسيكون مصيرهم النار». «احذروا ان تكونوا من العوام، بل يجب ان يكون كل فعل نفعله عن بصيرة، ومن لا يعمل عن بصيرة فهو من العوام. اذا ضل الخواص دخلوا في خانة «المغضوب عليهم»، والعوام في فئة «الضالين». فانظروا الى انفسكم. فإن وجدتم انكم من العوام، فسارعوا للخروج من هذه الحالة، وان كنا في عداد الخواص، فلنر هل نحن من خواص اهل الحق ام من خواص اهل الباطل».

«لن تنتهي المشكلة في ان نكون من خواص اهل الحق، بل هنا مشكلة جديدة، لأن خواص اهل الحق فريقان: فريق تغلب في الصراع مع مغريات الدنيا، من الجاه والشهوة والمال واللذة والرفاه والسمعة، وفريق خسر الصراع. والقرآن عندما يصف مباهج الحياة بـ «متاع الحياة الدنيا»، فهو لا يذمها، لكن اذا انغمس الانسان فيها، الى الحد الذي يعجز عن اجتنابها، اذا دعاه التكليف لذلك فهذا أمر مختلف».

«اذا كان الخواص من الفريق الصالح أي الذين يستطيعون الانتهاء من متاع الدنيا عند الحاجة، وكانوا هم الكثرة، فلن يقع المجتمع فيما وقع فيه زمن الامام الحسين عليه السلام، واذا كان هؤلاء قلة، وكان المناصرون للحق والخواص قد انهارت معنوياتهم امام المغريات الدنيوية، فالويل حينئذ، عندها ينزل السائرون على خطى الحسين عليه السلام الى ارض الشهادة ويقادون الى المذابح».

---

(١) سورة ابراهيم الآيتان ٢٨ ـ ٢٩.

«اذا اصبح الخواص المناصرون للحق يخافون على حياتهم، وأموالهم ومناصبهم، حينها لن ينصروا الحق ولن يضحوا بأنفسهم».

«كان اكثر الخواص في عهد امير المؤمنين عليه السلام من المناصرين للحق، لكنهم رجحوا الدنيا على الآخرة. وعندما ثار الامام الحسين عليه السلام لم يأت الكثير من الخواص لنصرته، رغم منزلته العظيمة».

«لاحظوا مدى الضرر الناجم عن وجود هؤلاء الخواص في المجتمع، اعني الخواص الذين يرجحون الدنيا على مصير العالم الاسلامي لقرون مقبلة. جميع الخواص من انصار الحق لم يكونوا الى جانب الحكومة، ولم يدخلوا في جبهة الباطل، ومن بينهم الكثير من الشيعة المقرين بامامة امير المؤمنين عليه السلام، وأنه الأول بعد الرسول صلى الله عليه وآله، لكن هؤلاء بأجمعهم، حينما احسوا ببطش السلطة الحاكمة، تخاذلوا رغبة في الحفاظ على انفسهم واموالهم ومناصبهم. ونتيجة تخاذل هؤلاء، مال عوام الناس الى جانب الباطل».

«لو نظرنا الى اسماء اهل الكوفة الذين كاتبوا الامام الحسين عليه السلام لوجدناهم كلهم من طبقة الخواص، لكن لما كان غالبهم يميل الى التضحية بالدين من اجل الدنيا، آلت النتيجة الى مقتل مسلم بن عقيل. معنى هذا ان حركة الخواص تجلب في اعقابها حركة العوام».

ومن خلال نظرة الى ما جرى في الكوفة مع مسلم وفي كربلاء يحلل السيد القائد فيقول:

«ارى ان ذلك يعزى الى الخواص من انصار الحق الذين سلك بعضهم مسلكا اتسم بغاية التخاذل، من امثال شريح القاضي الذي لم يكن من بني امية، وكان يعرف حقيقة الأوضاع».

«قد تؤدي حركة ما الى تبديل وجه التاريخ، وقد تؤدي حركة اخرى مغلوطة الى جعل التاريخ يتمرغ في مهاوي الضياع، وهذا هو دور الخواص الذين يفضلون الدنيا على الدين».

«لو أن شخصا كشبث بن ربعي خشي الله في لحظة مصيرية بدلا من خشية ابن زياد، لتبدل وجه التاريخ، لكنهم انجروا لتثبيط الناس فتفرق العوام».

«اينما تذهبون تصدمون بموقف الخواص. ومن الواضح ان قرار الخواص في الوقت المناسب، ورؤيتهم الصائبة في الوقت المناسب، واعراضهم عن الدنيا في اللحظة المناسبة، وموقفهم في سبيل الله في الفرصة المؤاتية، هو الذي سينقذ التاريخ ويصون القيم». «ولتغير وجه التاريخ ولما سيق الحسين بن علي عليه السلام الى ميدان كربلاء».

«اذا لم تتجاوب طبقة الخواص، وقال بعضهم: نحن مشغولون، وقال آخر: لقد انتهت الحرب دعونا نبحث عن لقمة عيشنا، سئمنا القتال فستتكرر واقعة كربلاء».

«ان العوام يتبعون الخواص، ويسيرون وراءهم. ولذا فإن اكبر جريمة ترتكبها الشخصيات الواعية المتميزة في المجتمع، هو انحرافها لأنه يؤدي الى انحراف كثير من الناس».

«عرضت على عمر بن سعد ولاية الري وهي ولاية شاسعة وغنية. والولاية في عهد بني امية تجعل الوالي مطلق اليد في التصرف بجميع الثروات الموجودة في تلك المدينة يتصرف فيها كما يشاء بعد ان يرسل مقدارا منها الى عاصمة الخلافة ولذا كان لمنصب الوالي اهمية كبرى ثم شرطوا تولية الري بمحاربة الحسين عليه السلام . من الطبيعي ان صاحب القيم لن يتردد في رفض مثل هذا العرض، ما قيمة الري وغير الري. لو وضعت الدنيا بين يديه لا يقبل ان

يعبس بوجه الامام الحسين عليه السلام فما بالك بالنهوض لمحاربته وقتله مع اطفاله. حين يفرغ المجتمع من القيم ترتعد الفرائص عند ذلك العرض وأكثر ما يستطيع فعله ان يطلب ليلة للتفكير. ولو فكر سنة كاملة فسيصل الى نفس النتيجة اذ لا قيمة لمثل هذا النمط من التفكير».

هذا ما انتهينا من كتابته في شهر شباط من العام ٢٠٠١ وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة.

٣ ـ وسائل الشيعة للحر العاملي.

٤ ـ الكافي للشيخ الكليني.

٥ ـ أمالي الصدوق للشيخ الصدوق.

٦ ـ كامل الزيارات للشيخ ابي القاسم جعفر بن قولويه.

٧ ـ مرآة العقول للعلامة المجلسي.

٨ ـ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

٩ ـ مقتل الحسين عليه السلام للمقرم.

١٠ ـ مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم.

١١ ـ فتح الأبواب للسيد ابن طاووس.

١٢ ـ ميزان الحكمة.

١٣ ـ لسان العرب لابن منظور.

١٤ ـ من وحي الثورة الحسينية للسيد هاشم معروف الحسني.

١٥ ـ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي.

١٦ ـ كتاب الرجال لابن داود الحلي.

١٧ ـ نفس المهموم للشيخ عباس القمي.

١٨ ـ أهل البيت: تنوع أدوار ووحدة هدف. للسيد الشهيد محمد باقر الصدر.

١٩ ـ أضواء على ثورة الحسين عليه السلام للسيد محمد الصدر.

الفهرس

الموضوع .....الصفحة

مقدمة ٥

الفصل الأول: مقام الإمام الحسين عليه السلام وفضله ٩

الفصل الثاني: علم الإمام عليه السلام بأنه سيُقتل ٢١

البحث الأول: أدلة علم الإمام عليه السلام بشهادته ٢٣

البحث الثاني: في الشبهة حول علم الإمام بقتله ٣٥

البحث الثالث: حول إقدام الأئمة عليهم السلام على فعل يعلمون أنه يؤدي الى الموت ٤٩

البحث الرابع: في العمليات الإستشهادية ٥٧

الفصل الثالث: لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام ٧١

البحث الأول: شروط معرفة هذا الهدف ٨٥

البحث الثاني: ما قيل في أهداف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته ... ٩١

البحث الثالث: الهدف السامي والجوهري في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ١٠٣

الفصل الرابع: لماذا لم ينتصر الإمام الحسين عليه السلام ١١٥

البحث الأول: مفهوم النصر في الفكر الإسلامي ١١٧

البحث الثاني: لماذا لم ينصر الله الإمام الحسين عليه السلام ١٢٧

الفصل الخامس: لماذا أخذ الإمام الحسين عليه السلام معه النسوة والأطفال ..١٣٥
الفصل السادس: ثلاثة أسئلة مهمة ١٤٥
الفصل السابع: لماذا نصرّ على إحياء عاشوراء كل عام وهل لذلك علاقة بالإمام المهدي المنتظر ١٦٥
الفصل الثامن: مسائل حول الإمام السجاد عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام ...١٧٩
مسك الختام: الخصائص الفكرية لواقعة كربلاء ١٩٥
المصادر والمراجع ٢١٣
الفهرس ٢١٥

بسم الله الرحمن الرحيم